جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية أصول الدين
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

الرقم التسلسلي : .....
رقم التسجـــل : 05/ع/أش ح ع /10

دروس العقيدة الإسلامية ودورها في التكامل المعرفي والحضاري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم
تخصص عقيدة

إعداد الطالب :
العطري بن عزوز

بإشراف الدكتور :
كمال جحيش

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	صفة	رتبة علمية	الجامعة الأصلية
عمار طسطاس	رئيسا	الأستاذ	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة
كمال جحيش	مشرفا ومقررا	الأستاذ	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة
عبد المالك بن عباس	عضو	الأستاذ	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة
العمري مرزوق	عضو	الأستاذ	جامعة باتنة
حجيبة شيدخ	عضو	الأستاذ	جامعة باتنة
عبد العزيز بوشعير	عضو	الأستاذ	جامعة سطيف(2)

السنة الجامعية

1438-1437هـ الموافق 2016-2017م

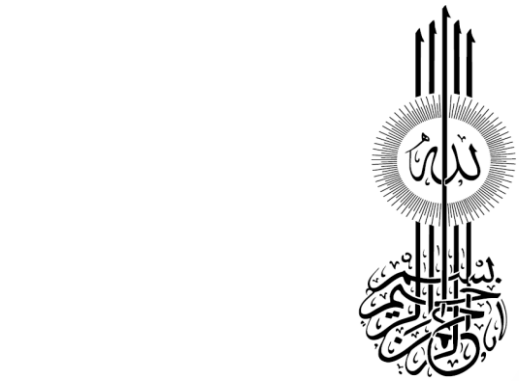

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى روح أبي الحنون الذي حرص على تعليمي

إلى أمي العزيزة التي سهرت الليالي من أجلي

إلى الزوجة والأبناء

إلى اخوتي وأخواتي الأعزاء وعائلاتهم

إلى مشايخي واساتذتي الأجلاء

إلى جميع الأخوة الذين ساعدوني في إنجاز البحث

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل عرفانا بالجميل إلى كل من وقف إلى جانبي معينا لي في إتمام وإنجاز هذه المذكرة المتواضعة ، و أخص بالذكر **الدكتور كمال جحيش** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته واهتمامه بالرسالة ، حيث لم يدخر جهدا في إنارة السبيل أمامي ، متتبعا خطوات إنجاز البحث بكل صبر وأناة ، كما أشكر كل الأساتذة الكرام الذين أمدوني بتوضيحاتهم المستفيضة ، وأشكر زملائي في الدراسة الذين كانوا يتابعون عملي باهتمام كبير ، وأخص بالذكر خير الدين شرقي و السعيد موفقي وأحمد حشلاف ، ولا أنسى التقدير لكل إخوتي وأصدقائي الذين عملوا على إنجاح هذا الجهد المتواضع ، والشكر والتقدير لكل من ساهم في هذا العمل ولو بكلمة طيبة . فجزا الله الجميع عنا كل خير

والحمد والشكر لله أولا وآخرا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمان الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين على نعمة العلم والدين ، قال تعالى: **{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ،** }[1] والصلاة والسلام على النبي الخاتم المؤيد بالدليل المنقول والدليل المعقول على صدق رسالته إلى العالمين من رب العالمين .

ثنائية العلم والإيمان من الأسس الهامة التي يمكن أن تعتمد في صياغة علم العقيدة الإسلامية، صياغة تتماشى مع معطيات العصر الحديث، وما تتطلبه الدعوة الإسلامية، على اعتبار أن المسلم صاحب عقيدة صالحة لكل زمان ومكان ، أما منهجية تَعَلُّمها وتَعْليمها فهي خاضعة لمتطلبات العصر، وهي من الواجبات الهامة على كل المسلمين ، وعلى طلبة العلم أوجب من الناحية النظرية والتطبيقية ، فهي أول مواد التدريس التي تهتم بها المدارس والمعاهد والجامعات بعد تعليم القرآن الكريم ، وقد أمر الشرع الحنيف بتعليم وتنشئة المسلمين على العقيدة الصحيحة ، يقول الله تعالى: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** }[2] .

---

(1) سورة العلق (1- 5) .

(2) سورة التحريم (06)

والعقيدة الإسلامية لها دور كبير في حياة الإنسان ، فقد أولى العلماء لها عناية خاصة ، ولم يعد التساؤل منحصرا في وجوب تدريس العقيدة من عدمه، بل التساؤل أضحى في بحث كيفية التدريس وزمنه ، ومنهجيته وما يراعى في التدريس من أسباب تجعل الدرس العقدي مفيدا ويبلغ أهدافه بيسر ويؤتي ثماره .

ذلك أن موضوع الدرس العقدي اليوم يكتنفه غموض في محتوى منهاج العقيدة ، ومعوقات في الوصول إلى أهدافه . مما يجعل التدريس يستدعي الكثير من التحكم في المنهاج ، من أجل الإسهام في استرجاع مكانة العقيدة في نفوس الناشئة ؛ بحيث تتحول العقيدة من اصطلاحات كلامية مجردة إلى أفكار إيمانية قلبية يتفاعل معها الوجدان والعقل والنفس ، وتنعكس على السلوك ، فتثمر لنا شخصية متميزة تحقق مراد الله تعالى في عباده .

ودور المدارس والجامعات عظيم في مجال صياغة درس العقيدة الإسلامية وتطبيق مضامينها في شتى فروع المعرفة ، بحيث يلعب الدرس العقدي الدور الفعال في تبسيط العلوم لتناسب تركيبة عقولنا ، مع التركيز على قدر أكبر على التطبيقات لأجل حل رموز كل الاختراعات التي نتعامل معها ، فالقرآن الكريم تضمن تفسيرات لكثير من الحقائق العلمية التي أثبتها العلم الحديث ، غير أن القرآن يحاول أن يربطها دائما بالعقيدة الإسلامية ، عكس المنهج السائد اليوم في الجامعات والمعاهد ، حيث لا نجد هذا الربط الواقعي ، وما نراه هو أن العلوم تقدم للطلبة على هيئة مركبة معقدة في الغالب لا يتجاوب معها الطالب ، لعدم انسجامها مع الفطرة الإنسانية المؤسسة على العقيدة الإسلامية ، فالعلوم والمعارف لا يمكن أن تبني الحضارة بمفهومها الحقيقي ما لم تتكامل مع بعضها بحلقات متصلة ومتواصلة ، تحت رقابة الإيمان الذي يحدد مسارها ، فدروس العلوم والمعارف التي تقدم للطلاب، لا تكون مثمرة ونافعة للمجتمع الإسلامي ما لم توازيها دروس في العقيدة الإسلامية ، على اعتبار أن العقيدة هي حلقة الوصل بين جميع العلوم ، حيث تبدأ وتنتهي في نهاية المطاف عند التوحيد الخالص .

وانطلاقا من هذا الهدف نود أن نعالج في هذا البحث اشكالية الدرس العقدي وعلاقته بالتكامل المعرفي والحضاري، ببيان أهميته وانعكاساته على مستوى الفرد والمجتمع على العموم وعلى طلبة العلوم بشكل أخص ، وأسباب اختيارنا له والأهداف التي يرجى تحقيقها من خلال هذا البحث ، والوقوف على الدراسات السابقة في هذا الموضوع مع بيان النقص فيها ، وتوضيح المنهج المتبع في خطوات البحث ، لنخلص في النهاية إلى خطة البحث من خلال فصوله ومباحثه ومطالبه .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في أن الأمة الإسلامية تعاني من ردة حضارية بمعناها الواسع، ولعل السبب الرئيس هو بعدها عن عقيدتها الإسلامية المبنية على رؤية كونية إنسانية تستوعب الحياة كلها في أي زمان ومكان ، وبمفهومها وبعدها القرآني النبوي ، وقد يقول قائل أن هناك عقيدة سارية المفعول في حياة الإنسان ، ونقول نعم ، ولكنها فاقدة للفعالية في حياة المسلم ، بسبب طريقة تدريسها أو تقديمها للمسلمين ، وكذلك من حيث محتواها المعرفي ، إذ احتوت على كثير من المصطلحات الفلسفية التي شغلت فكر المسلم عن الاهتمام بروح العقيدة التي كان يقدمها النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم .

وأما ربطها بالتكامل المعرفي والبناء الحضاري، فذلك لاعتقادنا بأن التكامل المعرفي له ضرورة معرفية وأخرى حضارية، والذي يلعب دور التكامل هو الدرس العقدي في كل المجالات المعرفية والمنهجية، وإلا فمشروع التكامل المعرفي سينتهي إلى طريق مسدود في النهاية بدون الرؤية التوحيدية الكونية القرآنية .

والعلوم التي تدرس اليوم في المدارس والمعاهد والجامعات ، بينها هوة كبيرة أُحدثت، وخاصة بين العلوم الدقيقة المادية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، حتى أنك تشعر وأنت داخل الجامعة قطيعة واضحة بين علوم البيولوجية مثلا وعلوم التاريخ والآداب ، وكأن لا علاقة البتة بينهما ، وأحيانا تجد هذه القطيعة بين العلوم الإنسانية نفسها ، هذه من جهة ، ومن جهة أخرى وهي الأخطر أن تجد طالب العلم في علم الطب مثلا يجهل مبادئ العقيدة الإسلامية بالرغم من العلاقة الوثيقة بين علم العقيدة

وعلم الطب ، وهكذا يتخرج الطبيب بمعارف مادية بحتة وأحيانا فيها أفكار إلحادية من حيث لا يشعر ، ولا يعترف في النهاية بالغيبيات كالشفاء بالقرآن أو الدعاء ، أو الطاقة الشفائية المستمدة من الإيمان ، والكلام نفسه ينطبق على جميع التخصصات الأخرى كالهندسة والاقتصاد والفلسفة والبيطرة وغيرها.

إشكالية البحث :

إذا كانت العقيدة الإسلامية تستمد قدسيتها من مصادرها ، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية ، فلا شك أنها ترقى إلى أعلى درجة من العظمة والكمال ، ومن هنا تأتي أهمية الدرس العقدي في حياة المسلم ، باعتباره هو المحدد للعلاقة بين الخالق والمخلوق وخير موجه لانحرافات العقل عن التفكير الصحيح ، ولكن الواقع لا يثبت بلوغ هذه الأهداف المرجوة من درس العقيدة ، ومن هنا نبحث عن المشكل وراء تعطيل دوره الريادي والحضاري ، هل يتعلق الأمر بمنهجية الدرس ؟ أو المنهاج المقرر في العقيدة الإسلامية ؟ أم المشكل في مُدرس المنهاج الذي لم يوفق في تبليغه ؟ أو أن ذهنية المخاطب لم تتجاوب مع مضمونه ؟ أم الأمر يتعلق بأسباب أخرى يفترض البحث عنها ؟

فإننا نعتقد أن هذه الأسباب قد تكون واردة بالفعل وتحتاج إلى اجابات مقنعة وواقعية، ولكن حينما نستقرئ ونفكك المحتوى المعرفي لعلم العقيدة المقرر الآن في جامعاتنا ومعاهدنا الإسلامية ، نجده مجموعة من المصطلحات الفلسفية التي اقحمت في علم العقيدة اقحاما لأسباب تاريخية وسياسية في زمن ما ، وكان ذلك على حساب المنهج القرآني والنبوي في عرض عقيدة المسلم الصافية النقية الواضحة التي تتجاوب مع الوجدان والنفس والعقل، خصوصا ونحن نسعى إلى التكامل المعرفي بين العلوم ، وهو أمر يحتاج إلى قواسم مشتركة بين هذه العلوم تراعى فيها لغة العصر التي يستوعبها إنسان هذا العصر ، ومن هذا المنطلق ، نحاول أن نقف عند اشكالية البحث من خلال الإجابة على هذه الأسئلة :

ماذا نعني بالدرس العقدي ؟ ، وما علاقته بالتكامل المعرفي والبناء الحضاري ؟

كيف نعيد ترتيب مواضيع العقيدة الإسلامية بما يحقق مقاصد القرآن والسنة؟

كيف نؤسس لمنهج جديد في علم العقيدة الإسلامية يتماشى وتطور العلوم الحديثة ؟ . ونميز في ذلك بين الثابت والمتغير ؟ .

كيف نفيد من الاكتشافات العلمية الحديثة التي تدعم القضايا المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ؟

أسباب اختيار البحث :

محاولة الوقوف على أسباب قصور الدرس العقدي في أداء مهمته وكيفية صياغته بما يتماشى مع مقاصد القرآن والسنة ، وبعد هذه الصياغة نبين دوره في تكامل العلوم بما يخدم غاية نهائية جوهرية تتمثل في عبادة الله حق العبادة والقيام بالخلافة حسب مراد الله تعالى وهو الأمر الذي يتمثل في بناء الحضارة الإنسانية ،ونضيف إلى هذا السبب الرئيس الأسباب الآتية :

الأول : ضعف فاعلية الدرس العقدي في اعداد الجيل الصالح وصياغة الشخصية الإيجابية المؤثرة، باعتبار أن العقيدة هي المحرك الأساسي للقيم الإيمانية لدى الأفراد والجماعات .

الثاني : محاولة وضع صياغة جديدة لتصنيف العلوم تتماشى مع التطورات العلمية الحديثة من جهة ، ولا تتعارض مع جوهر الدين الإسلامي والمتمثلة في التكامل المعرفي بين العلوم بما يحقق البناء الحضاري .

الثالث : الرغبة في تحقيق مبدأ الارتباط بالأصل والاتصال بالعصر ، بما ينفع عصرنا وما قرره سلفنا .

أهداف البحث :

نود أن نحقق جملة من الأهداف نلخصها فيمايلي :

- استرجاع فعالية درس العقيدة الإسلامية وتفعيل دوره في الحياة التربوية والتعليمية وانعكاس ذلك على تربية الفرد والمجتمع تربية صحيحة.

- التسلح بالعلم والإيمان لاسترجاع مقومات الأمة ، ومواجهة التحديات التي تستهدف الأمة الإسلامية وتاريخها المجيد، وبذلك نكون قد وضعنا الأرضية الأساسية لبناء الحضارة الإسلامية الإنسانية ، التي تتكامل فيها العلوم والمعارف لصالح سعادة الإنسان ماديا وروحيا وأخلاقيا .
- الرد على الشبهات المعاصرة التي تثار في المواقع الالكترونية بأساليب التكنولوجيا الحديثة .

الدراسات السابقة :

في حدود اطلاعي للدراسات السابقة حول موضوع "درس العقيدة ودوره في التكامل المعرفي والبناء الحضاري" لم أجد موضوعا يحمل هذا العنوان ، غير أن هناك دراسات تتناول الموضوع بشكل مفكك ، كدراسة التجديد في علم العقيدة الذي تناوله أبو اليزيد العجمي في كتابه " الحضارة الإسلامية " والذي دعا فيه إلى التجديد من خلال مراجعة مناهج تدريس هذا العلم ، ومحاولة الاستفادة من العلوم الحديثة ، ويناقش المؤلف تأثير الفلسفة في انشغال علماء الإسلام بالجدل بين الفرق الذي أبعد علم العقيدة عن هدفه الحقيقي ، وهو بحث ، قد استفدت منه كثيرا ، وهو جدير بالاهتمام والعناية ، غيره أنه يحتاج إلى اضافة مكملة ، وهو ما حاولت أن أضيفه في هذا البحث.

وما يراه محمد الغزالي في كتابه " عقيدة المسلم " بأن الناس بحاجة إلى عقيدة واضحة ومقنعة وضوح المنهج القرآني. وهو الرأي الذي نتبناه في هذا البحث ونضيف إليه دراسة أخرى هامة مكملة لإصلاح درس العقيدة ، وهي دور العقيدة الإسلامية في التكامل المعرفي بين العلوم وتأثير ذلك في بناء الحضارة ، وقد تناول هذه الدراسة أبو بكر محمد إبراهيم في كتابه " التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية " . والذي تكلم عن مفهوم التكامل المعرفي في الفكر الإسلامي وصلته بإسلامية المعرفة وعرّج على التعليم الجامعي في المنظور التوحيدي ، وتكلم عن الأسس النظرية والتطبيقية التي اعتمدتها التجربة الإسلامية المعاصرة في التعليم الجامعي في تصميم وبناء مناهج دراسية جامعية لترجمة مفهوم التكامل المعرفي، وهذه الدراسة ركزت على العلوم الإسلامية والعلوم

الإنسانية المتصلة بها، بينما دراستنا عن التكامل المعرفي نقصد بها التكامل بين جميع العلوم والمعارف التي تدرس في الجامعات، لأن البناء الحضاري لا تبنيه العلوم الإسلامية والإنسانية وحدها ، بل يجب الاهتمام بكافة العلوم وربطها بالعقيدة الإسلامية باعتبارها هي قطب الرحى ومحور الدائرة في جميع العلوم والمعارف التي نبنى بها الحضارة الإنسانية .

منهج البحث :

كما هو معلوم أن طبيعة الموضوع ، تحدد المنهج المتبع في البحث ، ولما كان موضوع البحث هو : (درس العقيدة الإسلامية ودوره في التكامل المعرفي والبناء الحضاري) فإن المنهج التكاملي المعرفي هو الأساس بالاضافة إلى المنهج النقدي من خلال نقد لكثير من الأفكار التي طرحها المعادون للفكر الإسلامي من داخل البلاد الإسلامية وخارجها ، وجاء ذلك النقد بعد العرض والبيان من خلال اعتمادنا على المنهج التاريخي في عرض سيرة الأنبياء ودورهم في بناء الإنسان والحضارة ، ونقد وتصحيح كثير من الأفكار الخطيرة المبثوثة في كتب التاريخ والفلسفة وحتى الكتب الدينية من تزييف للحقائق التي قام بها كهنة المعابد عبر التاريخ البشري بإبعاد دور الأنبياء في بناء الحضارات ووضع نظم للمجتمعات ، وأكمل هذا المشروع التهديمي رجال الدين من اليهود والنصاري ومن بعدهم ظهر بعض المستشرقين الذين ألفوا كتبا ظلت تدرس لسنوات للمجتمعات الإسلامية ، وما زالت أفكارهم موجودة في كثير من كتب التاريخ والفلسفة ، تحتاج من الباحثين الكشف عنها وإزالتها.

خطة البحث :

جاءت خطة البحث مقسمة إلى مقدمة وثلاثة فصول ثم خاتمة ، كما يلي :

-تناول الفصل الأول صياغة درس العقيدة الإسلامية من خلال أربعة مباحث ، تناول المبحث الأول وضعية درس العقيدة الإسلامية ، حيث شخصت هذه الوضعية بعرض مفهوم العقيدة الإسلامية في اللغة والاصطلاح ، وبيان خصائصها التي انفردت بها عن جميع العقائد الأخرى ، ثم تحدثت عن منهجية تدريس العقيدة الحالية وأسباب قصورها في أداء مقاصدها وأهدافها ، وعرض البديل الذي ينطلق من المنهج القرآني والمنهج

النبوي . وجاء عنوان المبحث الثاني درس العقيدة الإسلامية وعلاقته بمعارف العقل ، حيث قارنت بين الدرس العقدي وبين معارف العقل ، كما قارنت بين درس العقيدة الإسلامية والعلوم الحديثة ، من خلال ما انتجه العلم باعتباره لغة هذا العصر ، وأن المصطلحات الفلسفية المجردة لم يعد يلتفت إليها لدى شباب هذا العصر ، وكبديل لذلك هناك ما يسمى بالإعجاز العلمي الذي وقف موقف الوسيط بين ما توصل إليه العلم من حقائق علمية ، وما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من حقائق تناظرها وتسبقها من الناحية الزمانية تثبت الحقائق الإيمانية ، وبهذا نعتقد أن الإعجاز العلمي له الدور الفعال في تفعيل الدرس العقدي للوصول إلى غايته المقصودة . وفي المبحث الثالث تحدثت عن العلوم الإيمانية ودورها في صياغة درس العقيدة الإسلامية ، وذكرت في المطلب الأول المقصود بالعلوم الإيمانية كمصطلح يجمع بين العلم والإيمان وهو مصطلح قرآني ، وحاولت أن أربط بينه وبين الدرس العقدي ، من حيث أن هذه العلوم الإيمانية تخدم العقيدة الإسلامية من جهة وتتحدى وتتصدى للعلوم المادية الإلحادية بالحجة العقلية القوية المستمدة من نفس الأدوات التي يستخدمها منكرو العقيدة الإسلامية ، وهذا ما نحتاجه اليوم لصياغة العقيدة الإسلامية صياغة تتماشى والتطورات العلمية الحديثة ، المبحث الرابع عرضت فيه دواعي وأسس الإصلاح وضوابط التجديد .

في الفصل الثاني تحدثت فيه عن الدرس العقدي ودوره في التكامل المعرفي ، وقد تناولت فيه أربعة مباحث ، أولها عرض مفهوم التكامل المعرفي ، ومبررات الدعوة إليه وأهدافه ومقارنته بإسلامية المعرفة. وفي المبحث الثاني بيان دور الجامعة في تطبيق التكامل المعرفي كضرورة لإصلاح المنظومة الجامعية كلل ، ليحدث التكامل بين العلوم سواء العلوم الإنسانية أو العلوم الطبيعية أو العلوم الدينية ، لتحقيق أهداف التعليم الجامعي ، كما دعينا إلى إعادة تصنيف العلوم من منظور التكامل المعرفي ومن منظور الدرس العقدي ، وبهذا يحدث التكامل المعرفي وفق رؤية كونية قرآنية شاملة .

في المبحث الثالث ، تحدثت عن منطلقات ومعوقات في طريق تطبيق الدرس العقدي ، وفي البداية تحدثت عن المبادئ والمنطلقات من حيث صياغة الأفكار والأسلوب والأهداف ، وبينت مبدأ الرؤية الكونية القرآنية النبوية ودورها في بناء الإنسان فكريا ومعرفيا وعقديا ، ثم تكلمت عن المعوقات التي قد تعترض الدرس العقدي في القيام بمهمته في تطبيق التكامل المعرفي.

في المبحث الرابع بينت دور الدرس العقدي في صياغة المنهج التربوي التعليمي في جميع مراحله ، حيث تكلمت عن الأصول العقدية التكاملية للمنهج التربوي التعليمي ، من حيث المحتوى والأسلوب ، و تحدثت عن نوعية الخطاب الديني العقدي السائد اليوم وآثاره السلبية في إعاقة دور الدرس العقدي وتقدم المجتمع ككل، وضرورة النظر في مواطن الفساد فيه وإزالتها واستبداله بخطاب يراعي التطورات الحديثة ، ومن بين ما يجب الالتفات إليه دور الأمثال من حيث الأسلوب في التاثير في السامع وهو أسلوب قرآني نبوي فريد ركز عليه القرآن الكريم والسنة النبوية ، مما يدل على أهميته لإنجاح الدرس العقدي والوصول به إلى أهدافه المرجوة ، كما أشرت إلى ضرورة الاهتمام بالوسائل التكنولوجية الحديثة واستغلالها في الدرس العقدي بما يسمى التلقين الالكتروني إلى جانب التلقين التقليدي ، لكي يكون له صدى واهتمام لدي شباب اليوم ، من أجل تغيير منظومة القيم السائدة اليوم بسبب الغزو الثقافي والتقليد الأعمى للآخر .

الفصل الثالث ، تناولت فيه دور درس العقيدة في بناء الحضارة ، من خلال ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول تعريف الحضارة في اللغة والاصطلاح ، مع مناقشة آراء المفكرين في مصطلح الحضارة قديما وحديثا ثم ترجيح المصطلح الأنسب انطلاقا من الإشارات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية لمفهوم الحضارة الذي ينبثق من مفهوم الاستخلاف وعمارة الأرض ، مع التركيز على المقارنة بين مصطلح الحضارة ومصطلح المدنية والفرق بينهما ، وفي المبحث الثاني عرضت فيه تاريخ سيرة الأنبياء والرسل ودورهم في بناء الحضارات القديمة مع تصحيح التزييف و التحريف الذي تعرض له التاريخ الإسلامي من قبل كهنة المعابد وكتاب التاريخ والديانات السماوية المحرفة والوضعية وما

كتبه المستشرقون في العصور المتأخرة ، حيث لا نجد في كتب التاريخ القديم والحديث أي دور للإنبياء في الحضارة أو تطور المجتمعات ، مع أن الحقيقة عكس ذلك فالأنبياء كان لهم الدور الفعال في ذلك كما هو موضح في الرسالة ، وفي المبحث الثالث الذي ختمت به الرسالة تحدثت عن منهج الدرس العقدي القرآني الحضاري ، حيث بينت أن العقيدة الإسلامية هي سر حل المعادلة الحضارية التي لم يستطع الإنسان الوصول إلى حلها قديما وحديثا بسبب إبعاد الدور الإيماني الروحي في بناء إنسان الحضارة و حضارة الإنسان ، وفي الأخير جاءت الخاتمة متضمنة نتائج البحث التي توصلنا إليها من خلال الفصول الثلاثة من المذكرة ، مع ذكر بعض التوصيات.

و عقب الخاتمة مباشرة وضعنا ملحقا للصور والجداول يتضمن صورا منها ما حصلنا عليها من مصادرها الأصلية ، ومنها ما قمت برسمها بيدي لتوضيح الفكرة كالرسوم البيانية والجداول . وفي قسم الفهارس وضعنا فهرسا للآيات والأحاديث ، وقد رتبتها بحسب ترتيبها في المصحف ، أما الآحاديث فترتيبها بحسب حروف (أبجد هوز) وعن المصادر والمراجع فقد رجعنا إلى كل ما أمكن لنا جمعه من الكتب ووسائل المعلوماتية كالأقراص المدمجة ، والأنترنت ، والأشرطة العلمية والمحاضرات.

الفصل الأول

صياغة درس
العقيدة الإسلامية

تمهيد:

جامعة الإمام الباقر للعلوم الإسلامية

تمهيد الفصل :

امتازت الأُمّة الاسلامية بمخاض حضاري تليد . أغنى الفكر الانساني بالعلوم والفنون والآداب ، واختطّت مناهج البحث العلمي التي فتحت أمام العقل الانساني أبواب العلم والمعرفة ، فملأ تراثها آفاق الدنيا ، وسلك قاعدة وأساساً لبناء المدنيّة البشريّة المعاصرة والنهضة العلمية التي بدأت منذ قرنين تقريباً .

والتراث الاسلامي بما هو من فكر عقيدي وفلسفي وآداب وفنون ودراسات وأفكار ونظريّات في شتّى آفاق العلوم والمعارف ، قد أُسِّس على قواعد علمية ومنهجية منظّمة،تجلّت فيها عبقريّة الفكر الاسلامي ونهجه العلمي.غير أنّ هذا التراث لم يسلم من الأخطاء والتحريف والتزوير .

وللتعامل مع هذا الموروث الفكري والاجتماعي ، ظهرت مناهج وطرائق متعدِّدة في الماضي ، فأصبحت بدورها جزءاً من التراث ،كما نواجه اليوم محاولات عديدة لتحديد مناهج وطرائق التعامل مع التراث ، ينادي بعضها بعزل حاضر الأُمّة عن ماضيها وتراثها الذي نبع من عقيدتها ومبادئها ، فكان جزءاً من شخصيّتها ، في حين ينادي بعضها الآخر بالتمسّك غير الواعي وغير المنقّح بكل موروث تسلّمه الجيل المعاصر .

وكانت العقيدة الإسلامية جزء من هذا التراث، ومعنى هذا أنها قد تأثرت بما يحويه التراث من انحرافات ، ولذلك أردنا أن نشير في هذا الفصل لبعض ما تعرضت له العقيدة الإسلامية من أخطاء وتحريف، من خلال توضيح مفهوم العقيدة الإسلامية ، ومنهجية الدرس العقدي ، وعلاقته بمعارف العقل ، ودواعي إصلاح الدرس العقدي وضوابطه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

وضعية الدرس العقدي

تمهيد :

عندما نستقرئ واقع الدرس العقدي في حياة المسلم، سواء كان هذا الدرس مسموعا أو مرئيا أو مقروءًا، لا نجد له وجودًا واقعيا على مستوى السلوك والعمل، مع أن العقيدة الإسلامية تعد من أوضح العقائد التي عرفها الإنسان إلى اليوم، وهي تنعكس على سلوك الإنسان وعمله، وأن أي انحراف عن تلك المبادئ العقدية على مستوى السلوك والخلق، يفرض علينا البحث عن أسباب القصور ومسبباتها ، ومن خلال هذا المبحث نحاول أن نوضح بعض المفاهيم والمصطلحات .

المطلب الأول : مفهوم العقيدة الإسلامية وخصائصها.

المفهوم اللغوي : من العَقْد: عَقَدْتُ الحبل أي ربطته ووثقته ، وعَاقَدْتُهُ أي عاهدته ، وعُقْدَةُ النكاح إحكامه وإبرامه، واعْتَقَدْتُ كذا أي عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل : العَقِيدَةُ ما يدين الإنسان به . وله عقيدة حسنة أي سالمة من الشك[1] .

ورجل أَعْقَدُ وعَقِدٌ: في لسانه عُقْدَة أَو رَتَجٌ؛ وكلامٌ مُعَقَّدٌ أَي مُغَمَّضٌ . والذئبُ الأَعْقَدُ: المِعْوَجُّ . والعرب تقول: عَقَد فلان ناصيته إذا غضب وتهيأ للشر[2].

(1) الفيومي ، المصباح المنير ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1996 ، ط:1 ، ص : 218

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 1995 ، ط:2 ، مج : 1 ، ص : 175

والتعقيد عند البيانيين تأليف الكلام على وجه يعسر فهمه لسوء ترتيبه ويكون لفظيا ومعنويا ، والعقدة في الكلام : الصعوبة والغموض ، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام (**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي**) [1] .

المفهوم الاصطلاحي : هي الأمور التي يجب أن يُصَدَّقَ بها القلب ، وتطمئن إليها النفس حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يدخله ريب ، فالعقيدة في الدين : ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل ، وجمعها عقائد [2] .

من المعلوم أنّ لفظةَ: «العقيدة» لم يَرِدِ استعمالُها في الكتابِ والسُّنَّةِ، ولا في أُمَّهاتِ معاجمِ اللّغةِ، واستعمل الأئمَّةُ السّابقون ما يدلُّ عليها، كـ: "**السّنَّة**" و"**الإيمان**" و"**الشّريعة**" واستعمل كثيرٌ من الأئمَّةِ لفظتَيِ: "**اعتقاد**" و"معتقد" كابْنِ جريرٍ الطّبريّ والطحاوي والبيهقيّ وغيرهم .

" إن علماء المسلمين جعلوا هذا اللفظ علما بالغلبة على العلم الذي يبحث فيما يجب على الإنسان أن يعتقده ويؤمن به ، ويقيم عليه البرهان الصحيح الذي يفيد اليقين ويطلق ايضا على المبادئ الدينية نفسها التي ثبتت بالبرهان القاطع[3]

ويطلق علم العقيدة على علم أصول الدين وعلى المبادئ العقدية التي تثبت بالأدلة اليقينة ، ويقابله أصول الفقه الذي يُراد به أدلة الفقه الاجمالية ، ويطلق عليه أيضا الفقه الأكبر كما سماه أبو حنيفة في كتابه " الفقه الأكبر" ، على اعتبار أن الفقه في العصر الأول كان يطلق على علم طريق الآخرة ، كما يقول ابو حامد الغزالي في الإحياء[4] " ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة على القلب ، ويدلك عليه قوله تعالى: { **لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ** }[5]. كما يطلق علم العقيدة

(1) سورة طه (27)

(2) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر 2004 ، ط: 1 ، ص : 614

(3) الخن سعيد ، مستو ديب محي الدين ، العقيدة الإسلامية ، دار ابن كثير، دمشق2011م ، ص: 18

(4) الغزالي ابو حامد ، إحياء علوم الدين ، ج: 1 ، ص: 32

(5) سورة التوبة 122

على اسم علم التوحيد وسمي بعلم الكلام ، الذي يقتدر به على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية ، وقد عرفه الإيجي بقوله : " الكلام علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه "[1]

والعقيدة الإسلامية لها مفهوم إيماني عملي ، فالاعتقاد الذهني النظري لا يمثل العقيدة الإيمانية إلا إذا اكتمل بما يؤدي إلى العمل الصالح قال تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ** } [2] وقال تعالى : { **رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** } [3] .

المطلب الثالث: المقصود بدرس العقيدة الإسلامية

الدرس في اللغة : درس بمعنى قرأ ، قال تعالى : (**بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**) أي تقرؤون من الكتاب ، دَرَسَ الكِتَابَ يَدْرُسُهُ : قَرَأَهُ [4]

درس العقيدة الإسلامية في الاصطلاح :

يقصد بدرس العقيدة الإسلامية ، كل خطاب يوجه للإنسان المكلف لتحقيق غاية حددها القرآن الكريم والسنة الشريفة ، تتمثل في ترسيخ عقيدة التوحيد ، و تعريف الإنسان بخالقه ، ليؤمن به و يعبده حق العبادة ، وبيان مصير الإنسان .

ويسير الدرس العقدي وفق منهجية علمية واضحة لا غموض فيها ولا تأويل ، على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية ، و يبنى أصلا على معارف الوحي ومبادئ العلم والمعرفة قال تعالى : { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ**

(1) الإيجي ، المواقف ، عالم الكتب ، بيروت ، ص: 7

(2) سورة يونس (09)

(3) سورة الطلاق (11)

(4) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، دار الجيل ، ج: 2 ، ص : 222 .

لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }[1] ، وقال أيضا : { **شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** } [2] .

ولما كانت العقول ودرجات الفهم تتفاوت ، كان على العلماء ، والمتخصصين في العقيدة ، أن يُعلّموا درس العقيدة وفق المعنى الذي فسر به ابن عباس هذا الوصف في قوله تعالى: { **وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ** } [3]

قال ابن عباس ﷺ في تفسيره :" الرباني هو العالم الفقيه" [4] ، وقال ابن الأعرابي : "الرباني هو العالم المعلم الذي يغدو الناس بصغار العلم قبل كِبَاره – وصغار العلم يعني المسائل الواضحة —" [5]

المطلب الثالث : مفهوم المنهج وعلاقته بالدرس العقدي

- **مفهوم المنهج:**

في اللغة يعني الطريق الواضح, ونهجَ الطريق, بمعنى أبانه وأوضحه, ونهجه بمعنى سلكه بوضوح واستبانه. [1] .قال تعالى : { **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** } [6] .

المنهج "*Method*" لفظة مشتقة من كلمة يونانية، بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة ، ويرجع أصلها الاشتقاقي إلى معنى الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب .

ويعتبر "منهج البحث العلمي" علمًا قائمًا بذاته يسمى "علم مناهج البحث"*Methodology*"أو علم المناهج اختصارا، ويمثل أهم جوانب العلم والمعرفة العلمية[7] .

---

(1) سورة محمد (19) .

(2) سورة آل عمران (18)

(3) سورة آل عمران (79)

(4) ابن عباس ، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1992 ، ط:1 ، ص : 66

(5) عبد العزيز الحميدي ، تفسير ابن عباس ومروياته .. جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ص : 173

(6) ابن منظور, لسان العرب, دار صادر, بيروت , ج 2, ص 383.

(7) سورة المائدة (48)

النهج والمنهج والمنهاج في اللغة بمعنى واحد، وكلها تشترك في اشاراتها إلى الطريق المستقيم، الواضح، الذي يوصل إلى الغاية بسهولة ويسر.

المنهج في الاصطلاح : المنهج بمعناه الفني العلمي والاصطلاحي يقصد به: "الطريق الأقصر والأسلم للوصول إلى الهدف المنشود."[1] ، وهو أسلوب وطريقة في التعامل مع المواضيع عرضا وطرحا ومناقشة..

والفرق بين المنهج والمنهجية ، أن المنهج هو خطة الدراسة ، اي مجموعة المواد والخبرات التعليمية الموضوعية لتحقيق اهداف التربية، والمنهج العلمي هو الطريقة العلمية في البحث التي تقوم على الملاحظة ووضع الفرضيات واختبارها والتوصل إلى النتائج وتعميمها . أما المنهجية فهي فلسفة الإحياء الديني في القرن الثامن عشر في اوروبا ، وبدأت في جامعة اكسفورد حيث تكون دراسة الدين والدعوة إليه إلى أسس منهجية، ولا يزال اتباعها يحملون اسم Methodists أي المنهجيين[2] .

- **علاقة المنهج بالدرس العقدي**

حينما نتكلم عن منهج تدريس العقيدة الإسلامية ، فإننا نتكلم عن الطريق الصحيح الذي نصل من خلاله إلى أشرف العلوم وأعظمها ، وهو سر دعوة جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام .

وإذا ما استقرأنا منهج الرسول ﷺ وصحابته الكرام نجد أنهم اتبعوا منهج القرآن الكريم في توضيح العقيدة للناس، ومنهاجهم الذي يعتمدون عليه هو التلقي من أجل التنفيذ والتطبيق في الواقع ، وليس التنقيب عن أبعاد الألفاظ التي لم يألفها العرب، وكان ذلك المنهاج في التلقي والتطبيق يفتح لهم الآفاق من الفهم والمعرفة ، ويحدث مزجا بين الروح والعقل بحيث ينفذ إلى أعماق القلب فتنشرح له النفس ويستجيب له الوجدان ، وهذا المزج يتحول إلى منهج واقعي عملي يتجسد في حياة المسلم. ولا نقصد التلقين والحفظ دون الفهم ، لأن منهج التلقي دون الفهم ، يعطي مفهوما خاطئا عن حقيقة

(1)عبد الرحمن بدوي, مناهج البحث العلمي, وكالة المطبوعات ، الكويت 1977, ط: 3، ص 7.

(2)الحفني عبد المنعم ، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة2000م ، ط:3 ، ص: 849

العقيدة أو الإيمان ، ولا يحرك الفكر والوجدان كما يقول يوسف القرضاوي : " في السابق كانت العملية التدريسية في مجال العقيدة لا تعدو عن كونها عملية تلقينية، وأنا أحد الأشخاص الذين تعرضوا لمثل هذا التدريس، ولكنني كنت أقف ضد ذلك وأعارضه، فمثلا حاولت أن أفهم الفرق بين صفة الحياة وكون الله عز وجل حيا، وأنه سميع وكونه سميعا، وحتى اليوم لم أفهم. كنا في الأزهر نتلقى العقيدة بشكل تلقيني ونحفظ متونا في العقيدة عن ظهر قلب. وظللنا ندرس الجملة الأولى من متن الجوهرة في التوحيد مدة طويلة!! وهذا أمر في واقع الحال لا يفيد بشيء...إن هذا الأسلوب التلقيني الذي يعتمد على الحفظ الخارجي لا يعطي مفهوما حقيقيا للعقيدة، ولا يحرك الفكر والوجدان لدى الإنسان. لقد كان الأزهر وغيره من المدارس في السابق يعتمدون أسلوب التلقين في تدريس منظومات لا تفيد شيئا؛ لأنها تعرض قضايا قديمة شغلت الناس في عصر ما؛ لذا كان لزاما علينا اللجوء إلى التجديد والتحديث حتى نتمكن بالفعل من تكوين مفهوم حقيقي للعقيدة وتكوين عقيدة واضحة للمسلم"[1].

ومعنى هذا الكلام أن المنهج المتبع أو منهاج العقيدة الإسلامية المتبع اليوم في الجامعات والمعاهد لم يحقق الأهداف والمقاصد المرجوة منه وهي ترسيخ الإيمان بالله تعالى وعبادته حق العبادة ، وتحرير العقل من الخرافة ، وتحقيق الراحة النفسية والفكرية ، فالعقيدة الإسلامية لا تتعلق بالجانب النظري الغيبي فقط ، وإنما هي تطبيق على مستوى الجوارح وسلوكات في المعاملات ، ولتحقيق ذلك يجب إتباع المنهج القرآني في تثبيت العقيدة الإسلامية .

(1) موقع يوسف القرضاوي ، **ثمانية أسس لدراسة العقيدة** ،
http://www.qaradawi.net/new/component/content/article/304-2014-01-26-18-24--13/2014-01-26-18-59-19/4751

المطلب الرابع : دراسة العقيدة الإسلامية .

اتخذت دراسة العقيدة الإسلامية منهجين :

1- منهج القرآن الكريم :

القرآن يستعمل منهجا فريداً في إثبات قدرة الله تعالى، وعلمه ووحدانيته وهذا الأسلوب يساير الفطرة ويشعر كل إنسان في أعماق نفسه بالاستجابة له والإصغاء إليه حتى الملحد بعقله ، وهو منهج يوافق كل الناس باختلاف مشاربهم، ويمكن تلخيص هذا المنهج في هذه النقاط :

1-مخاطبة الوجدان : يعرض القرآن آيات الله في الكون في صورة حية ينفعل بها الوجدان كأنها مشاهدة فيتأثر بها ليدرك قدرة الله ،وعنايته بخلقه قال تعالى:(**{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }**[1]

2- **مخاطبة العقل** : يطلب الخالق ﷻ من الإنسان أن يعمل عقله في هذا الكون المثير ليدرك حقيقة الخالق القدير قال تعالى:**{ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ،وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}**[2] فبعد التأمل في النفس والآفاق تتأكد الوحدانية لله ﷻ.

3- **مناقشة الانحرافات** : يقدم القرآن الأدلة التي تدحض الشبه والانحرافات بالدليل العقلي والنقلي وبالوجدان فيوضح مواطن الانحراف قال تعالى : **{ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ }**[3] . وقال أيضا : **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ }** [4]

5- **التذكير بقدرة الله تعالى** : ينبه القرآن إلى استشعار قدرة الله العجيبة في إيجاد هذه المخلوقات على عظمها في الكبر والصغر قال تعالى : ({ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**

(1) سورة النحل (10-11)

(2) سورة الذاريات (20-21)

(3) سورة الطور (35)

(4) سورة الحج(73)

، **وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ }** [1] وذلك ليخشع القلب ويستسلم للخالق ﷻ .

6- **ذكر القصص:** فيذكر قصص الأنبياء والرسل وصبرهم على الأذى ونصر الله تعالى لهم في النهاية قال تعالى: **{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }**[2] .

7- **ذكر مصير الكافرين والمؤمنين:** حيث يذكر بمصير المؤمنين الموحدين وما ينالهم من نعيم في الجنة ومصير الكفار المعاندين المشركين وما ينالهم من عذاب في النار.

في تقديرنا هذا هو منهج القرآن الواقعي في تثبيت العقيدة والإيمان في العقول والقلوب و النفوس ، بعيدا عن المنهج الجدلي الفلسفي، الذي يهدر الجهد الفكري والوقت الثمين والعمر في مسائل وقضايا لا يستفيد منها الإنسان في حياته .

ذلك أن القرآن العظيم وحده يملك التصور المنهجي والمعرفي البديل على مستوى كوني ، حيث اتخذ القرآن من الظواهر الطبيعية التي يشاهدها الناس في حياتهم اليومية منهجا لتثبيت العقيدة والإيمان في نفوس الناس، وفي الوقت نفسه يتحدى المناهج المعرفية والعلمية التي تستهدف الدين الإسلامي ، ذلك أن القرآن يخاطب الإنسان كله نفسيا وروحيا وعاطفيا وعقليا ، ويحاول أن يوقظ الفطرة الكامنة في النفس الإنسانية وينميها ، ويصلح ما اعتراها من فساد الشرك ، وانحراف في التصور ، ولا يكتفي بالمشاعر الإيمانية بل يتحول إلى السلوك العملي الواقعي حيث يقول **{ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }**[3]

2- منهج علماء الكلام في العقيدة .

حينما نتكلم عن منهج المتكلمين في اثبات العقيدة نجدهم قد سلكوا مسلكا يختلف عن مسلك القرآن الكريم ، حيث اتبعوا طريقة المنطق والخطاب العقلي الفلسفي .

---

(1) سورة الغاشية(17-20)

(2) سورة يوسف (3)

(3) سورة آل عمران (191)

" علماء الكلام ارادوا أن يبرهنوا على العقيدة بالأدلة العقلية المنطقية ، فنقلوا الوضع من فطرة وعاطفة ومخاطبة لهما بالنظر في آيات الله في الكون ، إلى دائرة العقل والنظر، والمنطق ، اضطر بعضهم إلى القول بتركيب الأجزاء التي لا تتجزأ ، وإقامة الدليل على عدم حدوثها بنفسها ، إلى أن يصلوا إلى اثبات وجود الله تعالى ، وهكذا سلكوا هذا السبيل في إثبات وحدانية وسائر صفاته سبحانه ، وكانت كل خطوة من هذه الخطوات تثير أسئلة وجدلا ، وتفتح موضوعات جديدة "[1].

لاشك أن منهج القرآن الكريم يخاطب عامة الناس من اجل دعوته إلى العقيدة الصحيحة التي تتماشى وفطرة الإنسان ، بينما منهج المتكلمين فهو خطاب خاص لا يفهمه كل الناس ، غير أن المصطلحات الواردة فيه لم تجاوزها الزمن وتحتاج إلى التجديد بما يوافق العصر الحديث ، بمعنى التجديد في علم الكلام يساير التطورات الحديثة .

المطلب الخامس : واقع درس العقيدة الإسلامية .

الكلام عن واقع درس العقيدة يجرنا إلى الحديث ولو باختصار عن المرحلة التي سبقته قبل الوصول إلى هذا الواقع ، فبداية نجد أن الرسول ﷺ وهو المدرس والمعلم الأول ، كان يقدم دروسه للصحابة رضي الله عنهم من غير تكلف في الأسلوب أو تعقيد في المصطلحات ، والقرآن قد احتوى على الآيات المحكمات والآيات المتشابهات ، والمحكمات هي التي لا تحتمل إلا معنى واحدا ، والمتشابهات ما تحتمل أكثر من معنى ، وكان المسلمون في العصر الأول يسلمون بهذه الآيات ويعتقدون بها من غير أن يتساءلوا عن مرادها ، إلا في حالات نادرة ، وأكثر العلماء توقفوا في تفسير المتشابه لما ورد في قوله تعالى : **{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }** [2]

(1) الخن سعيد ، مستو ديب محي الدين ، العقيدة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص : 103-104

(2) سورة آل عمران (7)

وقد بينت الآية بصراحة ووضوح الانحراف الذي وقع، والذي فتح الباب على مصراعيه لكثير من التساؤلات التي أبعدت الناس عن العقيدة الصحيحة النقية، وأمسى همّ الناس هو الاهتمام بالمصطلحات اللغوية التي امتزجت بمصطلحات فلسفية يونانية وفارسية وهندية، أكثرها مترجمة من مترجمين يهود ونصارى وصابئة كما ثبت ذلك في التاريخ الإسلامي، وهكذا عج علم العقيدة بالمصطلحات الفلسفية ، فتعقدت وابتعدت عن منهج القرآن والسنة في تدريس العقيدة الإسلامية .

اذن واقع درس العقيدة الإسلامية اليوم يرجع لمشكلتين أساسيتين :

- **الأولى** : حدوث الانفصال بين أصول العقيدة الإسلامية ومناحي الحياة المختلفة ، أو نقول انفصال الكلمة عن السلوك ، وأمست حقائق العقيدة أفكارا ذهنية مجردة، غايتها في ذاتها ، وليست غايتها تحديد العلاقة بين الإنسان وخالقه ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان ، وبينه وبين نفسه ، بتعديل السلوك وترقية الأخلاق والالتزام بالمعاملة ، فالتوحيد الذي كان يطبع حياة المسلمين كلها ، تشريعا وآدابا وفنونا وعمارة ، أمسى منحسرا في الأذهان ولم يعد له وجود في الحياة العملية، وهذا ما نجده عند بعض الشباب المتدين الآن، يحفظ مسائل العقيدة عن ظهر قلب، و إذا نظرت إلى المعاملة تجد الغلظة والشدة مع الناس وحتى مع الوالدين إلى غير ذلك من التصرفات التي تبتعد كليا عن روح العقيدة الإسلامية .
- **والثانية** : الغزو الثقافي والتقليد الأعمى ، الذي استهدف العقيدة الإسلامية أساسا ، ومظاهرها السلوكية في الحياة ، وما يسمى بالخيال العلمي والنظريات العلمية ، ووسائل الإعلام لنشر الأفكار ومظاهر الحياة الغربية ، فإذا به غزو كاسح وشامل ، أثر في العقيدة والسلوك . فأصبحت العلمانية والحداثة اهتمام كثير من النخب المثقفة والشباب الإسلامي ، وهي مبثوثة في مناهج التعليم والثقافة والاقتصاد والسياسة .

وفي غياب منهج علمي محكم ، يُدَرّس من خلاله دروس العقيدة الإسلامية في المدارس والمعاهد والجامعات على اختلاف تخصصاتها ، ظهرت محاولات فردية ، تسببت

في تعدد المناهج والسبل ، معظمها ينطلق من الذات والقناعات الشخصية ، تُخضع الدين لعقلية أو ذهنية مقولبة ، تنطلق من خلفيات أو توجيهات غير مؤسسة علمياً ، وإنما جاءت بمحض التقليد والانبهار بالآخر ، انتجت لنا جيلا من المتعلمين أو المتعيلمين على حد قول ابن باديس الذي حذرنا منهم بقوله : (فاحذر من كل (متعيلم) يزهدك في علم من العلوم ، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسان ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة ، وخدم علماء الإسلام بالتحسيس والاستنباط ما عرف منها في عهد مدنيتهم الشرقية والغربية حتى اعترف بأستاذيتهم علماء أوروبا اليوم .) [1]

وكما يقول الغزالي : (فكم من مسيء خدعته نفسه ، فظن القبيح حسنا ، واستنبطه عقيدة ، ودعا إليه مذهبا ، ومضى في دروب الحياة يظهر به ويقاوم ما عداه ! قال تعالى : **{ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا }** [2] ، فكل تدين يجافي العلم ، ويخاصم الفكر ، ويرفض عقد صلح شريف مع الحياة ، هو تدين فقد كل صلاحيته للبقاء [3] .

إذن فالواجب هو ملء الفراغ بمناهج علمية رصينة متدرجة ، تحل فيها الدروس الأكاديمية المنتقاة المحققة ، محل الثقافات المشوشة ، وهذه المحاولة لها مشكلتان أساسيتان :

- مشكلة ظهور جيل من الشباب لهم حماس ديني شديد للطاعة والتدين ، لكن بمفاهيم خاطئة ، ناتجة عن قلة العلم والتفقه ، والقصور في شمولية فهم النصوص .

- مشكلة الجهل بالأحكام الأساسية للدين ، وعلى الخصوص العقيدة و الإيمان حيث يتخرج الطالب من المعهد أو الجامعة وهو يجهل هذه الأساسيات في العقيدة ..فقد روي عن جندب بن عبد الله ﷺ قال : (**كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان**

(1) ابن باديس ، أيها المسلم الجزائري ، جريدة الشهاب ، العدد : 94 ، 23 /8/ 1926 م

(2) سورة الكهف (103-104)

(3) محمد الغزالي ، ركائز الإيمان بين العقل والقلب ، دار الشروق ، القاهرة 2002 ، ط: 2 ، ض : 22

حَـزَاوِرَةً* فتعلمنـا الإيمـان قبـل أن نـتعلم القـرآن ، ثـم تعلمنـا القـرآن ، فازددنـا بـه إيمانـا)[1] وهـذا يعـني التـدرج في المنهجيـة بتقـديم الأهـم فـالأهم أثبـت علـى القلـب حفظا وفهما .

- فينبغـي تصـحيح المفـاهيم بتعريـف الطالـب بـالمنهج السـوي في التفكـير الإسـلامي، المبـني علـى الفهـم الصـحيح للإسـلام ، مـع بيـان المنـاهج الأخـرى الدخيلـة ، وتعلـيم سـلامة المنهج ، لأنه يجنب الأمة الخراب والدمار الفكري ، والفرقة والانقسام .

وكمـا يقـول محمـد المبـارك : "يجـب أن نفصـل بـين المضـمون القـرآني المشـتمل علـى نظـرة الإنسـان والكـون والحيـاة والله المهـيمن علـيهم جميعـا ، وبـين الأسـاليب والاجتهـادات الـتي تمثـل الجهـد البشـري المشـكور الـذي قـام بـه أعـلام المسـلمين في العصـور الماضـية مـع تقديرنا لها بما تستحق والاستفادة من تجربتا والاستئناس بها من غير التزام" [2] .

والرسـول ﷺ في منهجـه وأسـلوبه في تـدريس العقيـدة وأمـور الـدين تنقلـه إلينـا أم المـؤمنين عائشـة رضـي الله عنهـا بقولهـا : (**مـا كـان رسـول الله عليـه الصـلاة والسـلام يَسْرُدُ كسرْدِكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بيّن فصل ، يحفظه من جلس إليه**)[3]

فهكذا كان الرسولﷺ يقدم دروسه للصحابة الكرام بوضوح وجلاء ، وقد بين الأحكام العقدية ،ولم يترك أمته دون بيان ، وهذا ما أوضحه القرآن في أكثر من موضع قال تعالى : **{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** [4]

و العقيـدة الإسـلامية مـتى كانـت ميسـورة رسـخت في النفـوس ، واسـتقام لهـا سـلوك الأفـراد. وقـد ذم رسـول الله ﷺ الجـدل ، فعـن أبي أمامـة قـال ، قـال رسـول اللهﷺ : (**مـا**

---

* وهو الذي قارب البلوغ.

(1) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، مكتبة المعارف ، الرياض1997 ،ط:1 ، ج: 1 ، ص: 37

(2) محمد المبارك ، نظام الإسلام العقائدي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض 1995 ، ص : 18

(3) رواه الترمذي ، التبريزي ، مشكاة المصابيح ،المكتب الإسلامي ، بيروت 1985 ،ج:3 ، ص: 1620

(4) سورة النحل (44)

ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية :(ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) [1] .

وقد بين الواقع ما آلت إليه الأمة من الخلاف والشقاق والعداوة بين المسلمين ، بددت طاقاتهم ، وأنهكت قوتهم ، وضيعت وقتهم في ما لا طائل منه ، في الوقت الذي عرفت الأمم الأخرى تطورات مذهلة في شتى العلوم ، وقد أدى الإسراف في الجدل في مسائل علم الكلام قديما إلى وقوع الشُبه ، وعدم القدرة على التخلص منها في نفوس المستدلين أنفسهم ، فأوردوا الشكوك من حيث أرادوا دفعها ، وجرهم هذا الإسراف إلى إحداث مفاهيم في الصفات أدخلوها في العقيدة وليست منها ، وندموا على ما صنعوا في آخر أيامهم . إذن فمنهج الإسلام في باب العقيدة يحمي المسلمين من الاختلاف والتفرق ، لأنه لو فتح باب التأويل في الأصول لكثرت التأويلات و الاختلافات ..في حين أن الوقوف عند ظاهر الكلام وحقائقه ، بما يليق بذات الله تعالى ، يحافظ على مرجعية الكتاب والسنة ويخضع له جميع المؤمنين ، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾[2] ، وقد بين الرسولﷺ أن الأمم السابقة إنما هلكت بالمراء والجدال وضرب الآيات بعضها ببعض ، ولذلك أمر أمته أن تسير على الصراط المستقيم ، وتنشغل بالعمل بدل الخوض في الجدل[3]

فالمتوقع من درس العقيدة الإسلامية أن يسير وفق منهجية علمية واضحة لا غموض فيها ولا تأويل، على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية، لتحقيق الغاية التي حددها القرآن الكريم ، وهي أن يعرف الإنسان ربه حق المعرفة وأن يعبده حق العبادة وذلك عن طريق العلم والإيمان بالعقل والقلب.

(1) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، التبريزي ، المشكاة ، المرجع السابق ج:1 ص: 63

(2) سورة النساء (58)

(3) علي محي الدين ، العقيدة الإسلامية ، دار التقريب ، بيروت 2004 ، ط " 1، ص : 110-111

المبحث الثاني

الدرس العقدي والعلوم الحديثة

المطلب الأول : الدرس العقدي ومعارف العقل

نقصد بمعارف العقل ما ينتجه العقل البشري من علوم أو اكتشافات أو اختراعات حديثة أو أفكار، وكما نعلم أن العقيدة الإسلامية قد ساهمت مساهمة فعالة في تحرير الإنسان من التقليد الأعمى والخرافة والأسطورة ، وحررت العقل من القيود التي فرضت عليه حتى ممن يسمون بالعقلانيين أو الحداثيين أنفسهم، والعقيدة الإسلامية متوافقة مع العقل السليم، وقد زودته بالحصانة الواقية من الانحراف الذي قد يقع فيه، وعملت على تنقية العقول من غواشيها ، وفتحت الطريق أمامها واسعاً لاستثمار الطبيعة ، عندما رفعت ما كان من حجب كثيفة بين الإنسان والطبيعة، وانكشف له بأنّ الطبيعة ومظاهرها وما فيها من مخلوقات وحوادث كلها صادرة عن الله تعالى، وهي مخلوقات مسخّرة لخدمته، وما عليه إلاّ أن ينتفع بها ويتفكر فيها وبأصلها حتى يصل عن طريقها إلى الخالق : **{ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ }** [1]

وفي هذا المعنى يقول محمد الغزالي : (عظمة الإيمان تعتمد ابتداء على فقه في آيات الكون يقف المرء على أسرار الابداع الأعلى ، ويشعره بما يستحقه الخالق الكبير من مجد وحمد، عظمة الإنسان تقوم على نشاط عقلي لا حدود له ، يواكبه نشاط روحي لا يقل عنه كفاءة ، بل يربو عليه)[2] التأسيس اهذه الفكرة ..

فالعقيدة الإسلامية في خدمة العقل، والعقل في خدمتها، ولا تناقض بينهما، ودروس العقيدة الإسلامية تنمي في طالب العلم الملكة التي يقتدر بها على فهم الأشياء وتحليلها بطريقة علمية مقنعة ، كما أنها تُحدث في كيانه انقلابا جذريا ، وتعيد صياغته على نحو

(1) سورة الغاشية (17-20)

(2) محمد الغزالي ، ركائز الإيمان .. المرجع السابق ، ص: 23

مختلف كليا، وهذا ما حدث بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم ، فكيف كانوا قبل العقيدة الإسلامية، وكيف أصبحوا بعد ذلك، من قبائل بدوية منتشرة في الصحراء ، إلى بناة لحضارة إنسانية هي من أعظم الحضارات في تاريخ الإنسان إلى الآن.

فالقرآن يدعو إلى تتبع الآثار الدالة على الخالق من خلال مخلوقاته ، وحصول الاطمئنان في القلب ، هنا تنتهي مهمة العقل ، بعدها تأتي مرحلة الوحي الذي له دور المعرفة بالخالق والأمور الغيبية، مما لا يستطيع العقل إدراكه، ويصبح هناك تسليم وانقياد للأوامر التي يمليها الوحي من أجل الوصول إلى الحقيقة الكاملة، فيعبر عن ذلك الاطمئنان بالنطق باللسان، قال تعالى: {**وَقُولُوا آمَنَّا**}[1]ثم ينطلق الإنسان ليجسد ما وقر في قلبه ونطق به لسانه بالعمل والقيام بأوامر الوحي ونواهيه قال تعالى: {**إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**}[2]

المطلب الثاني : علاقة الدرس العقدي بالعلوم الحديثة .

في تصور الإسلام لقضية المعرفة ومقاصدها نجد الإنسان مؤتمنا على هذا الكون، ومكلف بعمارته ، مطالب باكتشاف قوانينه كما هو مكلف بتوظيف العلم والمعرفة حسب أوامر الوحي، وحمل القرآن الإنسان المسؤولية في استخدام أدوات العلم والمعرفة ، قال تعالى : **{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا }** [3]

يذكر موريس بوكاي في كتابه " القرآن والإنجيل والتوراة والعلم "–من صفحات المقدمة وحتى الأسطر الأخيرة من الكتاب–إلى تأكيد مسلمة جوهرية قوامها: أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث. ويقول : (أن القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية ..وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضع القرآن العلمية مع

(1) سورة العنكبوت (46) .
(2) سورة العصر (3).
(3) سورة الإسراء (36)

وجهة النظر العلمية ..وأنه مبادئ القرآن الصريحة تأمر دائما بالرجوع إلى العلم والعقل اللذين يسمحان بنفي صحتها على ضوء حقائق القرآن[1] .

والكون وما فيه من مخلوقات مرآة عاكسة دالة على خالقها من خلال إبداع الصانع ، والقرآن يدعو العقل لاكتشاف تلك القدرة الإلهية والدقة والإحكام في صنعه، والله تعالى أقسم بآياته في الآفاق والأنفس، لكي ندرك الدلائل على دقة صنع الخالق قال تعالى:(**{ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ }** [2] ' وقال تعالى : **{ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ }** [3]

فالقرآن يذكرنا بالآيات الدالة على صفات الخالق ، ولفت الانتباه إلى هذه الوظيفة الكونية الغائبة على العقول، فكل جزئية في هذا الكون تحمل دلالة على أثر من آثار صفات الخالق ، وهذه هي وظيفة العقل قال تعالى: **{ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }** [4] .

ينبغي أن يكون الدرس العقدي يساير ثقافة العصر الذي نعيش فيه ، فهذا العصر لا يؤمن إلا بما أنتجه العلم ، ولذلك ينبغي أن يدرس الطلاب العلوم الكونية بروح قرآنية تربط بين هذه العلوم والغاية منها، وإنها لم تخلق عبثا ، وأن تربط بينها وبين خالقها ، حتى لا يقع طلبة العلم في أودية التيه والضلال والشكوك والشبهات ، يجب أن نقدم الدرس العقدي أمام طلبة العلم وكأنه صورة مشاهدة ومرآة عاكسة لصفات الخالق ، وليس كما هو حاصل الآن ، من تقديم العلوم للطلاب بروح إلحادية تقطع صلة علوم الكون وقوانينه بواضعها ومودعها ، وربط الأسباب بمسببها ، وهو الله ، دون أن نبين للطلبة أن هذه الأسباب ليست فاعلة بذاتها وإنما هي فاعلة بفعل الله فيها ، فهو الذي أودع فيها خاصية التأثير فكانت مؤثرة .

---

(1) موريس بوكاي ، القرآن والإنجيل والتوراة والعلم ، مكتبة مدبولي ،القاهرة 2004 ، ط:2 ، ص : 16

(2) سورة الواقعة (75-76)

(3) سورة الحاقة (38-39)

(4) سورة الرعد (19)

وقد نبه القرآن في آياته الكثيرة أن هذه الآيات الكونية مسخرة لخدمة الإنسان من خلال الانتفاع بها ، فمن أراد الانتفاع بالماء فعليه التعرف على خصائصه وقوانينه متى يتحول إلى جماد ، ومتى يتحول إلى غاز ، ومتى يمكن استخدامه في الطاقة ، وهكذا بقية الظواهر الأخرى ، والتسخير لا يتم إلا باكتشاف هذه القوانين وإعمالها ، وتلك سنة الله في خلقه ، فمن سيطر على هذه القوانين سيطر على العالم ، ومن تقاعس وانزوى ولم يبال بما أمره الله تعال به تأخر وأمسى تحت سلطان غيره .

من أخطر ما يستهدف العقيدة الإسلامية في هذه الأيام ، هو الحملة التي يقودها بعض من يسمون بالتنويريين أو التقدميين أو الحداثيين عبر وسائل الإعلام فيظهرون على أنهم رواد النهضة وحملة مشعل التقدم ، ويبعدون قضايا الوحي ومعارفه بالواقع ، ومن امثلة هؤلاء حسن حنفي الذي يقول : " ..استقلال العقل الإنساني وثقته بنفسه وعدم احتياجه إلى الوحي وهي فترة عصر التنوير"[1] فهو يجعل من الغرب قدوة له ، ويعتبر أن الوحي يقوم على العقل ، وأن الزمن قد تجاوزه ، لأن هذا العصر هو عصر التنوير ، والمشكل أن بعض الباحثين من الشباب تأثروا بهذه الآراء التي أخذوها منهم ، نتيجة تأثرهم بالمصطلحات المستوردة من كتابات المستشرقين عن الإسلام ، فالوحي عندهم قيد حركة العقل ، وهو رمز الرجعية والتخلف ، وإذا أردنا أن نتقدم يجب أن نتخلى عن الوحي ، أو نخضعه للواقع ، والقرآن قد عبر عن هذه الحالة بقوله تعالى : **{ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }**[2]

ولعل المشكلة ترجع للفراغ الديني والزاد الضعيف ، فطالب الطب أو الهندسة يخرج من الجامعة ، ولا تجد مادة واحدة لها علاقة بالدين أو الأخلاق في مقررات دراسته من دخوله الجامعة إلى خروجه منها ، ولو من باب الثقافة ، فطبيعي أنه يتكون تكوينا علميا جافا صرفا ، يكون بيئة مناسبة للأفكار الهدامة للقيم الدينية والأخلاقية ، نتيجة للعزلة الرهيبة التي أحدثت بين العلوم المدنية والعلوم الدينية ، مما ولد لنا صراعا بين

(1) حسن حنفي ، قضايا معاصر في فكرنا المعاصر ، دارالتنوير، بيروت 1983، ط:2 ، ص: 92

(2) سورة فاطر (8)

المتناقضات بين الأفكار التي تعلمها وبين أفكار المجتمع التي يؤمن بها ، وهذا الصراع يؤدي في النهاية إلى إنكار الذات ، وبالتالي التنكر لمجتمعه وأمته ، وهنا يكمن الخطر!

المطلب الثالث : درس العقيدة الإسلامية والإعجاز العلمي .

أ- مفهوم الإعجاز العلمي :

الإعجاز في اللغة : العَجْزُ ، نقيض الحَزْم ، ومعنى الإعجاز الفَوْتُ و السَّبْقُ ، يقال : أعجزني فلان أي فاتني ، وقال الليث : أعجزني فلان إذا عَجَزْتَ عن طلبه وإدراكه [1]

والمعجزة في اصطلاح العلماء : أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة.

الإعجاز العلمي في الاصطلاح : هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى [2] .

ب- مبررات العمل بالإعجاز العلمي :

يعتبر الإعجاز العلمي في القرآن ، لونا جديداً من تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث ، حيث يربط بين الآيات القرآنية وبين الحقائق العلمية المكتشفة ، وتضاربت مواقف الدارسين في شأنه فمنهم من قبله ووضع له شروطا وضوابط سنذكرها لاحقا ، وبعضهم رفضه بحجة :

- أن القرآن الكريم كتاب هداية وليس كتاب جغرافيا وجيولوجيا وعلوم إلخ..
- وبحجة خطورة ربط حقائق القرآن الثابتة بالنظريات العلمية المتغيرة النسبية ، الذي قد يؤدي إلى اضطراب ثقة الناس بالقرآن الكريم .

وكان رد القائلين به كما يلي :

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، المرجع السابق ، ص: (369- 370)

(2) عبد الله المصلح ، الإعجاز العلمي ، تاريخه وضوابطه ، دار جياد ، السعودية 2011 ، ط: 3 ، ص : 22

– تعظيم الله يزداد، عندما تتطابق الحقائق العلمية مع الإشارات القرآنية، ونستطيع أن نمثل على ذلك بحديث القرآن الكريم عن الجبال: فقد تأكد في علم الجيولوجيا أن هناك كتلاً يابسة منغرسة في الأرض أضعاف ما هو ظاهر من الجبل، وتقوم هذه الكتل المنغرسة بحفظ توازن الأرض، ولولاها لاضطربت الأرض واختل توازنها، والله تعالى يقول: (**وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**) فهناك تشابه بين صورة الجبال المنغرسة في الأرض، وصورة الأوتاد المرتبطة بالخيمة ، و هو تشابه على الحقيقة .

– أما بالنسبة للحجة الثانية التي تدعي بأن الربط بين الآيات الكريمة وبين الحقائق العلمية قد يهز الثقة في القرآن الكريم وبخاصة عندما يتغير الموقف العلمي، فالربط يجب أن يكون بين الحقائق العلمية وبين صريح القرآن الكريم، والحقائق العلمية لا تتغير، وعندما تتغير فهي ظنون علمية وليست حقائق علمية، و قد ذكر ابن تيمية بأنه لا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول ، وإذا حدث تعارض فهذا يعني أحد أمرين: إما أن العلم العقلي غير صحيح فهو ليس علمًا، وإما أن القول المنقول ليس ثابتًا فهو ليس من الإسلام .

وهكذا يمكن القول بأن الإعجاز العلمي يعتبر سندا مهما في عصرنا هذا ، نستفيد منه في عرض دروس العقيدة الإسلامية في مجال التربية والتعليم .

ويستند القائلون بالعمل بالإعجاز العلمي على ضوابط من باب الاحتياط .

ضوابط الإعجاز العلمي :

1- أن يقتصر الإعجاز على الحقائق العلمية المقطوع بها ، فلا حاجة إلى التسرع في الاكتشافات العلمية لربطها بنصوص الوحي قبل أن تستقر وتكتسب مصطلح الحقيقة العلمية.

2- ألا يكون التفسير العلمي أو الوجه من أوجه الإعجاز العلمي مجزومًا به عند تفسير النص، بل ينبغي أن يساق على أنه قول في تفسير الآية أو شرح الحديث.

3- ألا يقتضي التفسير العلمي للآية نقض ما جاء عن السلف فيها، فإن كانوا قد أجمعوا على معنى فلا يكون مستلزمًا نقضه، وإن يجمعوا واختلفوا فلا يكون أيضًا

مستلزمًا لنقض جميع ما ورد عنهم، بخلاف ما لو وافق البعض واستلزم نقض البعض الآخر، فذلك لا يمنع التفسير به.

4- ألا ينطلق التفسير العلمي التجريبي من منطلق الانبهار بالحضارة والمكتشفات المعاصرة، وحمل النص على وجوه بعيدة، وينعكس ذلك على الصياغة التي يساق بها هذا التفسير من حيث يشعر القارئ له بالهرولة بالنص وراء ما اكتشف .

5- ألا يعارض اللغة وقواعد النحو .

6- ألا يكون مستلزمًا لمخالفة البلاغة القرآنية.

7- جمع النصوص القرآنية أو الحديثية المتعلقة بالموضوع ورد بعضها إلى بعض لنخرج بنتيجة صحيحة لا يعارضها شيء من تلك النصوص بل يؤيدها .

8- عدم الخوض فيما يتعلق بصفات الله تعالى، مما قد يفهم منه نوع من التأويل، كمثل من فسَّر الكرسي والعرش ببعض الأجرام السماوية، ونحو ذلك.

9- عدم التأويل المتكلف، فالأصل ظاهر اللفظ ولا يعدل عن ظاهره إلا بقرينة قوية

10- عدم الخوض في الآخرة وما يتصل بها كالبرزخ والقيامة، فالنظريات التي تتحدث عن نهاية الكون ، مع كونها لا تصل إلى الحقائق ولا يمكن ذلك لأنه أمر مستقبلي ، لا يمكن بأي حال القطع به من جهة العلم التجريبي.

11- إظهار وجه الإعجاز ، فإذا تم ذلك لم يبق على الباحث سوى أن يظهر الربط بين الحقيقة الشرعية والعلمية بأسلوب واضح مختصر.[1]

وبالالتزام بهذه الضوابط نحقق أهدافا وفوائد عظيمة تخدم الدرس العقدي منها :

- تصحيح مسار العلم التجريبي ، لقد جعل الله تعالى النظر في المخلوقات ، الذي تقوم عليه العلوم التجريبية طريقا إلى الإيمان به ، وطريقا إلى الإيمان برسوله ، وتصديقا بما في القرآن ، ودليلا على الإسلام .

- تنشيط المسلمين للاكتشافات الكونية بدوافع إيمانية ، فالتفكير في الآيات الكونية عبادة ، والتفكير في معاني الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة عبادة وتبيينها

(1) عبد الله المصلح ، الإعجاز العلمي تاريخه وضوابطه ، المرجع السابق ، ص : 32

للناس دعوة إلى الله ، وهذا كله متحقق في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وهذا من شأنه أن يحفز الناس إلى اكتشاف أسرار الكون بدوافع إيمانية تعبُر بهم فترة التخلف التي عاشوها فترة من الزمن في هذه المجالات[1] .

- **دور الإعجاز العلمي في تفعيل الدرس العقدي:**

والإعجاز العلمي ليس بالجديد ، فلو نظرنا لتفسير الرازي لوجدناه يتبنى تأويل بعض آيات القرآن الكريم من منطلق ما وصلت إليه معارفه في علوم عصره من الطبيعيات والكونيات ، وكان الرازي شديد الملاحظة بعيد الفكرة في تأمل القرآن، ينظر في الآفاق والأنفس انطلاقا من البيان القرآني المعجز[2] ، يقول في تفسيره لسورة الفاتحة : (أما قوله جل جلاله " {**الحمد لله**} " فاعلم أن الحمد إنما يكون حمدا على النعمة والحمد على النعمة لا يمكن إلا بعد معرفة تلك النعمة لكن أقسام نعم الله خارجة عن التحديد والإحصاء كما قال تعالى:(**{ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا }** [3]

وقد تناول تفسير الرازي جوانب من الأعجاز العلمي ، وسجل له السبق في الإعجاز العلمي ، مثل قوله : " ولنتكلم في مثال واحد وهو أن العاقل يجب أن يعتبر ذاته وذلك لأنه مؤلف من نفس وبدن ؛ ولا شك أن أدون الجزأين وأقلهما فضيلة ومنفعة هو البدن ثم إن أصحاب التشريح وجدوا قريبا من خمسة آلاف نوع من المنافع والمصالح التي دبرها الله عز وجل بحكمته في تخليق بدن الإنسان ثم إن من وقف على هذه الأصناف المذكورة في كتب التشريح عرف أن نسبة هذا القدر المعلوم المذكور إلى ما لم يعلم وما لم يذكر كالقطرة في البحر المحيط وعند هذا يظهر أن معرفة أقسام حكمة الرحمن في خلق الإنسان تشتمل على عشرة آلاف مسألة أو أكثر ؛ ثم إذا ضمت إلى هذه الجملة آثار حكم الله تعالى في تخليق العرش والكرسي وأطباق السموات وأجرام النيرات من الثوابت والسيارات وتخصيص كل واحد منها بقدر مخصوص ولون مخصوص

(1) سيف الدين الكاتب ، دلائل الإعجاز العلمي.. دار الشرق العربي ،بيروت ، 2006 ، ط:1 ، ص : 28

(2) سيف الدين الكاتب ، السابق ، ص : 7

(3) سورة إبراهيم (34)

وغير مخصوص ثم يضم إليها آثار حكم الله تعالى في تخليق الأمهات والمولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات وأصناف أقسامها وأحوالها – علم أن هذا المجموع مشتمل على ألف ألف مسألة أو أكثر أو أقل ثم إنه تعالى نبه على أن أكثرها مخلوق لمنفعة الإنسان [1] .

وربط درس العقيدة الإسلامية بالإعجاز العلمي ، هو محاولة لمسايرة الواقع ، وتفعيل درس العقيدة في واقع الحياة ، ونحن نعيش تطورات علمية متتالية ومتسارعة ، تحدث عنها القرآن ولم نكن ندركها أو نعرف تفسيرها لو لا الاكتشافات العلمية ، ولذلك قال تعالى بصيغة المستقبل : **{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }** [2]

واكتشاف الحقائق العلمية في الآفاق والأنفس دليل للإيمان بما أنزل على محمد ﷺ ، ويمكن أن يخاطب به من يدعوهم إلى الله تعالى ممن انبهروا بالاكتشافات العلمية والأمور التجريبية ولم يؤمنوا بنصوص الوحي .

(1) الرازي ، مفاتيح الغيب ، دار الفكر ، بيروت ، 1981 ، ج : 1 ، ص : 14

(2) سورة فصلت (53)

المبحث الثالث

العلوم الإيمانية ودورها في صياغة الدرس العقدي

المطلب الأول : المقصود بالعلوم الإيمانية

نعني بالعلوم ، كل العلوم الكونية منها والإنسانية التي تدرس في الكليات والجامعات والمعاهد والمدارس والتي لا تتعارض مع تعاليم الإسلام ، ذلك أن المنهج المعرفي الإسلامي يمتاز برؤية شمولية ، فهو لا يفصل بين المعرفتين العلمية والدينية ، فسائر العلوم التي تنطوي على منافع وفوائد معتد بها يمكن اعتبارها معارف إسلامية ، وبالتالي فإن تقسيم العلوم والمعارف إلى إسلامية وغير إسلامية لا يستند إلى أساس علمي، ولا ينسجم مع القرآن الكريم والسنة الشريفة .

ووصفها بالإيمانية ، على اعتبار أن هذه العلوم تدرس لا لذاتها وإنما لغيرها أي ندرسها لكي تعرفنا بالخالق ، وتقوي إيماننا ، وحتى وإن قيل أنها لكي تسعد الإنسان في حياته ، فقد أثبت الواقع أن المادة لم تسعد الإنسان ، وأن هذه العلوم بتطورها لم تحقق للغرب سعادة حقيقة ، فهم في حاجة إلى الإيمان ، ولو تأملنا منهج القرآن الكريم في تعامله مع هذه العلوم ، فهو يحدثنا عن الحقائق العلمية التي اكتشفها العلم والتي لم تكتشف بعد ، فإن القرآن يعرضها ويربطها بالإيمان ، وهو الغاية المقصودة ، فهذا الطرح إنما استوحيناه من القرآن الكريم .

فمثلا عندما ندرس العلوم الطبيعية (البيولوجيا) فإن لم نربطها بالإيمان ونبين أوجه قدرة الخالق ، تبقى هذه المادة مجرد معارف جافة ميتة لا حياة فيها ، وحين نربطها

بالإيمان نشعر بقوة هذه المادة وحيويتها ، إننا نريد أن نربط القوانين البيولوجية بواضعها الحقيقي وليس بمكتشفها ، حيث يصبح هذا العلم وسيلة لتقوية الإيمان .

وإذا كان ابن خلدون قد صنف العلوم إلى صنفين : طبيعية يهتدي إليها الإنسان بفكره ، ونقلية تستند إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، وأصلها من الكتاب والسنة [1] فإننا نريد من العلوم الإيمانية الربط بين الصنفين بما يخدم العقيدة الإسلامية ، ومنه يحدث التكامل المطلوب ، الذي يعطي تصورا شاملا لفكرة الوجود والغاية منه.

هذا التصور الشامل للوجود هو الحلقة المفقودة في المدنية الغربية ، لأن الفكر الغربي ، فكر مادي لا يؤمن بالروحيات ، سواء على المستوى النظري أو على المستوى العملي ، وهو الأمر الذي جعل من مدنية الغرب ، مدنية لا تلائم الإنسان ولا تحترم خصائصه ،كما يقول سيد قطب وهو يتكلم عن عناصر المأساة الغربية:(.. قيام حضارة مادية لا تلائم الإنسان، ولا تحترم خصائصه ، تعامله بالمقاييس الآلية وبالمقاييس الحيوانية ، التي أمكن دراستها في عالم الحيوان)[1] و يؤكد هذا ألكسيس كاريل في كتابه "الإنسان ذلك المجهول" : (.. إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتها الحقيقية ، إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس ، وأوهامهم ، ونظرياتهم ورغباتهم وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا)[2] وهذا المنهج الذي اتبعه الغرب ، جعل الإنسان الغربي يتخبط في بيئة الانحلال الخلقي والتفسخ العائلي والقلق النفسي والاضطراب العقلي وزيادة حجم الجريمة والانتحار.

فكل هذه المخاطر التي تهدد الإنسان الغربي ، جعلت من بعض علماء الغرب ، وعلماء الإسلام يدقون ناقوس الخطر ويشعرون بضرورة المؤاخاة بين المادة والروح بين العلم والإيمان .

(1) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، المرجع السابق ، ص: 403 .

(2) سيد قطب ، الإسلام ومشكلات الحضارة ، دار الشروق ، بيروت ، 1980 ، ط:6 ، ص: 7 .

(3) ألكسيس كاريل ،الإنسان ذلك المجهول ،تر: شفيق أسعد ، مكتبة المعارف ،بيروت 2003 ،ط: 1 ، ص:37

هـذا الـربط مـن شـأنه أن يشـعر العـالم بالاطمئنـان ، لأن الظـواهر الـتي يدرسـها تتسـم بالاسـتمرارية ، ومشـيئة الله تعـالى اقتضـت اسـتمرارية الأشـياء ، والتعمـيم فيهـا لـه معـنى مـن خلالـه نتعـرف علـى الخـالق وقدرتـه العظيمـة في الخلـق ، وهـذه النقطـة مفقـودة في الفلسفة المادية الغربية .

المطلب الثاني : علاقة العلوم الإيمانية بالدرس العقدي

علمـاء هـذا العصـر ، يواجهـون إلحـادا مـن نـوع آخـر ، إلحـاد مغلـف بالعلميـة، خلافـا للإلحـاد النظـري القـديم الـذي اكتفـى بمجـرد الحجـج والجـدل العقلـي ، الـذي يناقش الجواهر والأعراض .

إلحـاد اليـوم يناقش منـاهج البحـث العلمـي، وحتميـة المـادة ، والاحتمـالات الرياضـية لتـأثير الصـدفة في نشـأة الكـون ، وحتميـة التطـور وغـير ذلـك مـن الموضـوعات الجديدة ، التي يحاول بها إلحاد هذا العصر زعزعة العقيدة واجتثاث جذور الإيمان

مـن هنـا كـان علـى المتخصصـين في العقيـدة الإسـلامية أن يواكبـوا هـذا التطـور الخطـير الـذي طـرأ علـى السـاحة الإسـلامية، وذلـك بإعـادة صـياغة درس العقيـدة الإسـلامية بمـا يتناسـب وهـذا العصـر ، دون المسـاس بالثوابـت الـتي أقرتهـا النصـوص الشـرعية مـن القـرآن والسـنة ، كإزالـة مـا يمكـن إزالتـه مـن مواضـيع علـم الكـلام ومصـطلحاته الـتي لم يعـد لهـا فائـدة في العصـر ، ووضـع منهـاج دراسـي جديـد لـدروس العقيـدة الإسـلامية مـن حيـث الموضوع والأسلوب وتراعى فيه الأدلة العلمية التي تبطل الحجج والشبهات .

وإنـه لأمـر غريـب حقـا أن يـدرس طالـب العقيـدة الإسـلامية في المعاهـد والجامعـات الإسـلامية فرقـا كالكراميـة[2] والنظاميـة[2] والعجروديـة[2] وغيرهـا مـن الفـرق المنقرضـة ، فحـين لا يعلـم شـيئا عـن فـرق منهـا القديمـة ومنهـا الجديـدة ، لهـا وجـود واقعـي مـؤثر،

(1) أتباع محمد بن كرام (ت: 255 هـ) وهم طوائف عدة ، اشتهروا بالتشبيه ، ص: 233

(2) نسبة لإبراهيم بن هاني البصري المعروف بالنظام معتزلي ، ص: 411

(3) فرقة من الخوارج أصحاب عبد الكريم بن عجرد ص : 268

المرجع : عبد الله فالح ، معجم ألفاظ العقيدة ، مكتبة العبيكان ، الرياض 1997

فلاشك أن هذا الفراغ الفكري له آثار سلبية على عقول الشباب والدارسين ، ويسبب الانعزالية واللامبالاة ، وأخطر من ذلك تتسبب في ظهور فرق جديدة تكفر المجتمعات وتدعو إلى الانتقام أو الإرهاب ، ومنها ما يدعو إلى الانعزال وقطع العلاقات الاجتماعية والأخوية بين المسلمين بسبب منهاج غير متأكد من صحته بوحي سماوي ، على اعتبار أنه يمثل الإسلام ، وغيره ضلال وكفر يجب هجرانه وبذلك يهدمون أصول العقيدة وأصول المعاملة التي أكد عليها الله تعالى في القرآن وكذلك الرسول ﷺ في أكثر من مناسبة ، والمصيبة الأعظم أن تصدر هذه الأفكار من دعاة ومنظرين لهذه المناهج ، وهذه الحالة المؤسفة قدمت خدمة جليلة لأعداء العقيدة الإسلامية . إذ كان الأولى أن يلتفوا حول هذه العقيدة متحابين متآخين يعذر بعضهم بعضا فيما اختلوا فيه ، ويجمعوا أمرهم فيما اتفقوا عليه .

يجب أن ندرس العقيدة على أساس أنها تساهم في حل المشكلات الفكرية والعقلية والعملية في واقع الناس ، وليس على أساس أنها تدرس لمجرد المعرفة والثقافة ، والحصول على الشهادة العلمية ثم الحصول على عمل ، دون أن نقدم شيئا مؤثرا للمجتمع ، الذي تحولت حياته إلى تقاليد موروثة يحافظ عليها على أنها تقاليد ، لا على أنها جزء من منهج حي يحكم الحياة ، فيجب الرجوع إلى مصادر العقيدة الأساسية وهي : القرآن والسنة ، وتنقية دروس العقيدة الإسلامية من الشوائب والزوائد ، والخروج بمنهجية صحيحة لدراسة العقيدة الإسلامية .

فعقيدة التوحيد تدفع العلم إلى ما لا يعرفه الغرب عن الغيب ، لأنها تعطي تصوراً أن هناك علماً ظاهرياً وآخر غيبياً ، فمن الواجب على مدرس البيولوجيا مثلا أن يقف وقفة مع الله تعالى في خلقه ، ويشعر طلبته بعظمة الخالق .

ونحن في هذا العصر في أمس الحاجة إلى العلوم الإيمانية، أكثر من حاجتنا إلى العلوم والمعارف المتراكمة المجردة الخالية من المسؤولية ، البعيدة عن الأهداف المرجوة ، فالمطلوب هو جمع كل المعارف العقلية والنقلية في إطار واحد تكاملي يسمى العلوم الإيمانية، وهو جوهر إصلاح المنظومة العقدية وتفعيل دورها ، وإعادة صياغة الإنسان

المسلم المفكر الواعي بما يجري من حوله، ذلك المسلم الذي يجمع بين الحسنيين : العلم والإيمان .

المطلب الثالث : علاقة العلم بالإيمان :

الإيمان هو المحرض على اكتساب العلوم والمعارف، حتى نستطيع أن نقول أن الإسلام جعل الإيمان علما والعلم إيمانا ، وهذا هو السبب الذي جعلني أركز على هذا المصطلح وهو " العلوم الإيمانية" لوجود التلازم المطلوب من أجل إعادة صياغة العلوم ليكون لها الدور الفعال في تحقيق النهضة الحقيقية وبناء الحضارة الإنسانية ، فكل ما وصلت إليه العلوم في عصرنا الحديث من تطورات مبهرة باستخدام المنهج التجريبي ، كلها في صالح الدرس العقدي ، فالعلم يدعو إلى الإيمان ، ويجب معرفة الإيمان على ضوء العلم ، لأن الفصل بينهما يتحول الإيمان إلى الجمود والعلم إلى الانحراف ، فالعلم يهتدي بالإيمان ، والإيمان يتبين بالعلم ، فالباحث في العلوم الكونية كمن دخل بيتا واسعا مظلما يستكشف أسراره ويتعرف على ما فيه فهو يحتاج إلى مصباح يتعرف به على الأشياء ، والمصباح هو الإيمان ، فإن كان العلم نور فالإيمان ضياء ، وبتزاوجهما تتجلى الحقيقة قال تعالى: **{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ }** [1] .

يشهد بذلك تاريخ الإنسان منذ هبط الأرض وتولد عليها . فإنه لما انفرد بعقله عن المرشد الإلهي والدليل القطعي ندّ وشرد في مجاهل الطغيان . فعبد الكواكب والنار والعجل والحجر ، واتخذ من البشر إلها ، واعتمد الطبيعة هي الفعالة في هذه الكائنات المنظمة لشؤونها وأوضاعها التي حيرت العقول بانتظامها وترتيب صنعها العجيب ، فضل الطريق وانحرف ، فتفضل الله تعالى على الإنسان بالوحي وأرسل الرسل يهدونه إلى الطريق الصحيح[2] .

والأمة الإسلامية تعاني من غلبة النقل والتقليد وفقدان الإبداع ، والاستسلام للآخر وكان ذلك بسبب ما طرأ من تغيير على المفاهيم الإسلامية الأساسية ، وتغيير سلم الأولويات كما رتبها الإسلام في كتابه وسنته ، ودخول أفكار خارجية أقحمت

(1) سورة محمد (19) .

(2) عبد المجيد المغربي ، علم العقائد ،(بالتصرف)، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان 2006 ، ص: 19

مباشرة أو بالتأويل ، وما ابتدع في مجال العقيدة والعبادات ، مما أخل بعقيدة التوحيد التي هي محور الإسلام وجوهره وسبب قوته ، فما طرأ من تغيير كبير وانحراف وتشويه في مفهوم القضاء والقدر واعتباره استسلاما للواقع ، والتوكل واعتباره تركا للأسباب وإهمالا وللزهد واعتباره تركا للعمل والكسب ، وللعبادة وحصرها في الشعائر والمناسك دون سائر الأعمال.. ، إن هذه التغييرات أورثت ضعفا علميا واقتصاديا وعسكريا وسياسيا..[1] .

(1) محمد المبارك ، نظام الإسلام العقائدي ، المرجع السابق ، ص : 10

المبحث الرابع

أسس إصلاح الدرس العقدي وضوابط تجديده

۞ المطلب الأول : دواعي الإصلاح والتجديد .

قامت العقيدة الإسلامية بدور عظيم وجليل في صياغة الإنسان الحضاري ، وخطت خطوات مباركة في أداء رسالة الإسلام ،كما هو معلوم ، لكن منهاج العقيدة اليوم لم يحقق مقاصده كما ينبغي مما يستدعي الدعوة إلى التجديد وإعادة الصياغة من جديد .بما يخدم أهداف العقيدة الإيمانية ، ومقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقبل الحديث عن الأسس والضوابط ، يجدر بنا أن نتعرف عن دواعي الإصلاح والتجديد :

وقد أجمل لنا محمد الغزالي الدواعي للتجديد حين ذكر سبب تأليفه لكتاب " عقيدة المسلم " نذكر منها بعض المقتطفات باختصار : (..بين المسلمين اليوم نزاع يفصم وحدتهم حول ما دار بين علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة في مسائل الخلافة ..لماذا نقحم هذه الأمور إقحاما في شئون العقيدة ، ولماذا لا تبقى في نطاق الذكريات التاريخية نأخذ منها العبرة ، وما صلة ذلك بالإيمان بالله واليوم الآخر ..وقد بذلت جهدي – حين تصديت لتصوير عقيدة المسلم – أن أتجنب أشواك هذا الخلاف ..وإذا كان علم التوحيد (العقيدة) على النحو الذي وصفنا ، فإن كتبه التي تشيع بيننا الآن فشلت في أداء رسالتها شكلا ومضمونا . فمن ناحية الشكل لا معنى البتة لعرض علم ما في توزيع مضطرب بين متن وشرح وحاشية وتقرير ، وفي لغة ركيكة اللفظ ، سقيمة الأداء ..فهل يبقى الكلام في العقائد حكرا على هذا النمط من الحواشي والمتون

، على أننا إذا تغاضينا عن الشكل ، وتعرضنا للجوهر بالنقد والتمحيص ، لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب الإلهي من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم ..ويبدو أن الأسلاف الباحثين في هذه الناحية من الإسلام قد فتنهم الإعجاب بما نقله إليهم التراجمة من ثمرات العقل اليوناني ..ومن العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية ، وتطوي الصفحات الطوال ، فلا تكاد تعثر على آية أو حديث ..)[1]

إننا في ضوء المعطيات العقدية الإيمانية والمعطيات المنهجية مؤهلون لأن نفهم طبيعة الموقف الذي يتخذه الإنسان من الكون ، وكيفية التعامل مع أحداثه وظواهره ، فالإنسان لا يمكن أن ينسب شيئا للصدفة أو الأقدار العمياء ، فالزلازل والبراكين والأعاصير والكوارث وغيرها .. هي نواميس وقوانين أودعها الله تعالى في الكون من أجل هدف قد لا يظهر للإنسان في الوقت الحاضر ، تندرج في إطار النظر إلى الأنفس والآفاق قال تعالى : **{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }** [2]

ويجب أن نفرق بين المنهج الثابت الذي لا يتغير في عرض العقيدة الإسلامية ، والمتغير الذي يتماشى وكل عصر ، ويفرضه الواقع ، فالله تعالى تعامل مع الأقوام ، كل حسب عصره في تأييد رسله بالمعجزات فموسى عليه السلام كانت معجزته العصى لأن قومه قوم سحرة ، وعيسى عليه السلام كانت معجزته احياء الموتى بإذن الله وإبراء المرضى ، حيث كان الطب منتشرا في ذلك الوقت ، والجزيرة العربية كانت معروفة بالفصاحة والبلاغة ، لذلك كانت معجزة النبي ﷺ القرآن الكريم ، وهو معجزة صالحة لأي عصر ، وفي جميع هذه الحالات كانت العقيدة واحدة لا تتبدل سواء في عصر موسى أو عيسى أو محمد **– عليهم الصلاة والسلام–** قال تعالى : **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }** [3] وهي دعوة جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام في أي عصر.

---

(1) محمد الغزالي ، عقيدة المسلم ، نهضة مصر ، مصر 2004 ، ط : 4 ، ص : (6-8)

(2) سورة فصلت (53)

(3) سورة الأنبياء (25) .

المطلب الثاني : أسس إصلاح الدرس العقدي .

للأسباب والمشاكل التي ذكرناها في المباحث السابقة ، يتوجب الدعوة إلى الإصلاح والذي نعنيه هو الإصلاح المستمد من القرآن والسنة و سيرة الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة والسلام لتحقيق العبودية لله تعالى ، وهو دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى التصحيح والإصلاح .

الإصلاح المطلوب هو النهج الذي سلكه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام , وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ، في دعواتهم لأممهم التي أرسلهم الله إليها، فهذا هو الطريق الأمثل الموصل إلى الغاية المرجوة ومحورها الأصيل، العبودية المطلقة لله وحده، وتحقيق الألوهية له ﷻودعوة الناس إليها، وتربيتهم عليها قبل أي شيء آخر، وهذه هي دعوة الرسل جميعاً.

إذن فكل إصلاح يجب أن ينطلق من منطلق الرجوع إلى منهج الرسولﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في نشر عقيدة الإسلام ، بعيدا عن الجدال الكلامي والمصطلحات الفلسفية التي أدت إلى التفرق وتعقيد العقيدة ، قال تعالى: **{ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ }** [1] .

والمنهج المتبع لإصلاح درس العقيدة يستند على أسس منها :

1- " الإصلاح يقتضي التركيز على ضرورة التوازن بين النص والعقل، فالإسلام كما نعلم يحترم العقل ، ويدعو إلى النظر والتفكير ، ويحث على العلم والتعلم ، وينهى عن التقليد وينفر من إيمان المقلد، والعقل قد أثبت عجزه في تفسير كثير من الظواهر الكونية المحسوسة ، ناهيك عن الظواهر الغيبية ، مثل التي تتعلق بالخالق ﷻ والتي نثبتها من خلال عناصر الوجود المادية (الكون ، الإنسان ، الحياة)" [2]، وهي تدل يقينا على وجوده وقدرته ، وتفكير العقل محصور في مجال محدود بدءا من وجود

(1) سورة الأنعام (90)

(2) عبد المجيد النجار ، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل ، المعهد الإسلامي ، فرجينيا2005 ، ط:3 ص : 73

الكـون إلى نهايتـه . وأمـا مـا يكـون قبـل الوجـود ، ومـا بعـده، فهـذا لا سـبيل للعقـل أن يدركـه ، إلا مـا كـان عـن طريـق الـوحي، ومـن خـلال السـنة الصـحيحة ، قـال تعـالى: **{وَمَـا يَنطِـقُ عَـنِ الْهَـوَى * إِنْ هُـوَ إِلَّا وَحْـيٌ يُـوحَى }**[1] . ولـذا فـلا بـد مـن التـوازن لاكتسـاب المعرفـة وإدراك الحقـائق . مـع الحـذر مـن إقحـام العقـل في مسـالك لا يمتلـك أدواتهـا يـؤدي بـه الأمـر إلى متاهـات لا يخـرج منهـا ، فـإذا ثبـت الـدليل بـالنص يقينـا ، فعلى العقل الاستسلام والعمل به .

2- واقعيـة الموضـوع، بـأن يكـون الفكـر العقـدي الحـديث يطـرح القضـايا والموضـوعات الـتي تمثـل مشـاكل حقيقيـة، تعيشـها الأمـة ، مثـل موضـوع الإنسـان وقيمتـه الذاتيـة وعلاقتـه بـالكون ، وغايتـه ومصـيره ، وهـذا باعتبـار أن الإنسـان هـو محـور الوجـود ، ومـا يتعـرض له من إهانة في الكرامة .

3- يجـب حـذف كـل المسـائل الـتي تـدعو إلى تكفـير أهـل القبلـة ، والواقـع يقتضـي توحيـد صـف المسـلمين ، والمسـائل الخلافيـة يرجـع علمهـا إلى الله تعـالى فهـو أعلـم وأحكـم ولا فائدة من الخوض فيها .

4- التركيز على البعد النفسي لعقيدة التوحيد وتعلق القلب بالرجاء في الله تعالى ، وذلك لأن العقيدة الإسلامية لها قدرة فعّالة على التغيير ، والإنسان مصيره بمدى تغييره ، قال تعالى: { **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** }[2]

5- طـرح القضـايا الـتي تتعلـق بالعلاقـة بـين العلـم والإيمـان، وإعطـاء صـورة حقيقيـة عـن الإسـلام بـدل تلـك التصـورات الـتي تتناقلهـا وسـائل الإعـلام المختلفـة والـتي تضـع الإسلام في قفص الاتهام .

(1) سورة النجم (04)

(2) سورة الشمس (7-10)

المطلب الثالث: تجديد درس العقيدة الإسلامية :

التجديد أمر ضروري في كل عصر، تماشيا مع تطور حياة الإنسان وما يطرأ عليها من حقائق ومستجدات ، وبسبب انتشار الشبه والجهل وقلة العلم ، وتكالب الأعداء على الأمة ، وانتشار المخالفات العقدية والشرعية ، واستخفاف كثير من الناس بالسنة وبالأخلاق والفضائل .

والإيمان يبلى ويضعف في قلب المرء من أثر الشبهات والشهوات ، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " **إنَ اللهَ يَبْعَثُ لهَذِهِ الأُمَة عَلى رَأسِ كُلِ مَائَة سَنَة مَنْ يُجَدِدَ لهَا دِينَهَا** "[1] .

وعن إبراهيم بن عبد الرحمان قال ، قال رسول اللهﷺ : (**يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**)[2]

فيجب أن نهيء أنفسنا للتجديد والإصلاح ..، ونحن مطالبون بالمحافظة على كل الأصول التي تُبقي على الواحد منا عبداً لله ﷻ قائما بأمره ، ومبتغيا لمرضاته ، لكن علينا ألا نغفل عما يتطلبه التوافق مع حركة التاريخ من الفاعلية والتفوق النوعي ، والنجاح في مشروعاتنا ، وتحسين مستوى إنتاجنا ، والفهم العميق للتحديات المحيطة بنا..وحين نزواج بين أصول التدين الحق ، وفعاليات المعاصرة ، فإننا نؤهل أنفسنا للسيطرة على "الحداثة" التي تسعى بطبيعتها إلى جعلنا ننعتق من كل قيد ، ونضرب في متاهات الجديد عن جذورنا الثقافية.[3]

والتجديد بالرؤية الإسلامية يعني الانتقال من البرمجة الغريزية إلى البرمجة العقلية ، فالتيار الجارف الذي ينقل الناس من حال إلى حال ليس تيارا عقلانيا ، وإنما هو تيار غريزي ، فوسائل الإعلام وخاصة الفضائيات تحرك غريزة الجنس، وتحطم الآداب

(1) أخرجه أبي داود ، التبريزي ، مشكاة المصابيح ، المرجع السابق ، ج : 1 ، رقم الحديث : 247 ، ص: 82

(2) أخرجه البيهقي ، مشكاة المصابيح ، المرجع السابق ، ج : 1 ، رقم الحديث 248 ، ص: 82

(3) عبد الكريم بكار ، تجديد الوعي ، المرجع السابق ، ص: 163

والأخلاق ، واقتصاد السوق يدفع بغريزة الاستهلاك إلى المقدمة ، وكان البشر قديما ينتجون ما يحتاجون إلى استهلاكه ..وهكذا حيثما اتجهت تكتشف أن زماننا هو زمان الغريزة لا زمان العقل ! فلابد من وقفة عقلانية ووجدانية لنرى في النهاية في أي طريق نندفع ، في طريق العقل والروح ، أم في طريق الغريزة ؟. [1]

المطلب الرابع: ضوابط التجديد في الدرس العقدي :

العالم اليوم يشهد تطورات علمية هائلة مبهرة يمكن أن يستغلها علماء الشريعة أو علماء العقيدة على الخصوص لصالح هذه العقيدة وإثبات وحدانيته ودعوة الناس إليها ، من خلال إعادة النظر في تجديد دراسة العقيدة الإسلامية وفق هذه التطورات، ودون أن نحيد عن الضوابط المنهجية التي نهجها الأنبياء والرسل أو نبتعد عن الأصول التي تركها ورثتهم من العلماء فنحن نعلم أن علم العقيدة وضع للمحافظة على سلامة عقيدة المسلم بعيدا عن البدع والانحرافات والخرافات التي وقع فيها كثير من الناس ، ولتحقيق ذلك وجب الالتزام بالضوابط التي وضعها العلماء نذكر منها :

1- أن يكون المقصود بالتجديد ليس هو التوفيق والتقريب بين العقيدة الإسلامية والمفاهيم الفلسفية والعلمية. بمعنى تطويع مبادئ الدين لقيم الحداثة الغربية ومفاهيمها ، وإخضاعه لفلسفتها وتصوراتها ووجهة نظرها في شئون الحياة .

2- نبذ الجدل التاريخي القديم الذي أثير في ظروف معينة ولأسباب معينة ، حيث لا فائدة من وراء بعث القضايا القديمة كما يقول ابو اليزيد: " هناك سمة عامة لكل مظاهر التجديد يؤمن بها كل المجددين هي نبذ الجدل التاريخي القديم الذي أثير في ظروف معينة ولأسباب معينة "[2]

3- التجديد لا يمس الموضوعات العقدية المتعارف عليها اصطلاحا في علم العقيدة ، لكنه يمس التناول والاستدلال والتوجيه[3]

(1) عبد الكريم بكار ، المرجع نفسه ، ص: 164

(2) أبو اليزيد العجمي ، الحضارة الإسلامية ، دار السلام ، القاهرة 2006 ، ط:1 ، ص : 118

(3) أبو اليزيد العجمي ، الحضارة الإسلامية ، السابق ، ص: 119

4- الاستئناس باجتهادات أئمة المسلمين ابتداء من فقهاء الصحابة وإعطاء ما حصل عليه إجماع في الاجتهاد اعتبارا كبيرا.

5- أما أسلوب العرض فيحسن أن يكون مفهوما ومستساغا لدى أبناء العصر الحديث ، مع الحذر من تسرب المفاهيم الغربية عن الإسلام من خلال الأسلوب وخاصة المصطلحات والتعابير التي اتخذت في الأصل أوعية لمضامين فكرية للمذاهب الأخرى .

6- من الواجب مراعاة تقوى الله تعالى في استخراج الأحكام و الأفكار من النصوص ، والتبرؤ من الميل والهوى إلى رأي سابق في النفس ومحاولة الدقة والاستقصاء في البحث .

في الحديث عن هذه الضوابط لا يعني الحصر والاستقصاء بقدر ما يعني الإشارة إلى نوع التجديد وطريقته ، هادفين من وراء ذلك أن نثير القضية ونلفت النظر إليها لدى الباحثين في علم العقيدة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

العلاقة بين الدرس العقدي والتكامل المعرفي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد : الكون والإنسان تسيرهما ثنائية التكامل التي أودعها الله تعالى في هذه الحياة ، فإنسانية الإنسان لا تقبل الفصل بين الجسم والروح ، والكون تتحكم فيه قوتان فيزيائيتان ، القوة الدافعة المركزية الناتجة عن الفتق العظيم الذي عبر عنه القرآن الكريم بالآيتين بقوله تعالى : **{ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }** [1] وقوله تعالى:**{ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ }** [2] والقوة الجاذبة المركزية والتي عبر عنها القرآن بقوله :(**{ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ }**[3]

وفي الحياة يتكامل الخير مع الشر ، والليل مع النهار ، والسالب مع الموجب ، والرجل مع المرأة ، وهكذا .. فالتكامل يشمل كل المخلوقات وحياة الإنسان ، وهذه الثنائية التكاملية هي سنة الله في خلقه ، لتبقى الوحدانية لله وحده جل وعلا، وما دام الأمر كذلك فلماذا نهمل هذه المعادلة الهامة التي نبهنا الله تعالى إلى الاهتمام بها و الرجوع إليها في حل إشكالية الأحادية والتنافر والتباعد السائدة اليوم في كثير من المجالات ، وخاصة في مجال تلقي العلوم والمعارف ، حيث نجد التنافر بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية من جهة ، والعلوم الإنسانية فيما بينها من جهة أخرى ، بسبب فقدان الحلقة الأساسية التي ضاعت بين هذا الركام من المعلومات والأطروحات والمنظومات المستوردة من هنا وهناك ، التي لم تجد نفعا ، وهذه الحلقة هي التكامل المعرفي بين معارف الوحي ومعارف العقل .

(1) سورة الأنبياء (30)

(2) سورة الذاريات (47)

(3) سورة الأنبياء (104)

المبحث الأول

التكامل المعرفي ، المفهوم والمضمون

نظرا لأهمية التكامل المعرفي بين العلوم وعلاقته بالدرس العقدي، الذي هو قطب الرحي في الإشكالية كلها، فإنه يتعين علينا التعرف على مفهوم التكامل المعرفي الذي نقصده، فقد تختلف رؤى الباحثين في المفهوم والمضمون ، ويمكن أن يحدث الاختلاف في المفهوم والاتفاق في المضمون ، وقد يحدث العكس . فلذا لابد أن نحدد مفهوم التكامل المعرفي ومبرراته ومضامينه .

المطلب الأول : [مفهوم التكامل المعرفي]

التكامل في اللغة : مشتقة من الكمال وهو التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه ، أنشد سيبويه قائلا : على أنه بعدما قد مضى ثلاثون للهَجْر حَولا **كميلا**

وأكملت الشيء أي أجملته وأتممته [1] .

وكمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه ، فإذا قيل كَمُلَ ذلك فمعناه حَصَلَ ما هو الغرض منه قال تعالى: { **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** } [2] تنبيها أنه يَحْصُلُ لهم كمال العقوبة [3]

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، المرجع السابق ، ص : 598

(2) سورة النحل (25) .

(3) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، دار الكتب المصرية ،القاهرة ، ص: 569 .

المعـرفة فـي اللغـة : قـال الـرازي في الصـحاح : (المِعْـرُوفُ ضـد المنكـر ، و العُـرْفُ ضـد النكر، والتَعْرِيفُ الإعلام أو إنشاد الضالة ، وتَعَارَفَ القوم عَرِفَ بعضهم بعضا)[1] .

ويلخـص الجرجـاني معـنى المعرفـة فيقـول : (إنهـا إدراك الشـيء علـى مـا هـو عليـه ، وهـي مسبوقة بجهل بخلاف العلم ، ولهذا يسمى الحق –تعالى– بالعالم ، دون العارف)[2]

و المعـارف والعلـوم لا تحقـق الغـرض المقصـود منهـا إلا بتمـام أجزائهـا ، لأن أصـل المعـارف والعلـوم وحـدة واحـدة . فيكـون التكامـل هـو الإطـار العـام الـذي يوجـه جزئيـات المعارف والإختصاصات المختلفة بما يخدم الهدف المطلوب والغاية المنشودة

و التكامـل بمعـنى وضـع الجـزء في مكانـه مـن النظريـة الكليـة الجامعـة في نظـرة شـاملة واعية بالحياة والعمق الزمني الذي يربط الإنسان بالكون .

التكامل المعرفي في الإصطلاح :

المعـارف يصـل إليهـا الإنسـان بالبحـث متكاملـة فيمـا بينهـا لا يتنـاقض بعضـها بعضـاً... كمـا تكـون متكاملـة في تأديتهـا فيمـا يريـد الإنسـان أن يحقـق مـن هـدف. والشـأن في الوضـع المعـرفي الإسـلامي ألَّا تكـون المعـارف فيـه إلا متكاملـة سـواء مـا حصـل منهـا بـالوحي أو بالعقـل أو بـالحس، وذلـك اعتبـاراً لمعـنى الوحدانيـة الـذي تقـوم عليـه الحيـاة الإسلامية بأكملها.

" معـنى التكامـل ، هـو الصـلة المنظمـة بـين الأجـزاء ، ثم التنظـيم الـديناميكي وتأديـة الوظـائف وفـق نمـوذج معـين . والنقطـة الأخـيرة هـي الـتي تميـز التكامـل عـن سـواه مـن أنـواع التنظـيم ، وسـتختلف أنـواع التكامـل بـاختلاف المقومـات الـتي تتكامـل داخـل النظـام الكلـي فيكون لدينا التكامل البيولوجي والتكامل المعرفي والتكامل الأسري ...[3]

(1) الرازي ، مختار الصحاح ، دار المشاريع ، بيروت 2004 ، ط : 1 ، ص: 429 .

(2) الجرجاني ، كتاب التعريفات ، دار الفكر، بيروت 2005 ، ط : 1 ، ص: 153

(3) وهبة مراد ، يوسف مراد والمذهب التكاملي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974 ، ص : 64

يقول أبو بكر ابراهيم: " وفكرة التكامل المعرفي مشروع إصلاحي يستهدف تقويم مسيرة الفكر الإسلامي المعاصر ، وتفعيل مؤسساته العلمية على وجه الخصوص في خدمة قضايا الأمة الإسلامية ، من خلال وصل المعارف الإنسانية والتطبيقية وتسديدها بالوحي المعصوم وتوليد معارف إسلامية قادرة على الاستجابة لحاجات الأمة على مستوى الأفراد والمؤسسات والجماعات والشعوب" [1] .

يحدد ابو سليمان ما يعنيه بمفهوم التكامل المعرفي وأبعاده التطبيقية صورة أوضح في وقوله: " يتكون التكامل المعرفي أكاديميا من دراسات، ومساقات لخدمة فهم الوحي، وتوثيقه وضبطه، وإمداد صاحب كل اختصاص في مجاله المعرفي- سواء كان اجتماعيا أم انسانيا أم ماديا- بالمقاصد ، والمفاهيم، والمبادئ، والقيم، والتصورات، والضوابط الكلية اللازمة لكل مجال وفرد، ولكل صاحب اختصاص ، بهدف توفير لوازم الانتاج العلمي الحضاري الصحيح الراشد "[2] والتكامل المعرفي الذي نقصده هو تفعيل مبادئ الإيمان في كافة المعارف والعلوم وترجمة مبادئ التوحيد في المجال المعرفي ، وتحويل التوحيد من مجرد علاقة إدراكية ، لثنائية عالمي الخالق والمخلوق ، إلى محتوى معرفي يصل الإنسان بربه ، وليس المقصود به هو تكامل العلوم الإنسانية فقط دون العلوم الأخرى ، وبمقدور الإنسان تصور الوحدة الكلية وإحداث تكامل بين طرفيها ، وذلك عن طريق تعقله للوحي واكتشافه لسنن الخلق بشرط انقياده لأمر الله تعالى ﷻ ، وبدون هذا الإنقياد ستظل الأهواء النفسية تتحكم في عقله وتصرفه عن إدراك الحقيقة . كما هو مبين في الشكل (انظر الملحق)

والتكامل لا يتحقق إلا من خلال التوازن في بناء كل من العقل والوحي بصورة متوازنة ، والتكامل ليس هدفا في حد ذاته ، فالهدف الأبعد يكمن في بلوغ قمة الهرم . بتحقيق معنى الخلافة والعبادة وبناء الحضارة الإنسانية الكونية ، تحت ظل وحدانية الخالق وعبادته قال تعالى : **{ قُلْ إِنَّ**

(1) أبو بكر إبراهيم ، التكامل المعرفي وتطبيقاته ..، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا 2007 ، ط: 1 ،ص :335

(2) أبو سليمان عبد الحميد ، المرجع: أبو بكر ابراهيم، المرجع السابق ، ص: 100

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }[1] .

فالكشف عن معنى التكامل موجود على مستوى تكوين الإنسان البيولوجي عندما نقف على عمليات التكامل العصبي من جهة وعمليات التكامل الكيميائي العضوي التي تؤديها مجموعة الغدد الصماء بالاشتراك مع الدورة الدموية ، ومن المعلوم أن الوظائف العصبية والوظائف الكيمائية العضوية تتضمن التعاون والتضاد في آن واحد ، وأن الانسجام الذي يتحقق في نهاية الأمر يتم بفضل هذا التضاد وعلى الرغم منه . فالكائن الحي نظام متكامل وهو وحدة متعددة الجوانب ، كما أنه تعدد موحد ، فكل وظيفة تخضع في عملها لنظام الكل وترمي إلى الاحتفاظ بتوازنه .

فالعلوم والمعارف في الإسلام تقوم على فكرة الوحدة الربانية ، التي تنتهي إليها مظاهر التعدد في الكون المخلوق ، ولذلك يجب فهم تلك المبادئ العقدية قبل الانطلاق في مشروع التكامل بين العلوم والمعارف ، وتصنيف تلك المبادئ في مكانها بين العلوم ووضع منظومة مدروسة . تتماشى مع التصنيف الحالي للعلوم كمرحلة أولى ، بحيث نعمل على تفعيل مبادئ الإيمان في كافة التخصصات التي تدرس في المدارس والكليات والجامعات *، التي يكون لها الأثر البالغ فيما بعد على الحياة العملية ، لأن الغاية من اكتساب المعرفة هو انعكاسها على السلوك و الأخلاق، في إطار التفاضل القائم بين القيم الأخلاقية والقيم النفعية ؛ بحيث لا يُنظر للمعرفة فقط من زاوية الإدراك الحرفي المهني البحت الذي يحصر المعرفة في حدود التخصص الضيقة، فيتم استيعاب المعرفة الإنسانية ضمن مهام الاستخلاف والأمانة.

(1) سورة الأنعام (162-163)

* انظر الملحق ، الشكل 5

المطلب الثاني : ضرورة التكامل المعرفي ومبرراته

نظرا لما تعانيه الأمة الإسلامية منذ عدة قرون من ظاهرة التخلف المعرفي والحضاري و بالقياس إلى المستوى الذي يريده لها الإسلام من وسطية وشهود حضاري ، وبالنظر إلى الإمكانيات الهائلة المتحققة لها ، من عقيدة دافعة للنهوض والتحضر، ومصادر هائلة للطاقة والمواد الخام، ومساحات شاسعة من الأرض الطيبة، ومواقع استراتيجية و حساسة، وغير ذلك ، فإن الخروج من حالة التخلف ، يستدعي معالجة أسبابه والعوامل التي أدت إلى تكريسه، بالرغم من محاولات عديدة للإصلاح والنهوض، وهي دون شك أسباب عديدة ومتنوعة ومتداخلة. ويبدو أن ثمة شعوراً عميقاً يتزايد كل يوم، ويتمثّل في أن نظم التعليم المدرسي والجامعي السائدة في مجتمعاتنا تتصدر أسباب التخلف والعجز عن النهوض. وذلك أن هذه الأنظمة عجزت حتى الآن عن القيام بمهماتها الأساسية في بناء شخصية الإنسان المسلم المنتمي لأمته، والحريص على نهوضها، والقادر على العطاء والإبداع من أجل رفع شأنها، والمتمسك بحقه بجرأة وكرامة، والقائم بواجباته بكفاءة وإخلاص ، ولعل من أهم ما تحتاج إليه نظم التعليم في بلادنا، تحقيق مبدأ التكامل المعرفي. إذن ما هي الضرورة المعرفية والحضارية للدعوة إليه ؟ وما هي المبررات ؟

أ- الضرورة المعرفية :

جاءت فكرة التكامل المعرفي في التعليم الجامعي في البلاد الإسلامية مقابل ازدواجية التعليم ؛ أي وجود نظامين من التعليم ، أحدهما تعليم ديني تقليدي ، يهتم بتعليم مبادئ الدين وأحكامه وشعائره، والآخر نظام مدني يهتم بتعليم العلوم الطبيعية والاجتماعية والتطبيقية ، في غياب الرؤية الإسلامية التوحيدية .

" إن الخلط في الماضي بين قضايا علم الكلام والجدل، وبين إطار الشخصية الإسلامية، ومنهجية المعرفة والأداء الحياتي للإنسان المسلم ، أدى إلى تدمير قوة الدفع لدى الشخصية الإسلامية وجديتها في أداء دورها التعبدي على هذه الأرض، في العمل والإصلاح والابداع والبناء الحضاري ، حيث أدى الجدل الفلسفي العقيم المحتدم بين

الفرق المختلفة حول مسائل العقيدة الإسلامية، إلى تعقيد العقيدة ، أفقدت المسلم الفهم الصحيح للحياة" [1] . في غضون هذه الفترة تبددت الطاقات الفكرية وضاعت الأعمار فيما لا جدوى منه ، وبقي تأثيرها إلى اليوم ، غير أن المصطلحات تبدلت ، من مصطلحات فلسفية إلى مصطلحات حداثية .

فالإنسان والكون والحياة ، كل منها يمثل نظاما متكاملا وهو وحدة متعددة تعدد موحد ويعمل بصورة كلية ، وكل جزئية فيه تخضع لنظام الكل وترمي إلى الاحتفاظ بتوازنه .

ونجد في القرآن الكريم التلميح لمعنى التكامل في قصة شعيب عليه السلام قوله تعالى :

{ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }[2]

فالقرآن الكريم بين في قصة شعيب عليه السلام أن التوحيد والإيمان والعبادة تقتضي الالتزام بالضوابط والسلوك الإنساني في المعاملات الاقتصادية والمالية ، فتوفية المكيال والميزان بالقسط والامتناع عن بخس الناس أشياءهم في البيع والشراء والحذر من الإفساد في الأرض يدخل في مفهوم الدين والتعبد لله تعالى ، ومعنى هذا هناك تكامل بين علوم الدين وعلوم الاقتصاد والمال ، فالاقتصاد مضبوط بضابط الدين قائم على معارف الوحي والواقع ، ولكن قوم شعيب عليه السلام يريدون الفصل بينهما لكي يتسنى لهم الربح السريع بعيدا عن رقابة الدين، وهذا هو الإفساد في الأرض .

ب- الضرورة الحضارية :

حينما نقرأ قراءة فاحصة في تاريخ الحضارة الإسلامية ، نجد أن علماء الإسلام قد ساهموا بإسهامات فكرية ، جمعت بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية ، حيث جمع الكندي بين الرياضيات والفلسفة ، وابن سينا الذي جمع بين الطب والفلسفة ، وابن

(1) المعهد العالمي ،الوجيز في إسلامية المعرفة ، دار الهدى ، الجزائر ، ص : (9-13)

(2) سورة الأعراف (85)

رشد الذي جمع بين الطب والفلسفة والفقه ، والخوارزمي الذي جمع بين الرياضيات والفقه ، والبيروني الذي جمع بين الرياضيات والجغرافيا ومقارنة الأديان ، وأكَّد ابن تيمية على التكامل و"درء التعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول"، وجمع القشيري وغيره من المتصوفة بين "الطريقة والحقيقة" ، فتلك صورة أولى لفكرة التكامل ، فيمكن أن تتبع فكرة التكامل منذ أرسطو حتى عصرنا في مصنفات الفلاسفة والعلماء الذين نظروا إلى الإنسان كوحدة نفسية وجسمية وروحية لا تتجزأ .

و عرف هذا التكامل في الثقافة الأوروبية ، في عصورها المتعاقبة ، كالفيلسوف الانجليزي رينيه ديكارت في القرن السابع عشر ، الذي جمع بين الرياضيات والفلسفة ، وكذلك فعل برتراند رسل في القرن العشرين ، الذي جمع كذلك بين الرياضيات والفلسفة ، وأمثالهم كثير .

ولو تتبعنا هذه الظاهرة لوجدنا أثرها يمتد في الحضارات الإنسانية القديمة والحديثة ، في الشرق وفي الغرب ، وذلك لفاعلية التقاء الثقافة والدين والعلم .

ثم أن الحضارة الإسلامية قد انجبت عقولا متفوقة في جميع ميادين العلم والمعرفة ، التي حفظت التراث الإنساني من الضياع ، ورفدت الفكر الإنساني في العصر الوسيط بالعلوم والمعارف الجديدة ، وتعلمت منها الثقافات التي جاءت بعدها ، وذلك لاقتناع تلك العقول بأن العلم ليست له هوية محددة شرقية أو غربية ، إسلامية أو غير اسلامية ، وعلى أساس أن العلم له منهجه الخاص المرتكز على التجربة ، والمقارنة بين النتائج والمعطيات النظرية ، ثم تكون في النهاية النظرية أو الحقيقة العلمية ، هذا من جهة ومن جهة أخرى رؤيتهم للعلاقة بين العلم والدين والأخلاق التي لا تنفصل ، فهي تستند إلى رؤية كونية توحيدية ، والتي هي منطلق التكامل المعرفي .

- **مبررات الدعوة إلى التكامل المعرفي**

ويمكن أن نلخص مبررات التكامل المعرفي كما أوردها أبو بكر ابراهيم[1] فيما يلي :

1- تتسم النظرة العلمية بضيق الأفق، ولا سبيل فيها إلى معرفة أي شيء ما خلا المادة وخواصها، وتواجه هذه النظرة عناء في التوفيق بينها وبين القيم الأخلاقية والجمالية والفكرية، وقد أثبت العلم المادي عجزه في معالجتها مما اضطر العلم إلى التخلي عنها، بل إلى إنكار وجودها، أو إلى القول: إنها تقع خارج نطاقه .

2- لم تفلح النظرة العلمية أبداً في التوحيد بين العلوم، وتخلق قطيعة بين العلوم والفنون، وترى أن العلوم هي مجال الحقيقة، لكنها حقيقة مجردة من كل القيم، وتعتبر الفنون مجالاً للقيم الفردية، ولا أساس لها من الحقيقة .

3- ازداوجية التعليم التي انعكست سلبا على شخصية المسلم وعقله وفكره ونمط حياته وسنأتي لتوضيحها في مبحث لاحق .

4- خطر العلمانية والعولمة وحركة التغريب والغزو الثقافي في كل ميادين الحياة مما احدث ازداوجية في الشخصية .

5- النظرة المستقبلية وفق الدراسات الحديثة توحي بالعودة إلى الإيمان بوجود الله الواحد، وبإعادة التأكيد على الجانب الروحي من طبيعة الإنسان.

المطلب الثالث : أهداف التكامل المعرفي :

الهدف الأسمى من الحياة هو بلوغ الكمال الإنساني والمعرفة الإلهية ، وما الحياة وما فيها من نشاط وعمل إلا وسيلة لبلوغ هذا الكمال ، وأسباب الإستمرار في الحركة التكاملية للإنسان، والله تعالى يريد من الإنسان أن يبلغ بتلك العلوم والمعارف التي أمره أن ينظر فيها ، مقام القرب منه تعالى ، ويكون هذا عن طريق التوحيد والإيمان والمعرفة ، ومعنى هذا أن تعلم العلوم والمعارف ليس غاية في حد ذاته ، وإنما وسيلة لبلوغ الإيمان ، ونيل رضا الله تعالى بالشكر والحمد ، قال

(1) ابو بكر ابراهيم ، التكامل المعرفي وتطبيقاته ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،فرجينيا، 2007م،ط:1 ، ص : 65

تعالى { **اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** }[1] .

ويقول حسن ملكاوي : " ومع أن الله سبحانه هو المصدر النهائي للمعرفة، إلا أنه عز وجل أتاحها للإنسان بوساطة مصدرين لا ثالث لهما : الوحي والكون، وزود الإنسان بأداتين لا ثالث لهما : العقل والحس، ويعمل العقل في المصدرين معا من أجل فهمهما وتوظيفهما في تحقيق الاستخلاف الإنساني في الأرض ، وكذلك يعمل الحس في المصدرين معا عن طريق توظيف أدوات الحس في المشاهدة والتجريب في أشياء الكون واحداثه وظواهره ، وتوظيف الإدراك الحسي لدلالات نصوص الوحي في الخبرة البشرية "[2]

إن التكامل المعرفي كما كان في العصور الأولى لتأسيس المعرفة الإسلامية، والذي تجسد خصوصا في العقل الموسوعي الشامل لشتى المعارف؛ وما يتعلق بالوحي و الواقع المعيش ومتغيراته الإنسانية، فإنه قد أضحى ضرورة ملحة والحاجة إليه واردة خصوصا في العصر الحديث المتسم بالتطور السريع والمتشعب بتعدد التخصصات الدقيقة، ومن هنا وجب التأكيد على هذا التكامل ، وتتعدد إمكانات أوجه التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم العقل بشتى الوانه المختلفة، بالنظر إلى الرؤى التصورية والغايات المعرفية الطموحة في خدمة الإنسان في علاقته بالكون لديها جميعا، فالتكامل المعرفي له أهدافه ومقاصده التي يمكن أن نلخص بعضها فيما يلي:

1) نظرة التكامل المعرفي تضفي وحدة مذهلة على العلوم، فهي توحد بين العلم والفن لأن كلا منهما يدرس الجمال وينشده بطرائق مختلفة. كذلك فالنظرة الجديدة تتيح التوفيق بين العلم والدين، وتبيّن كيف أن الخبرة العامة تشكّل أساس فروع المعرفة، بما فيها العلم نفسه.

2) تحرير المعرفة من القيم الغربية اللادينية ، وتخليصها من الفساد الذي لحق بها في المدنية الغربية ، ودراسة الكيفية التي غزا بها الغرب المنهاج الإسلامي في عقر داره ، والتي

(1) سورة الجاثية (12)

(2) فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت 2011 ، ط:1، ص:50

قلبت نمط التفكير وطريقة النظر ، وهي المشكلة التي أرهقت العقل المسلم منذ تواصله مع العالم الغربي ، وأدى ذلك إلى الجمود الفكري والنفسي والبعد عن الإيمان ، وأمست ذهنية المسلم منحصرة في الأوهام والتناقضات والخرافات .

3) فحص النموذج الغربي الحديث ونقده في ضوء مبادئ العقيدة الإسلامية .

4) تفعيل مبادئ الإيمان في كافة المعارف والعلوم وترجمة مبادئ التوحيد في المجال المعرفي ، وتحويل التوحيد من مجرد علاقة إدراكية ، لثنائية عالمي الخالق والمخلوق ، إلى محتوى معرفي يصل الإنسان بربه ، وبمقدور الإنسان تصور الوحدة الكلية وإحداث تكامل بين طرفيها ، وذلك عن طريق تعقله للوحي واكتشافه لسنن الخلق بشرط انقياده لأمر الله تعالى ﷻ ، وبدون هذا الإنقياد ستظل الأهواء النفسية تتحكم في عقله وتصرفه عن إدراك الحقيقة .

5) بناء العقل المنتج الذي يستطيع أن يبني المعرفة والحضارة بمفهومها الإنساني الكوني.

المبحث الثاني

تطبيق التكامل المعرفي في المناهج الجامعية

تمهيد :

النظام المعرفي في المناهج الجامعية السائدة اليوم ، ينبني على علوم وفق رؤى قاصرة ، ولدت مشكلات ، من أبرزها تمزيق وحدة كيان الإنسان، والعمل على قطع علاقته بخالق الكون والإنسان ، والوقوف بهذه العلاقة عند حدود المعرفة المادية التجزيئية دون التوصل إلى معارف كلية جامعة كمعرفة خالق الوجود ، قال تعالى: **{ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ، أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ }**[1] فاي علم لا يؤدي إلى التفكر في الكون والنفس والوقوف على غاية الخلق هو علم ظاهر غير متكامل مع تلك الحقائق .

المطلب الأول : [دور الجامعة في تطبيق التكامل المعرفي]

تعد الجامعة أهم المؤسسات الاجتماعية التي تؤثر وتتأثر بالجو الاجتماعي المحيط بها, فهي من صنع المجتمع من ناحية , ومن ناحية أخري هي أداة صنع القيادة الفنية والمهنية والسياسية والفكرية .. ومن هنا كانت لكل جامعة رسالتها التي تتولى تحقيقها فالجامعة في العصور الوسطي تختلف رسالتها وغايتها عن الجامعة في العصر الحديث وهكذا لكل نوع من المجتمعات جامعته التي تناسبه .

1 سورة الروم (7 – 8)

والعصر الحديث تتعدد فيه الاهتمامات وتتشابك فيه الأمور ويواجه تغيرات وتحديات مستمرة اجتماعيه وسياسية وعسكرية ومعرفية وتكنولوجية مما يجعل وظائف الجامعة فيه متعددة الجوانب ومتشابكة ويتفق كثير من المتخصصين أنه منذ أمد بعيد على أن للجامعة دورا هاما في خدمة المجتمع وتتحدد الوظائف الأساسية للجامعة في ثلاث وظائف أساسية هي إعداد الموارد البشرية وإجراء البحوث العلمية والمساهمة في عملية التنشئة الاجتماعية ونقل الثقافة , وتتناول الوظيفة الأخيرة للجامعة العمل على صياغة وتشكيل وعي الطلاب وتناول قضايا ومشكلات المجتمع والعمل على خدمته وتنميته .

وغرس العقيدة في النفوس هو أمثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملا في الحياة ، فهذا اللون من التربية والتعليم يضفي على الحياة ثوب الجمال والكمال ، ويظللها بظلال المحبة والسلام .

لقد كان الفيلسوف والمهندس "مالك بن نبي" رائعا في استفادته من مؤرخنا العظيم ابن خلدون حين أبرز ابن خلدون دور النبوّة في صناعة الإنسان المؤمن الإيجابي. فلا حضارة بدون عقيدة، وبدون إنسان فطري بسيط كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذلك المؤمن الحق الذي كان ينام تحت شجرة في الطريق وهو أمير المؤمنين[1].

المطلب الثاني : واقع التعليم الجامعي وانعكاساته على التكامل المعرفي :

يبدو أن التعليم بشكل عام والتعليم الجامعي على الخصوص في عالمنا العربي والإسلامي قد فقد بوصلة الاتجاه نحو الهدف المقصود من بناء الجامعات وتهيئتها بالوسائل وتوفير الأساتذة حيث انقلبت الوسيلة إلى غاية ، فأصبحت هذه الوسائل مطلوبة في ذاتها وغاب عنا الهدف المطلوب من العملية التعليمية الذي هو الحصول على العلم و المعرفة بصورة متكاملة ، وكوسيلة لمعرفة الخالق وتطوير المجتمع والرقي به إلى درجات التقدم والنهضة وبناء الحضارة كأهداف عامة ضمن أهداف جزئية تتمثل في

(1) عبد الحليم عويس ، الروح وميلاد الحضارة ، مجلة حراء ، ع : 14 (مارس) 2009- ص : 61

تنمية الإبداع و الوعي والوصل بين المعرفة النظرية والمعرفة التطبيقية من أجل تشكيل المعرفة المرتبطة بالسلوك في عملية جدلية لا تتوقف .

وهذا الواقع يشخصه لنا الفاروقي بقوله : (أنظر إلى المثل الأعلى للمدرس في الجامعات في العالم الإسلامي، أعنى الأستاذ الحاصل على الدكتوراه من إحدى الجامعات الغربية ...لقد تعلم في الغرب وتخرج بمعدل متوسط أو دون المتوسط، ولما لم تكن دوافعه دينية ، بمعنى أنه لم يطلب العلم ابتغاء مرضاة الله جل وعلا ، بل لأهداف مادية أنانية أو قومية على أحسن تقدير فإنه لم يحرص على نيل كل المتاح من العلوم في الغرب ، ولم يستطع أن يتفوق على أساتذته الغربيين في مجالاتهم ، كما لم يتمثل ما تعلمه ولا حاول بالطبع إعادة تقييمه في إطار الرؤية الإسلامية للمعرفة وللحقيقة على غرار ما فعل أسلافه الذين تعلموا علوم الأمم القديمة من يونان وفرس وهنود وصبغوها بالصبغة الإسلامية ..وبدلاً من أن يفعل ذلك ، اكتفي هذا الأستاذ بالنجاح ونيل الدرجة ثم العودة إلى بلده ليحصل على منصب يهيئ له الثروة والرفعة [1] .

فمن أكبر أخطاء دعاة التنوير والغزو الثقافي والمنبهرين بالمدنية الغربية ومناهجها المادية ظنهم : أن الإصلاح في المناهج التربوية والتعليمية في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا هو أن نستمد من الغرب، وأن المسلمين والعرب يجب أن يتخلوا عن كثير من مفاهيمهم في سبيل امتلاك التكنولوجيا ، ولكن التجارب المتوالية التي ضاع فيها المال والجهد والوقت برهنت عكس ذلك .

ويذكر لنا محب الدين الخطيب عن حال التعليم في أربعينيات هذا القرن بقوله :(إن الفوز في معترك الحياة وميادين العمل مكتوب لصاحب التربية المتينة وإن كان علمه يسيراً أكثر مما هو مكتوب لصاحب العلم الكثير إن كان مجرداً من التربية. والعلم الذي يحتاج إليه من يخوض معترك الحياة كثيراً ما يكون غير العلم الذي تعلمه في المدرسة وأذكر أني كنت في مجلس شيخي العظيم الشيخ طاهر الجزائري في رمضان 1325 (اكتوبر 1907) وكان بين يديه شاب من محرري جريدة (الأهرام) يومئذ وهو الأستاذ

(1) إسماعيل الفاروقي ، أسلمة المعرفة ، المرجع السابق ، ص : 19

خليل الخوري شقيق السيد فارس الخوري، وقد أخذ يشكو إلى الشيخ طاهر الجزائري أنه تعلم خمسة وعشرين علماً في الجامعة الأمريكية في بيروت ويتناول راتباً من خزينة الأهرام قدره سبعة جنيهات بينما الأستاذ داود بركات رئيس تحرير الأهرام يتناول أضعاف ذلك وهو لم يتعلم شيئاً من تلك العلوم. فأجابه الشيخ طاهر: إن داود بركات تعلم العلم اللازم لصناعة الصحافة ومهر فيه، وأنت تعلمت خمسة وعشرين علماً ليس فيها ما يلزم للصناعة التي تشكو من قلة راتبك فيها، ولولا أنك تلقيت مبادئ في التربية أهلتك للمران على الفوز في معترك الحياة لفشلت حتى في الحصول على هذا الراتب في جريدة الأهرام. وبالفعل فإن مزايا الأستاذ خليل خوري في تربيته وأخلاقه حملته على دراسة الحقوق إلى جانب اشتغاله في الصحافة، وكان منه بعد ذلك قاض من قضاة السودان، ولو كان ضعيف التربية لما أفادته علوم الجامعة الأمريكية شيئاً [1].

إن المواد والمناهج التي تدرس في البلاد الإسلامية حالياً إنما هي نسخ مما عند الغربيين لكن مع افتقارها للرؤية التي تمدها بالحياة في بيئتها الأصلية ...وهي بهذه الصورة تصبح من عوامل الضعف ، هذه المواد والمناهج التي لا روح فيها تظل بشكل لا شعوري تؤثر في الطالب تأثيرًا سيئاً معادياً للإسلام من حيث إنها تقف كبدائل للمواد والمناهج الإسلامية وكعوامل للتقدم والتحديث .إنها تجعل من الخريج في جامعات العالم الإسلامي نموذجاً للشباب المغرور الذي يظن نفسه العلم مع أنه في الحقيقة لا يعرف إلا قليلاً [2] .

فجامعاتنا الآن تعاني من كثير من المشاكل التي وقفت عائقا نحو التطور والقيام بالنهوض الحضاري الشامل ، سواء على مستوى المضمون المعرفي أو أسلوب التدريس .

(1) محب الدين الخطيب ،**تعليمنا** .. صحيفة الفتح ، العدد 849 (ذو القعدة، 1366 [سبتمبر 1947])، ص 857

(2) ، إسماعيل الفاروقي ، أسلمة المعرفة ، المرجع السابق ، ص : 19

من حيث الأسلوب والمنهجية :

كثير من الجامعات تعتمد على طريقة التلقين من الأستاذ ، والاستظهار من الطالب يوم الامتحان ، وهذه الطريقة لا تبعث فيه روح المبادرة والإبداع ، وفي كثير من الجامعات في الدول المتطورة لا يحفظ الطلاب إلا القليل من المعلومات والفهم والمهارة هما الهدف الأساسي للتعلم .

وابن خلدون قد هاجم أسلوب الجدل اللفظي والمحاكمات اللفظية في التأليف والشرح والتعليم، وأنكر منهج التقليد ودعا إلى التماس منابع الفكر الإسلامي في الإسلام نفسه. وأنكر الطريقة التي شاعت في عصره.. طريقة الجمع والاختصار واعتماد كل العالم على علوم من سبقه والوقوف عندها. ودعا إلى طريقة التماس المصادر الأساسية، وعقد في مقدمته فصلاً هاجم فيه كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم وقال إنها مخلة بالتعليم، ونقد التعليم في عصره وبين الطرق الصالحة فيه، وهنا يحسن بنا أن نجعله مرجعًا للتأسيس للتكامل المعرفي ، فقد تكلم عنه بما أسماه (حصول الملكة) في الإحاطة بالعلوم كلها وبمبادئها وقواعدها فيقول : (الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه ، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله .. وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية ، وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الإنسان ذكاءً في عقله وإضاءة في فكره)[1] .

ويمكن تلخيص هذه المشاكل فيا يلي :

1) بعض الأساتذة الجامعيين همهم الوحيد هو تدريس الوحدات ، وتقدم إلى الطالب على أساس أنها مبادئ وحقائق وأحكام موضوعية .
2) انفصال العلوم عن بعضها البعض وعدم التواصل بينها، وخاصة بين العلوم المدنية والعلوم الإسلامية . وهذا أهم مشكل تعاني منه الجامعة .
3) عدم متابعة البحوث العلمية ، ووضع إجراءات انتقائية للباحثين المتميزين .

(1) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار الكتاب العربي ، بيروت 2005 ، ص : 398

4) انعدام ضبط المعايير العلمية لمعرفة الإنتاج الفكري المميز وإنصاف ذويه . ·

5) قلة وجود جوائز تشجيعية تحفيزية .

6) التوظيف الجامعي للأساتذة ، لا يخضع لمقاييس علمية دقيقة بمراعاة الخبرة والكفاءة العلمية والأخلاقية ، لانعدام وجود معيار مرجعي وتفعيل آلياته.

7) تبني أساليب إدارية متجاوزة ، غالبا ما تعرقل مسيرة البحث العلمي.

8) عدم الاهتمام بالجانب الفني والجمالي من حيث المحتوى المعرفي و من حيث طريقة التدريس .

من حيث المضمون المعرفي :

عند فحص المناهج في أغلب الجامعات العربية والإسلامية ، نجد أنها استوردت من الغرب كثيرا من الأفكار المميتة على تعبير الأستاذ مالك بن نبي – رحمه الله – التي قتلت في الشخصية المسلمة روح العقيدة ومبادئ المبادرة والتحدي وبذور التطور والتقدم والعلم الصحيح ، كمثل تلك الأفكار التي يروج لها في أروقة وقاعات الجامعات بأن الدين عقبة في سبيل التطور الحضاري ، ومقولة سقراط (أعرف نفسك بنفسك) وهو شعار يدعو إلى الاهتمام بالإنسان وحده، وهذا يخالف منهج القرآن الكريم الذي يهتم بالإنسان وغيره ، فدائرة النظر في الإسلام تتسع لتشمل ملكوت السماوات والأرض ..)[1] فكل هذه الأفكار وغيرها كثير مما يروج للإلحاد باسم البحث العلمي ونظرياته التي استقرت في أذهان طلبة الجامعات في عصر سمي بعصر العلم والإيمان ، وقد أنكرها العلم بالتجربة المحسوسة والعلم اليقين .

إن المشكلة الأساس التي يعاني منها النظام التعليمي أو العملية التربوية والتعليمية بشكل عام ، هي أنها في معظمها قائمة على التناقض في المرجعيات ، والتشاكس في فلسفة التعليم وغموض أهدافه ، الأمر الذي سوف يؤدي إلى التبعثر وتمزق رقعة التفكير ، واضطراب رؤية الحياة وكيفية التعامل معها ..وبدل أن يكون نظام التعليم وسياسته سبيلا للرقي والتفكير والنمو ، يصبح محلا للحيرة والارتباك والتلقين والعطالة وبعثرة

(1) علي لبن ، الغزو الفكري في المناهج الدراسية ، دار الوفاء ، القاهرة 1992 ، ص : 37

المواهب ، ومرد ذلك أن منطلقات العملية التربوية والتعليمية واهدافها وسياستها ، أو فلسفة التربية والتعليم بشكل عام المستوردة ، تفتقد المرجعية والانطلاق من القيم التي تدين لها الأمة ، أو تتجاهلها أو تحيّدها على الأقل ، وهذا بحد ذاته يميت الفاعلية ، ويحول دون التجاوب المطلوب[1] .

المطلب الثالث : المناهج الجامعية وتصنيف العلوم

هناك علاقة وطيدة بين المناهج الجامعية وتصنيف العلوم ، فالمناهج الجامعية تؤسس وتؤصل وفق أرضية متينة تعتمد أساسا على تصنيف دقيق للعلوم والمعارف ينطلق أساسا من مبادئ الإيمان والتوحيد الذي هو المحور الأساسي الذي تدور حوله جميع العلوم والمعارف ، حيث تتكامل وتشكل لنا وحدة معرفية واحدة تصب في الغاية القصوى من وجود الإنسان وهي توحيد الله تعالى وعبادته والقيام بالخلافة كما أرادها الله تعالى للإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض قال تعالى : **{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً }** [2] وقوله تعالى لداوود : **{ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ }**[3]

وتلقِّي المعرفة المتكاملة يكون من مَصادرها، فلِكُلِّ معرفةٍ مصادِرُها التي تُؤْخَذ منها، فنجد القرآنَ الكريم يرشد إلى المصادر حالَ الاستفسار : **{ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }** [4] ، وأهل الذِّكْر هم أهل التخصُّص في أيِّ جانبٍ من جوانب المعرفة، فأهل الفنِّ أدْرَى من غيرهم بِمَسائله ، فمصادر المعارف كتبُها وعُلَماؤها، فإنْ كانت المعرفة إسلامية في مجتمع مسلم كان العَوْد إلى أهلها فيها أحقَّ من غيْرِهم، والتَّفكير في مَجالها بأدَواتِها، ومناهجها التي تَفِي بالغرض؛ للحصول على نتائج صحيحة .

وتصنيف العلوم فيه ثوابت وفيه متغيرات ، فالمتغير يتأثر بالنظرة العلمية والفلسفية، وبالعصر والزمان، وهذا بذاته يجعلنا ندرك آراء واضعه وافكاره ، والثابت وهو

(1) عمر عبيد حسنة ، المرجع السابق ، ص : 63

(2) سورة البقرة (30)

(3) سورة ص (26)

(4) سورة الأنبياء (7)

الـذي يتـأثر بعقيـدة المجتمـع ، ولا يكـون لهـذا التصـنيف دور فعـال في الحضـارة إلا إذا انطلـق مـن عقيـدة التوحيـد الـتي هـي المبـدأ الأساسـي الـذي ينبثـق منـه النظـام في الكـون والإنسـان والحياة ، كما أنه هو الذي يمد الإنسان بفهم الذات .

والإصـلاح الحقيقـي يتمثـل في تفعيـل دور العقيـدة والإيمـان في جميـع العلـوم والمعـارف الـتي تـدرس في جامعاتنـا سـواء العلميـة منهـا أو الأدبيـة في تناسـق وانسـجام وتكامـل ، وهـذا مـا يعـترف بـه ألكسـيس كاريـل بقولـه : (إن العقـل وحـده لا يسـتطيع إيجـاد العلـم ، ولكنـه عامـل لا مفـر منـه في الابتـداع .. والعلـم بـدوره يقـوي العقـل .. فقـد جلـب للإنسـانية موقفـا عقليـا جديـدا ، عـلاوة علـى الوصـول إلى الحقيقـة بواسـطة الملاحظـة والتجريـب والتفكـير المنطقـي . فالحقيقـة المسـتمدة مـن العلـم تختلـف اختلافـا تامـا عـن تلـك المسـتمدة مـن الإيمـان . فـالأخيرة أكثـر عمقـا ولا يمكـن التشـكيك فيهـا بالمجـادلات .. ولقـد كـان يطلـق علـى هـذه الظـاهرة اسـم الإلهـام أو الـوحي في الأزمنـة السـابقة)[1] فالـدكتور كاريـل يعـترف بـدور الإيمـان في معرفـة الحقيقـة ، كمـا يصـرح بصـدق الحقيقـة المسـتمدة مـن الإيمـان والـتي لا تحتمل الخطأ .

وحينمـا نـتكلم عـن دروس العقيـدة الـتي يكـون لهـا دور في تفعيـل مشـروع التكامـل المعـرفي ، فإننـا نقصـد الصـياغة الجديـدة لـدروس العقيـدة المسـتمدة مـن مقاصـد القـرآن والسنة وسيرة الأنبياء عليهم السلام .

إن الرؤيـة الإسـلامية الكونيـة والـوحي الإسـلامي هـي رؤيـة تعـبر عـن الفطـرة الإنسـانية السـوية ، وترشـدها وبهـا تتحقـق الـذات والفطـرة الإنسـانية السـوية ، كمـا خلقهـا الله وأبـدعها ، ولا مجـال فيهـا للتعـارض بـين الـوحي والفطـرة ، ولا أحـرص علـى فهـم هـذه الفطـرة وتفعيلهـا وترشـيدها مـن الإسـلام[2] والآيـات الـتي فيهـا إشـارات طبيـة كثـيرة نـذكر بعضها في هذا الجدول[3]:

(1) ألكسيس ، الإنسان ذلك المجهول، المرجع السابق ، ص : (134)

(2) أبو سليمان ، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية ، دار السلام ، القاهرة 2009 ، ط:1 ، ص: 200

(3) محمد جميل الحبال ، رمزي العمري ، الطب في القرآن ، دار النفائس ، بيروت 2004 ، ص: 34 .

العلوم الطبية	النصوص القرآنية
الطب النفسي	{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ} البقرة 45
وظائف الأعضاء	{وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}الأنعام125
علم الأجنة	{اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ} الرعد 8
النساء والتوليد	وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ }لقمان14
طب العيون	{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ }الملك 4
طب المجتمع	{ يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً} النساء 28
علم التشريح	{ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي} طه 28/27
الأنف الحنجرة	{ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ } الحاقة 12
علم الوراثة	{خَلْقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ } الزمر 6
الطب الغذائي	{ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً} مريم 25
العناية بالمريض	{ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} الفتح 17
أمراض جلدية	{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ } الزمر 23
الطب العلاجي	{ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } ص42
الجراحة	{سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ} النساء56
طب الأطفال	{ ونُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ} الحج 5
الطب الشرعي	{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ..} يونس 92

ولـذلك فـإن الجانـب الأكـاديمي في الجامعـات يجـب أن يبُـنى علـى أفضـل التصـورات والـتي تُبـنى علـى أسـاس التـزام العلـم بالكليـات الإسـلامية، والمنهجيـة العلميـة والتّجريبيـة، ومـن خـلال الأسـاليب الإبداعيـة الـتي تـؤدي إلى تكامـل المعرفـة الإسـلامية مـن: الـوحي ، والعقـل، والواقـع. وتنتهـي باسـتعادة الرؤيـة الإسـلامية، وتنقيـة الثقافـة، وتصـحيح أسـاليب التربية، وتكامل المعرفي والمنهجي، والفردي والجماعي في بناء الإنسان المسلم .

إن عقيـدة التوحيـد ومبـدأ الوحدانيـة هـي العقيـدة والمبـدأ الأساسـي الـذي تقـوم عليـه العقليـة المسـلمة ، وإذا كـان الحـق سـبحانه وتعـالى هـو الخـالق فـإن هـذا يحـتم أن يكـون الخلـق متحـد المصـدر ، متحـد الغايـة ، وهـذه الوحدانيـة وهـذه الوحـدة تحـتم غائيـة الخلـق والوجـود ، إن فطـرة التوحيـد في العقـل المسـلم هـي دليـل حركتـه في التعامـل مـع الكائنـات والاحـداث الكونيـة مـن منطلـق الغائيـة ، وغائيـة الخلـق في دور خلافـة الإنسـان ومسـؤوليته في إدارة الكـون تحـتم علـى العقـل المسـلم إدراك منطـق حركـة هـذه الكائنـات ونـواميس أدائهـا حـتى يـتم حمـل مسـؤولية إدارتهـا وتسـخيرها علـى مـا تقتضـي بـه غايـات الخلـق ومقتضـيات الجهـاد والخلافة [1] .

المطلب الرابع : تصنيف العلوم من منظور التكامل المعرفي :

نسـعى في هـذا المطلـب إلى تقـديم إشـكالية تصـنيف العلـوم لأنهـا مـن المرتكـزات الهامـة في تطبيـق التكامـل المعـرفي في المنـاهج الجامعيـة ، ولـذلك لـن نعمـد فيـه إلى تتبـع فكـرة التصـنيف وتطـور أشـكالها ومختلـف القضـايا الفكريـة والمنهجيـة والعلميـة الـتي تثيرهـا ، لأن لهـذا سـياقه الخـاص بـه ، وإنمـا نشـير إلى رؤيـة بعـض علمـاء الإسـلام في تصـنيف العلـوم ونخلص إلى رؤية جديدة لتصنيف العلوم من منظور التكامل المعرفي.

فتصـنيف العلـوم مـن منظـور التكامـل المعـرفي بـين علـوم الـوحي وعلـوم العقـل أمسـى ضـروريا في عصـرنا ، حيـث طغـت أفكـار علـى عقـول البـاحثين والدارسـين بـأن تـاريخ المعرفـة عنـد المسـلمين كـان خلـوا مـن هـذه العلـوم ، كمـا أن لتصـنيف العلـوم أثـرا إيجابيـا في التعلـيم

(1) أبو سليمان ، قضية المنهجية ، المعهد الإسلامي 1995 ، ط : 1 ، ص: 26.

والتنمية العلمية ، وذلك بإحصاء العلوم والتأريخ لها ، وليست الغاية من تصنيف العلوم هو مجرد إحصائها وترتيبها كما هو متبادر إلى الذهن ، بل الغاية تتمثل أيضا في اتخاذ من وصف ما كان من واقع العلوم ، بناء لما ينبغي أن يكون في توجيهات العقل إلى المعرفة على المستوى الابداعي والاستكشاف ، بحسب ما يقتضيه تقدم الحياة الإنسانية ، أو الاعتناء بالأهم فالأهم ، والانفع فالأنفع ، وما تمليه حاجة الأمة ومصلحتها ، ولقد اختلف العلماء في المنهج الذي ينبغي سلوكه أثناء عملية تصنيف العلوم وترتيبها اختلافا ناتجا عن النظرة إلى العلوم ذاتها ، فمن يرى أن العلوم تتفاضل فيما بينها قام بترتيبها ترتيبا حسب الأشرفية والأفضلية ، وفي هذه الحال يختلف العلماء اختلافا بيّنا في الترتيب ، حيث إن كل عالم يرتبها من جهة حكمه على العلوم وأيها أشرف ، فلا يحصل بينهم اتفاق على ترتيب معين ، وأما من يرى أن العلوم منها النافع ومنها الضار ، فيقوم بترتيبها حسب هذا المنظور في التفرقة بين العلوم النافعة والضارة ، كما ذهب إلى ذلك ابن حزم ، وعند الغزالي في الإحياء يجعل العقل والنقل هما المعيارين في التصنيف ، أما ابن سينا فيعتمد على ثنائية العلم العملي و العلم النظري ذات الأصول اليونانية على قدر ما نجده يختلف مع هذا التصنيف في أحيان أخرى و هذا ما ثبت في مؤلفه " منطق المشرقين " إذ يصنف العلوم في واحدة تجري أحكامها الدهر كله ، و أخرى متساوية النسب في جميع أجزاء الدهر و هذه العلوم أولى بأن تسمى حكمة ، و دون أن ننسى ذكر رسائل إخوان الصفاء في تميزهم لمراتب العلوم و أصنافها من علوم رياضية ، وضعية و أخرى شرعية ، على العموم نجد أن كل فيلسوف انفرد بمعيار خاص لتقسيم العلوم محاولا تجاوز التقليد الموروث.

وابن خلدون يصنف العلوم إلى ما يمكن تحصيله بالوحي ، وما يمكن تحصيله بالعقل فيقول : " اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر و يتداولونها في الأمصار تحصيلاً و تعليماً هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، و صنف نقلي يأخذه عمن وضعه. و الأول هي العلوم الحكمية الفلسفية و هي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره و يهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها و مسائلها و أنحاء براهينها و وجوه تعليمها حتى يقفه نظره

و يحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر. و الثاني هي العلوم النقلية الوضعية و هي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي. و لا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي "[1].

وبهذا يضبط ابن خلدون معيار تصنيف العلوم وفق ثنائية العقلي و النقلي فأما العلوم العقلية الحكمة و الفلسفة التي إليها يهتدي الإنسان بفكره ، نجد العلوم النقلية الشرعية التي تسند إلى النص و لا مجال فيها للعقل إلا فيما يخص إلحاق الفروع بالأصول .

وما نريده من التصنيف من منظور التكامل المعرفي هو محاولة التقريب بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية للتداول الإسلامي والاستفادة منها في تطوير العلوم والدراسات الإسلامية ، وفي الوقت نفسه تجب القراءة الفاحصة لكل العلوم الوافدة ، ومرجعتها والتنبيه إلى خطورة ما ورد فيها من قوالِبَ لا تُناسب أهل الإسلام ، فالنقد الأساسي الذي يوجه للعلوم التربوية والنفسية والاجتماعية أنها نشأت في بيئات علمانية لا دين لَها، جعلت الإلحاد منهجية ينطلق منها، وإنْ سلمنا بصحة بعضِ ما فيها لن نَركن إلى صحة جل ما ينتج عنها، وهذا يُلزم الأمة بناءَ حصانتها العلمية من مصادرها ، وتصفية الغث من السمين حال انتفاعها بعلوم غيرها، فتأخذ ما ينفعها ويناسبها، وترد ما ليس منها ، فالمنهجية العلمية الواعية تلتقط الصواب من كل أحد، ما دام خيرا لا يُصادِم ما هي عليه، بغض النظر عن صفات قائله، وخصائص مصدره، لكن يجب التأكيد على أن الأخذ من الغير له ضوابطه، فمخاطِر الأخذ عن الآخر لا تقودنا إلى عدم القدرة على التمييز بين الغزو الثقافي والتبادل الْمَعرِفِي ..وإقامة هذا الحاجز من تخوف الغزو الثَّقافي، حرم العقل الْمسلم الكثيرَ من المعارف ، وارتياد الآفاق التي تُمكِّنه من اختصـــارِ فجوة التخلف، والمساهمة في التغيير الحضاري تتضح جلِيا في قوله تعالى :{ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** } [2]

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، المرجع السابق ، ص : 403

(2) سورة العلق (1)

فالقراءة ليست مطلقة العنان بلا ضوابط، إنَّما هي محدَّدة المنهج، ودليل هذا قوله :(بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) قال القرطبِيُّ: " الباء في قوله تعالى : (باسم ربك) بِمَعنى [على] أيْ : اقرأ على اسم ربِّك" [1] فتكون القراءةُ وفْقَ مرادِ الله تعالى، لا على ما تريد أهواءُ الناس فالقراءة هنا ربَّانية في المبدأ والوسيلة والغاية، وهذا ينفي الانْحِرافات العنصريَّة، والتقليدَ الأعمى، والتعصُّبَ للعِرْق، أو الجنس، أو التوجُّه، أو الفكر، فالقراءة هنا تكتسب بُعْدَ العالَميَّة؛ من كونِ الرِّسالة الأولى المأمور بقراءَتِها وتبليغها موجَّهةً للعالَم كُلِّه، شاملةً لكلِّ حاجِيات الناس كافَّة في حالِهم ومعادهم.

والبحث في تاريخ وأحوال الأُمَم؛ من عمران، وأساليبِ العيش، والتراكيب الاجتماعيَّة، والتدبُّر في الأنفس، وتزكية الأخلاق، كلُّها وردَتْ في القرآن في أحَدِ مَحاورِه الْهامَّة، وهي القَصَص { **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** } [2]

ويمكن استنتاج تصنيف العلوم بالمنظور التكاملي في القرآن الكريم من خلال نظرة شمولية للقرآن الكريم ، حيث نجد أن العلوم تدور في الغالب على محاور ثلاثة كبرى هي :

1- **علوم الألوهية** : وهي كل ما يتعلق بتوحيد الله تعالى في ربوبيَّتِه وألوهيته، وأسمائه وصفاتِه، وما يتعلَّق بِها من قضايا العبادة .

2- **علوم الكون** : وهي ما يتعلَّق بقضايا الكون، وما أودع الله فيه من الحِكَم الأسرار، وما يَحْكمه من سنن وقوانين ونواميس، يسير من خلالِها في دِقَّة متناهية

3- **علوم الإنسان** : وهي ما يتعلَّق بأحوال الإنسان والأمم من حيثُ منظومةُ علاقاتِها بالخالق والمخلوق ، والعلاقات الفردية والاجتماعية .

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ،تح: عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 2006 ص : 376 .
(2) سورة يوسف (111)

وكل قسم من هذه الأقسام تتعلق به علوم متخصصة :

فالقسم الأول : تتعلَّق به علوم الشَّريعة على اختلاف تَخصُّصاتِها، على أن يكون بين المسلمين من هذه العلوم قدْرٌ مشترك لا يُعْذَر أحدٌ بِجَهله، ثم يكون ما بقي ميدان اجتهاد ومُنافسة بين أهل العلم فيه.

والقسم الثاني : يتعلق بكل العلوم الطبيعيَّة على اختلاف تخصُّصاتها.

القسم الثالث : يتعلق بالعلوم الإنسانية على اختلاف تخصصاتها .[انظر الملحق]

وفي الوقت نفسه هناك تكامل وانسجام وتوافق بين هذه الأقسام الثلاث ، بحيث تتكامل لبناء حضارة الإنسان ، فالمتخصصون في هذه العلوم كلها حين يُريدون بِها وجْهَ الله تعالى تَكُون لَهم ضربا من العبادة، وهو ما يدعو المسلم إلى الإبداع، حين يَشعر في قرارة نفْسِه أنه يُمارس هذه الفُنون وهو مأجورٌ عند ربِّه، مسدَّدٌ في دنياه وآخرته.

وهذه الصُّورة هي التي تعطي شموليّة للعلم في القرآن الكريم، فلا مادِّية ملْحدة، ولا لاهوتية رهْبانية مُغالية في المثالية، فالتوازن من خِصال التوسط والوسطية في القرآن الكريم ، فمدلول العبادة واسعٌ في الإسلام، و"يشمل ثلاثةَ مظاهر: مظهر شعائري، ومظهر اجتماعي ، ومظهر كوني .

•أما المظهر الشعائري، فهو يتمثل في شعائر وممارساتٍ ترمز إلى أشكال الْحب والطاعة التي يَعْبد بِها الإنسانُ الخالقَ.

• وأما المظهر الاجتماعي، فموضوعه الثقافة والقِيم، والعادات والتقاليد، والقوانين والنظم.

• وأمَّا المظهر الكونِي للعبادة، فموضوعه العلومُ الطبيعية التي توفِّر للعالِمِ الْمُسلم دخولَ مُختبر الآفاق، وإبرازَ معجزات العصر وبراهينِه، وتوفيرَ الشَّواهد التي تكشف عن عظيمِ صُنْعِ الله وقدرته، وتقْنِع الْمُتعلم الجديدَ والأجيال الجديدة بوجوب مَحبَّة الخالق مَحبَّةً كاملة، وطاعتِه طاعةً كاملة .

فمعيار تصنيف العلوم يتدرج بين كفتّي العقل والنقل من ناحية وبين المستوى النظري و العملي من ناحية أخرى ، فالبعد النظري و العملي نجده حاضرا على امتداد الفكر الإسلامي إذا تعلق الأمر بنظرية المعرفة ، و تلقين مختلف هذه الأصناف من العلوم يلزم درجة من المهارة للتدرّج في المعرفة وإيضاح صورها على أنفس المتعلمين

فنجد كل من تأصيل ابن حزم و ابن النديم و ابن خلدون الذي أعاد ترتيب العلوم على أساس و قوام عقلي ونقلي ، و هذا هو جوهر فكرة التكامل التي نسعى لتصنيف العلوم من أجل استبعاد الفكر اليوناني و تأصيل لنظرية المعرفة الإسلامية .

فهذا التصنيف الهيكلي للعلوم * الغرض منه هو تنظيم المعارف وتحقيق الأهداف التعليمية والتربوية ، فله إذن وظيفة مزدوجة الأبعاد من حيث إنه ينظم المعارف ويضبط العلوم من جهة، كما يحقق المعرفة بالحقائق العلمية ذاتها، مما يفيد أنه بالإضافة إلى بعده الابستمولوجي، الذي يعنى بالبحث في النظرية العامة للعلم من حيث إمكان المعرفة العلمية ومصادرها ووسائلها وطبيعتها. فله أيضا بعدا تربويا يتمثل في تسهيل عمليات التعليم وتحقيق التعلم، ويمكن القول إن كثيرا من جهود العلماء المسلمين التي تتضمنها محاولاتهم التصنيفية المتواصلة عبر العصور، تنطلق من هذين البعدين المتلازمين في إطار منهجي معرفي تربوي . وهذا المخطط الذي نقترحه لتصنيف العلوم من منظور التكامل المعرفي و الذي يصب في النهاية في مقصدين اثنين هما غاية وجود الإنسان ، وهما توحيد الله ﷻ وعبادته وبناء الحضارة الإنسانية

* انظر الملحق ، الشكل 6

المبحث الثالث

الدرس العقدي وأثره على المنهج التربوي والتعليمي

المطلب الأول : الأصول العقدية للمنهج التربوي التعليمي :

نظام التربية والتعليم في أمة من الأمم ، هو بمثابة النظام الذي يحمل أسرارها، وخصائصها ، وبدراستنا لهذا النظام وتحليل لمكوناته ، يتبين لنا مدى قوة هذا المجتمع وامكانية استمراره وبقائه أمام التحديات ، ولعل أحد أبرز مؤشرات النظام التعليمي التربوي ، الأصول العقدية التي تترجم لنا الهوية الحضارية للأمة ، ذلك أن هذه الهوية لم تتخلق إلا في رحم قيم العقيدة الإسلامية ، وعندما يتعلق الأمر بغرس القيم في ظل منظومة تربوية ما، كيفما كانت هذه المنظومة وفي أي الأحوال، إلى الشحنات المعرفية والقيمية الكافية لتأهيل المعلم أو الأستاذ لأداء رسالته على الوجه المطلوب، في نقل القيم إلى الأجيال .

والتعليم عملية متكاملة تترابط وتتداخل مع كثير من الأمور المعرفية، وهذا التداخل المعرفي يكون في كثير من الأحيان جسراً يوصل المربين إلى تحقيق غاياتهم، ويؤسس في الوقت نفسه مسارات معرفية بين المعلم والتلميذ، ويفتح الباب واسعاً لتقبل المعلومات وتنميتها وتطويرها ، ومن الأسس الهامة التي تبنى عليها التربية والتعليم ، ترسيخ العقيدة الصحيحة ، إذ هي التي تعطي تصورا شاملا عن الكون والإنسان والحياة ، وأن الوجود كله خاضع لسنن الله تعالى ليقوم الإنسان بوظيفته دون خلل أو اضطراب ، و الإيمان بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيًّا

ورسولاً ، و الحياة الدنيا مرحلة إنتاج وعمل، يستثمر فيها المسلم طاقاته عن إيمان وهدى للحياة الأبدية الخالدة في الدار الآخرة، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل .

حين نتكلم عن التربية والتعليم ، نتكلم عن العلم والعمل معا بمفهومهما الإسلامي ، وليس عن التربية والتعليم بمفهومهما الغربي ، فالإسلام لا يعرف هذه القسمة المأخوذة عن الغرب ، لأنه لا يوجد فصل في الإسلام بين المعرفة والأخلاق ، والعلم والعمل كما في الفلسفة الغربية ، فالإسلام يهدف إلى تربية العقل والإرادة ، لأنهما معا أداتا التكليف وهما محل التكريم من الله تعالى للإنسان ، فالله تعالى جعل لعقل الإنسان وإرادته مكانا لا نظير لها في أي مذهب من المذاهب التي تنتصر للعقل أو للإرادة في التاريخ كله ، فأفعال الإنسان محكومة بالمشيئة ، ومسبوقة بالمقادير ، ومشيئة الإنسان مخلوقة له وممنوحة من الله تعالى ، ولذلك فإن الإنسان مسؤول مسؤولية كاملة عن أفعاله ، لذلك فالتفرقة بين التعليم والتربية ، أو بين العلم والعمل ، تعد تفرقة فاسدة وضارة ، وأول من قال بها سقراط ، لأنه أول من جعل المعرفة فضيلة ، حيث قال : (الفضيلة علم والرذيلة جهل) ، لكن الإسلام لم يفصل بين العلم والعمل ، وجعل العلم من أجل العمل ، ولذلك قرن الله تعالى الإيمان بالعمل الصالح قال تعالى : **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا }** [1]

ولذلك قال أهل السنة في تعريف الإيمان : إنه الإخلاص لله بالقلوب وشهادة الألسنة وعمل الجوارح [2] .

و الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة لبني الإنسان، وتنقذ البشرية ممَّا تردت فيه من فساد وشقاء ، و المثل العليا التي جاء بها الإسلام لقيام حضارة إنسانية رشيدة بناءة تهتدي برسالة محمد ﷺ ، لتحقيق العزَّة في الدنيا، والسعادة في الدار الآخرة ، وأن العلم فريضة إسلامية على كل فرد ، مع وجوب نشره وتيسيره في المراحل المختلفة ، وأن العقيدة أساسية في جميع سنوات التعليم

(1) سورة البقرة (197)

(2) جمال عبد الهادي ، وفاق محمد رفعت ، موسوعة تاريخ العقائد والكون والإنسان ، دار السلام ، القاهرة 2010 ط : 1 ، ص : 2215 .

الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه، و في جميع سنوات التعليم العالي ، وتوجيه العلوم والمعارف بمختلف أنواعها وموادها ، منهجاً وتأليفا وتدريسا وجهة إسلامية في معالجة قضاياها والحكم على نظرياتها وطرق استثمارها ، حتى تكون منبثقة من الإسلام ، متناسقة مع التفكير الإسلامي ، ثم الاستفادة من جميع أنواع المعارف الإنسانية النافعة على ضوء الإسلام ، للنهوض بالأمة ورفع مستوى حياتها، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها .

والمحتوى المعرفي لمنظومة التربية والتعليم ، يكون ذا قيمة وفاعلية إن كان موثوق المصدر وله مبادئ أساسية تجمع بين قراءة الوحي وقراءة العقل مع الاعتماد على القرآن والسنة واجتهادات العلماء المشهود لهم بالورع والتقوى وسعة العلم ، ومن هذه المبادئ الأساسية في التربية والتعليم ، مبدأ التوفيق التكاملي الذي يربط الأفكار والمفاهيم المعرفية المكتسبة مع المفاهيم الفطرية التي فطر عليها الإنسان ، فإن كانت المفاهيم المكتسبة موافقة للمفاهيم الفطرية ، بشكلها الأفقي كانت هذه المعرفة متكاملة مفيدة ومؤثرة في حياة الإنسان ، وإن كانت العكس لا يحدث الانسجام وبالتالي لا تحصل المعرفة الحقيقة ولا يشعر الإنسان بالسعادة الروحية . وكذلك الأمر يحدث مع جميع العلوم والمعارف بشكلها العمودي ، بأن تكون قراءة الوحي موافقة دائما مع قراءة العقل من خلال الكون والإنسان والحياة .

والأسلوب القرآني في التربية يعتمد على النظرة التكاملية التي تحقق النتائج النافعة والسريعة والهادفة والمحققة لكثير من النتائج ، فمثلا حينما نأتي لهذه الآية الكريمة في قوله تعالى : **{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }** [1]

فلما نتأمل هذه الآية نجد أنها تتحدث في البداية عن وحدة الخلق ، وتلفت انتباه النفس إلى أصالة النشأة حتى تحس بالاطمئنان ، من تلقي الدرس الذي يشتمل على الدعائم التي يقام عليها صرح الأسرة ، وبعد التهيئة تخلص الآية إلى السكن ، الذي يصدر عنه الحنان والعطف ، ثم

(1) سورة الروم (21)

المحبة والرحمة اللتان تتوافق بهما النفس مع الروح ويتم التآلف والانسجام ، وفي الأخير ينبه الانسان إلى أهمية العقل بالدعوة إلى استخدام الفكر فيما اشتملت عليه الآية من دلالات وحكم في الدرس القرآني التربوي التكاملي الذي يخاطب الإنسان بكامله النفس ،الوجدان ، الروح ، العقل ، والقلب ، فتنسجم هذه الجوانب كلها ، وينتج عنها شخصية متكاملة قادرة على الإبداع من أجل خدمة الأسرة والمجتمع والأمة كلها . وإذا احتاج العقل إلى مطلبه ، حثه على العلم والمعرفة والنظر والتأمل والتفكير ، وهذه نسميها التربية العقلية . قال تعالى : ({ **وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** } [1]

فينبغي أن يؤسس المنهج التربوي التعليمي على الحضور الدائم للدرس العقدي في جميع العلوم والمعارف ، وفق مخطط التوفيق العقدي التكاملي*في جميع مراحل التعليم ، من أجل تحقيق جملة من الأهداف :

- المنهج التربوي التعليمي السائد في العالم الآن لم يعط تفسيرات مقنعة عن ظواهر السلوك الفردي والظواهر الاجتماعية الأخرى .
- أمسى من الضروري شمول وتكامل المصادر المعرفية المختلفة فالوحي يدعو إلى إعمال الحواس والعقل والتفكر في الكون لاقتناء المعرفة، والعقل يهتدي بالوحي فيما يطيقه وسعه من المعارف، ويسلم إليه فيما غاب عنه وليس له وسيلة إلى إدراكه.
- الانطلاق الفعال من أجل انتاج معرفي يستجيب لتحديات العصر المتجددة.
- التحرر من التقليد الأعمى للآخر مهما كان مصدره ، والاهتمام بالإبداع والابتكار .
- الانسجام الحاصل بين المعرفة المكتسبة مع المعرفة الفطرية ينعكس ذلك على السلوك مما يؤدي إلى تطابق القول مع العمل .

(1) سورة العنكبوت (35)

* انظر الملحق ، الشكل 10

المطلب الثاني : دور الخطاب العقدي في التربية والتعليم .

المسلم مطالب بتبليغ الدعوة إلى الله تعالى ، والخطاب هو الوسيلة التي يملكها كل الناس وهي أسهل الوسائل في نقل العلوم والمعارف ، والقرآن الكريم هو خطاب ديني موجه للناس أجمعين لدعوتهم إلى الالتزام بالمنهج الذي اختاره لهم من أجل حياة سعيدة ، وقام الخطاب الديني النبوي بتوضيح وبيان مراد الله تعالى بقوله : **{ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** [1] ثم بين له أسلوب الخطاب الذي يجب أن يتبعه في التغيير والإصلاح بقوله تعالى: **{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }** [2] .

إذن فالقرآن والسنة هما المصدران الأساسيان للخطاب الديني ، الذي يلعب دورا بالغ الأهمية في توجيه وتشكيل فكر الناس ووجدانهم وسلوكهم ، وليس غريباً أن يكون الحديث عن الخطاب الديني ذا أهمّية فائقة في وقتنا الراهن ، لما له من دور فعّال في تربية وتعليم النشء و تشكيله فكريا ودينيا وسلوكيا ، ولا سيما في عصرنا هذا ، حيث انتشرت أفكار غريبة عن المجتمع تتسلل إلى عقول الشباب فيتأثروا بها، ومنها الجهل بالدين والاهتمام بالمظهر وترك الجوهر، والتشبث بالتقليد الأعمى.

هدف التعلم في الإسلام هو إعداد الإنسان الصالح والجماعة الصالحة إعدادا شاملا كاملا من مختلف الجوانب النفسية والعقلية والجسمية بالصورة التي تؤهل الإنسان للقيام بمهمته الأساسية في العالم ، والمقصودة من خلقه ، وهي عبادة الله تعالى طوعا وإرادة واختيارا ، قال تعالى **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }** [3] . والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، ومن أهداف التعليم أيضا حب الله ورسوله

(1) سورة النحل (44)

(2) سورة النحل (125)

(3) سورة الذاريات (56)

والخشية من الله والانابة إليه والإخلاص له والصبر لحكمه وقضائه ، والشكر لنعمه والتوكل عليه ..[1]

والخطاب الديني العقدي له دور كبير في تحقيق الأهداف الأساسية من التربية والتعليم التي تنهض بالمجتمع ، وتؤدي به إلى الرقي والتطور ، ووضع البذور الأساسية لبناء الحضارة ، وراء كل حضارة عظيمة ، خطاب عظيم ، فخطاب الرسول ﷺ التربوي للناس هو الذي صنع الرجال الذين وضعوا بذور الحضارة الإسلامية وكان له دور حيوي وفعال للغاية ، ذلك بما احتواه الخطاب من قيم عالية ، يجمع بين متطلبات الروح والجسد معا ، وهذا لا يتحقق في عصرنا إلا إذا كان التوظيف التربوي للخطاب الديني ناجحا مستوفيا مفاهيمه وخصائصه ومنطلقاته وأبعاده للوصول إلى أهدافه ومقاصده المسطرة .

ومن أهم خصائص الخطاب الديني العقدي ، أنه رباني المصدر وواقعي مع الإنسان ، يخاطب عقله وفكره ، ويجعل من واقع الإنسان و ما حوله من مخلوقات دالة على الخالق ، ويجيب على كل الأسئلة التي تهم الإنسان في حياته ، كما أنه يتميز بالوضوح والسهولة لا تعقيد فيه ولا لبس

والخطاب العقدي يرسخ العقيدة الإسلامية في النفوس ، ويعتبر الإيمان هو المحرك الفاعل في تكوين الذات وبلورة الشخصية التي تنطلق لتحقيق أهداف العملية التربوية والتعلمية برمتها ، ويتحول التلميذ إلى عنصر إيجابي في مجتمعه ، ينهض في بناء حضارة أمته . قال تعالى : **{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }** [2] وبركات السماء والأرض هي التطور اقتصادي الذي يمهد لبناء الحضارة .

ومن معالم الخطاب العقدي في المنظومة التربوية ما يلي :

1- يرسخ العقيدة الإسلامية الصحيحة ، حيث يلفت انتباه التلميذ إلى الظواهر الطبيعية من حوله ليتأملها ويتفكر فيها ، ليهتدي إلى الإيمان اليقيني المنبعث من العقل والقلب والوجدان .

2- خطاب يكسب التلميذ ملكة التفكير والابداع ، ويعلم التلميذ أساليب الحوار البناء .

---

(1) جمال عبد الهادي ، وفاق محمد رفعت ، موسوعة تاريخ العقائد والكون والإنسان ، دار السلام ، القاهرة 2010 ط : 1 ، ص : 2266

(2) سورة الأعراف (96)

3- خطاب يعطي قيمة للعقل ويعتبره منشأ وممر ضروري للإيمان الصحيح ، وليس خطر عليه كما يعتقد البعض .

4- خطاب يعطي نظرة شمولية للدين الإسلامي باعتباره نظاما وانموذجا لحياة الإنسان وليس بالطريقة التقليدية كونه دينا للعبادات والأذكار، يعكس تصور ضيق للدين ونجد ذلك من خلال منظومة القيم الواردة في المنهاج .

5- يهتم الخطاب الديني بسلوك الفرد وعلاقته بمجتمعه ، كشبكة الكمبيوتر المترابطة مع بعضها البعض من أجل انجاز مهام متعددة ، فالانضباط والتحلي بالقيم السلوكية يجعل العملية التربوية تسير على ما يرام ، ويؤدي ذلك إلى استقرار المجتمع الذي يبني نفسه بنفسه ، فينهض شيئا فشيئا ، ثم يسترجع مكانته بين الأمم .

فالخطاب العقدي التكاملي شامل لا حدود له ، وليس كغيره من الخطابات التي تحصر الدين في شخص أو مذهب أو رؤية ضيقة يحيطها بهالة من القداسة ، يغلب عليها الخطاب العاطفي المسيل للدموع و المشحون بالمدح والتضخيم لمحتويات التراث الديني ، والوقوف على الاطلال ، فالخطاب الديني المطلوب هو الذي يحمل إجابات لكل الأسئلة التي هي في مجال المتعلم ، بحيث يضع النصوص الدينية في سياقها التاريخي والاجتماعي ، ويفتح عقل المتعلم لكي يساهم في حل مشاكل مجتمعه الواقعية .

وما يميز الخطاب العقدي التكاملي عن غيره ، كونه خطاب يعتمد على الحجة والبرهان والأدلة النقلية والعقلية ، فهو يجمع بين المعرفة العقلية والمعرفة الوجدانية ، كما أنه يزيل التعارض بين الوحي والعقل .

المطلب الثالث : الأمثال وصياغة الدرس العقدي

القرآن هو الذي أعطى رؤية معرفية للإنسان، وزوده بمنظومة من القيم والأحكام ، وتفسير الظواهر والقضايا التي تشغل الإنسان ، والقرآن يحمل مشروعا حضاريا وله آلية التغيير في الكون . فهو المرتكز في تكوين البنية العقلية والحياتية للإنسان .

والصياغة المطلوبة في الدرس العقدي ، تحتاج إلى الأسلوب الأنفع و الأنجع في التأثير في المتلقي أو المُخاطب ، ولعل أهم هذه الأساليب ، ضرب الأمثال ، التي هي

إحدى المراحل المهمة في تطوير وصياغة الدرس العقدي ، والشرح بالأمثلة نجدها في القرآن والأحاديث الشريفة ، كما نجدها في حياة الناس ، انظر الناس في حياتهم اليومية كيف يعززون ويؤيدون في توضيح الحقائق بالأمثلة الشارحة ، (بالمثال يتضح المقال) أو كما يقال (على رأي المثل) فهو الذي يقرب البعيد ويشرح الغريب ويفسر الصعب ، ويثير الهمم ، ويعين على الفهم .

وقد أكد القرآن على أهمية الأمثال، بوصفها صيغة تساعد على إعمال الذهن والفكر ، وترشيد السلوك ، وتربية الحس النقدي ، ويثير حب الاستطلاع والرغبة في التأمل ، رغم أن الأمثال في القرآن تتميز بالأسلوب الواضح الذي يبسط الحقائق ، ويورد الأدلة والبراهين مما يقنع العقل ، وقد ضرب الله تعالى لعباده الأمثال من أنفسهم ، ليعقلوا بها ، ويدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم ، قال تعالى : { **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** } [1] يتحدث عن وظيفة الامثال قائلا بأنها مخصصة للتدبر عقلا من لدن العالمين وذلك في صيغة حصرية قصرية . فهي من معالم المنهج العقدي لأنها تؤدي وظيفة عقلية علمية تتجاوز الجانب السحري من بيانها البديع وتتجاوز من باب أولى وأحرى مجرد الاثارة والتلاوة والقصة ، وهي بالتالي معول عليها في تحريك العقول وإكساب العلم بالعقيدة وجني الايمان .

وفي الدرس العقدي يلعب المثال الشارح، دورا مهما كوسيلة في تعليم العقيدة ، ويساعد في دقة الفهم والادراك السليم للمجردات والمثاليات ، ومن أفضل أساليب الاقناع ، فيبرز المعقول في صورة محسوسات ، ويفيد في توضيح المفاهيم بصورة أعمق و تأثيرا في النفوس والسلوك والتصرفات ، وفيه عنصر التشويق الذي يضفي على الدرس حيوية ، مما يزيد في إقبال الطلاب على المادة ، و يجسد القيم لدي الطلاب ، كقيمة التفكير الناقد ، وقيمة الحوار ....

والنبي ﷺ كان يعتمد على الواقع المشهود في تقرير المبادئ الإنسانية ، وقريب من هذا أنه كان يستعين بالأمثال والقصص والأشباه والنظائر لتقرير ما يحرص على

(1) سورة العنكبوت (43)

غرسه في نفوس أصحابه من قيم ، والأمثلة كثيرة في السنة نذكر منها : **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ ، وَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي ، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهَ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لأَجْرًا ؟ قَالَ :" فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)** [1] .

وإذا كان التشبيه بجميع صوره وأشكاله من أساليب البيان المتفق على بلاغتها ، فإنه في الأمثال يبلغ قمة البلاغة ، ويحتل ذروتها ، ذلك أن مَضَارِب الأمثال تكون عادة من المعاني المعقولة التي قد يصعب تصورها واستكناه حقيقتها ، ومن ثم يلجأ الناس إلى ضرب الأمثال لها بأمور حسية ، وأحداث واقعية ، فلا تلبث هذه المعاني المعقولة أن تبرز من الخفاء حتى تكون في مُتَنَاوَل الحواس الظاهرة [2] .والله تعالى يقول : **{ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }** [3] .

والقرآن يضرب الأمثال الهادية والمطابقة لحال الممثل به ما يعلم أنه يجلي الحقائق ويؤثر في القلوب .. والمثل في اللغة الشبه والشبيه وضربه عبارة عن إيقاعه وبيانه وهو في الكلام أن يذكر لحال من الأحوال ما يناسبها ويشابهها ويظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفيا [4] . وأغلب الأمثال في القرآن استعملت في مجال العقيدة الإسلامية ، مما يدل على أهميتها في الدرس العقدي ، ويمكن الاستفادة منها بضرب الأمثال من الواقع المعاصر الذي نعيشه ، من أجل إثبات صحة الصحة العقيدة الإسلامية للآخر ، وتثبيتها للمسلم وبذلك يكون الدرس العقدي قد حقق أهدافه ، كما جاء في الأسلوب القرآني .

---

(1) البخاري ، الجامع الصحيح ، تح : محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، القاهرة 1400هـ ،ط:1 ج: 4 ، ص: 93

(2) بن سلمة الضبي ، الفاخر في الأمثال ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2011 ، ط:1 ، ص : 11

(3) سورة الزمر (27)

(4) رشيد رضا ، تفسير المنار ، دار المعرفة ، بيروت ، ج : 1 ، ط:2 ، ص : 236

وفي ما يلي جدول وضعت فيه بعض الآيات القرآنية العقدية كنماذج على سبيل الذكر تناولت الأمثال لإثارة عقول المنكرين والجاحدين للحق بعد أن غابت عقولهم عن التفكير وأسماعهم وأبصارهم عن المحسوسات الظاهرة التي عاينوها :

الأمثال في الآيات القرآنية	المعنى العقدي	س وآية
وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ..	تشبيه المنكر لدعوة الإيمان	البقرة171
..كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ ...	ضرب مثلا للحق والباطل	الرعد17
مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ...	تشبيه أعمال الكفار بالهباء المنثور..	إبراهيم18
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء	كلمة طيبة "لا إله إلا الله" كشجرة طيبة ..	إبراهيم24
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ	كلمة خبيثة "كلمة الكفر" كشجرة خبيثة ..	إبراهيم26
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ	يعبدون شركاء لله ، وهم لا يستطيعون خلق الذباب ...	الحج73
{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ...	اتخذوا أصناما آلهة وهي لا تنفعهم في شيء .	العنكبوت 41

المطلب الرابع : من وسائل بناء الدرس العقدي

إن الثورة في مجال العلم والمعرفة والمعلومات والاتصالات جعلت العالم أكثر اندماجا ، وأحدثت تغييرا أساسيا في طريقة وطبيعة التعليم الذي يتلقاه الناس ، كما سهلت وسرعت المعلومات والخدمات ، وانتقال المفاهيم والمفردات فيما بين الثقافات ، وفي تقدير كثير من الخبراء أن الثورة العلمية وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ستكون

الطاقة المحركة للقرن القادم ، وخاصة في الجانب التربوي والتعليمي ، وبدأت هذه الثورة تحدث تغيرات ملحوظة في حياة الناس وفي أسلوب تعاملهم مع بعضهم بعضا .

ولعل من أهم الوسائل التي تساهم في بناء الدرس العقدي هي محاولة استغلال الثورة العلمية والمعلوماتية التي نشهدها اليوم في عالم الكمبيوتر ، الذي ساهم في تحويل البيانات والمعلومات والمعارف من بيانات مكتوبة على الورق إلى بيانات الكترونية تقرأ على شاشة الكمبيوتر ، وبات التعليم الالكتروني بمختلف أبعاده واقعا تربويا عالميا ، ولذا يتحتم علينا إعادة النظر في أساليب التعليم والتعلم ، وكيفية الاستفادة من التكنولوجية الحديثة ، التي سوف تحدث ثورة حقيقة في مجال التعلم في المستقبل ، ومع تطور شبكة الإنترنت وتغلغل خدمة الوصول للإنترنت السريعة عبر خطوط المشتركين الرقمية عالية السرعة (DSL) تغير مفهوم التعليم الإلكتروني وطرق عرضه والتفاعل معه ليشمل جوانب أكثر تفاعلية وتخصصية.

هذه التغيرات الحديثة في الويب web أثّرت فينا نحن الأفراد وفي طريقة تعلّمنا وتعاملنا مع من حولنا، وبدأنا نشهد تبني فلسفات عدة منها التعبير الحر والتعاون البناء ، والتي وفرت لنا القدرة على بناء عوالمنا التعليمية الخاصة بنا في سبيل تحسين مهاراتنا ومعلوماتنا .

مما يحتّم على الخبراء في التربية والتعليم إعادة النظر في دراساتهم وأبحاثهم فيما يتعلّق بالمناهج التعليمية ، وأساليب التعامل مع المعرفة وكيفية إيصالها إلى المتعلم ، ولعل أسلوب التلقين التقليدي لن يكون مجديا مع الجيل القادم الذي يتعامل مع البيانات والمعلومات الالكترونية ، وبتوفر الكم الهائل من المعلومات عبر الانترنت والأقراص المدمجة ، لم يعد في حاجة إلى الحفظ والتذكر ، وإنما يجب التركيز على كيفية الوصول إلى المعرفة والتعامل معها ، وإذا لم نتدارك الأمر قبل فوات الأوان ، فسنجد أنفسنا في جزيرة معزولة عن العالم ، وستزداد الهوة بيننا وبين العالم المتطور ، وحينها لا نستطيع أن نفهم تكنولوجية الآخر ، ولا يكون لنا مكانا بين الأمم ، لأن عالم القرن الحادي والعشرين

سيكون عالما تهيمن عليه قيم و انماط ثقافية وحضارية ، ويتميز بالنمو الهائل والسريع للمعرفة في كل الميادين ، و يصبح التعليم متاحا أمام الطلاب في مختلف انحاء العالم .

كما أن تدريس العلوم تسارع بطريقة عجيبة لم يكن باستطاعة الكتب الحالية مواكبة هذا التطور، فقد أُغفل الحاسوب ودوره في تعليم العلوم مع أنه أصبح شريكها، بل نادرا ما نسمع تدريس العلوم دون أن يكون مقترنا به الحاسوب أو المعلومات. كما أغفلت إدراج الشبكة الدولية للمعلومات (انترنت) ضمن مفردات تدريس العلوم على الرغم مما أصبح لها من حضور متميز في ثنايا التدريس.

إن المتغيرات السريعة المستمرة والعلم المتلاحق الأنفاس الذي يظهر المعلومات على الانترنت فور التوصل إليها ، والقدرة على التعامل مع جميع أنحاء العالم ، وفي خلال لحظات خاطفة ، كل تلك الميزات أصبحت علامة وشعارا يميزان المؤسسات الحديثة ، وإذا ما قارنا كل تلك المتغيرات مع الصورة التقليدية للطالب القابع في صفه يقرأ من كتاب مدرسي يحوي مادة علمية عمرها عدة سنوات ، ومعلم يشرح له الدرس بأمثلة من تجاربه الشخصية عمرها عشرات السنين ، فإننا نشعر أننا ننظر داخل متحف تعلو آثاره طبقات من الأتربة [1].

وتجري الآن عملية انتقال من أنماط التدريس التقليدية إلى التدريس باستخدام الكمبيوتر والاعتماد على الانترنت والاكتفاء بالأقراص المدمجة ، بحيث يمكن للطالب تخزين المعلومات الضرورية على الكمبيوتر الشخصي ، وتصفحها في وقت لاحق .

والتلقين الالكتروني هو المخاطبة عن طريق استخدام تقنيات الاتصالات والمعلومات الحديثة باستعمال الكمبيوتر والأقراص المدمجة والانترنت والبريد الالكتروني .

فليس من الحكمة أن نقدم دروس العقيدة بطريقة تقليدية ، تحوي مصطلحات فلسفية وتعريفات واختلافات وقعت بين الفرق في مسائل العقيدة ، في حين الطالب الذي نخاطبه يحدق في المدرس مندهشا ومستغربا ، من تلك المصطلحات التي لا تلائم

(1) مارتين تساشيل ، التعليم الألكتروني تحد جديد للتربويين ، مجلة المعرفة ، السعودية ، عد :91 ، ديسمبر 2002 ص : 16

عقله ولا يستطيع أن يستوعبها لانشغال ذاكرته بمصطلحات علمية معاصرة ، وبالتالي يصبح المدرس وكأنه يخاطب نفسه ، والنبي ﷺ أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم في الزمان والمكان ، فكان الأولى أن نراعي التطورات التكنولوجية الحديثة والمتسارعة ، ونفكر في وضع منهجية علمية لدرس العقيدة ، بالافادة من الإعجاز العلمي والدراسات الحديثة للعلوم ، ومن حيث الوسائل و الأسلوب باستخدام الكمبيوتر اللوحي واللوح الإلكتروني لتوضيح الآيات القرآنية بالآيات الكونية التي توصل إليها العلم و كل وسائل التكنولوجية المتاحة مع العمل على تطويرها وتكييفها بما يخدم درس العقيدة الإسلامية .

المطلب الثاني : الدرس العقدي وعلاقته بمنظومة القيم

إن النظرة الإسلامية للقيم تتصف بالكمال ، لأن مصدرها هو اللهﷻالذي يعلم خبايا الإنسان والكون وسننه ، والتي في إطارها يتحرك الإنسان ويمارس وظيفته في الحياة ، قال تعالى : **{ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ }** (1)

والقيم الأخلاقية والجمالية هي مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع ، وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة ، والآيات القرآنية التي نزلت على الرسول ﷺ لم تكن دعوة إلى القراءة أو تلقي العلم فحسب، ولكنها كانت إلى ما هو أشمل وأعمق ، كانت دعوة إلى الحركة الديناميكية والنشاط والبناء والإبداع ، وهذه الحركة من أعظم الأسس التي اعتمدت عليها القيم الإنسانية في الإسلام .

والعلاقة بين العقيدة والقيم من الدراسات التي تحتاج إلى الاهتمام والمزيد من البحث، ذلك لأن مجتمعنا العربي الإسلامي يعيش حالة من الانقطاع التاريخي عن مشروعه الحضاري، مما أفقده التصور الدال على الذات ، وأفقده وضوح الهوية المميزة لشخصيته ودوره الحضاري ، ونتج عن ذلك ضبابية في التعرف على القيم ، وفق المنظور

(1) سورة غافر (19)

الإسلامي الكامل ، والعقيدة تعتبر العنصر الأول والمميز للهوية الحضارية الإسلامية ، التي يعرف بها ويميز بها الفرد أو المجتمع أو الأمة عن غيرها .

إن ما يميز المنظور الإسلامي للقيم عن سائر المنظومات الأخرى، ترسيخه لمفهوم العبودية والاستخلاف ، فلم يكن من المستغرب أن يقضي رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في ترسيخ قيم العقيدة في النفوس لأنها الأساس المتين الذي ستُبنى عليه باقي مكونات منظومة القيم الحضارية للأمة الإسلامية، ثم ينزل أول ما ينزل من أحكام العبادات، الصلاة. فالمنطلق إذن في بناء منظومة القيم يبدأ بربط الخالق بالمخلوق *، وما سيأتي بعد ذلك من أوامر ونواه ستجد طريقها الطبيعي إلى التنفيذ بناء على ذلك ، وتهدف القيم الاعتقادية والتعبدية إلى تركيز مفهوم وحدانية المعبود، يقابل ذلك تحرير الإنسان من كل مظاهر العبودية لأي مخلوق أو كائن مهما عظم، فهو مخلوق على كل حال يحمل سمات النسبية والضعف ومواد الفناء والاندثار. وتعزز شعائرُ العبادات الخمس هذه الصلةَ بالله، وتعمّق القيمَ الإسلامية في المجتمع من خلال التنفيذ الجماعي لهذه العبادات لانسجام وحدة العبادة مع وحدة المعبود في كامل صور الإبداع والاتساق، ويجد كلُّ ذلك أثره في سلوك الإنسان اليومي في كل مجالات الحياة [1]

فالعلاقة بين الدرس العقدي التكاملي والقيم التربوية ، هي علاقة وثيقة لا تقبل الانفصام ، لأن القيم التربوية لابد لها من جذور تستمد منها قوام حياتها ، وتطبع سلوك الإنسان بطابع معين يتناسب مع قيم الإسلام التي تتمحور حول الكليات الخمس ، التي تتوقف عليها مصالح العباد في العاجل والآجل وهي : الدين ، النفس ، العقل ، العرض ، المال ، وهي التي تكلم عنها الإمام الشاطبي في مقاصد الشريعة ، وتدور كلها حول تقويم سلوك الإنسان من أجل الحفاظ على حياته واستقراره ، وتشبع الأفراد بنظام من القيم يتصف بالكمال ، ومن صفات الكمال أن تكون تلك القيم منسجمة مع الفطرة الإنسانية التي تقوم على أساس راسخ هو الإيمان بالله .

* انظر الملحق ، الشكل 8

(1) خالد الصمدي ، القيم الإسلامية ..مجلة حراء ، تركيا ، عد : 13 ، سنة :4. ديسمبر2008 ، ص : 5-6

المبحث الرابع

منطلقات ومعوقات في طريق التطبيق

المطلب الأول : مبادئ ومنطلقات الدرس العقدي

المسلمون في العصر الحديث يواجهون إلحادا من نوع آخر ، هو إلحاد مغلف بالعلمية ، وهو أبعد عن العلم والمنطق الصحيح ، إنه إلحاد يستخدم حتمية المادة ، واحتمالات الرياضيات لتأثير الصدفة في نشأة الكون وامتداده ، وحتمية التطور من أجل اجتثاث الإيمان ، كما يواجهون فرقا تختلف عن سابقتها ، تدعي الإسلام الحق ، وترمي غيرها بالضلال والكفر ، ومن خلال هذه الفرق يواجه المسلمون سوء الفهم لأصول العقيدة الإسلامية .

و من هنا يتوجب على المتخصصين في العقيدة أن يواكبوا هذا التطور الخطير ، ويفكروا في كيفية صياغة درس العقيدة الإسلامية صياغة علمية دقيقة تتماشى مع الأسلوب العلمي ، والمنهج القرآني الفريد ، مع الحفاظ على الثوابت والمنصوص عليه من الأدلة الشرعية ، ولا يكفي التأصيل النظري لفكرة التكامل المعرفي ، بل لابد من صياغة المعرفة والسير بتطبيقاتها في ضوء مبادئ ومنطلقات التوحيد ، حتى تظهر نتائج التكامل المعرفي كما يراد لها أن تظهر .

المبادئ الأساسية في الصياغة الجديدة :

أولا : الصياغة العقدية للأفكار :

بمعنى صياغة الفكر الاسلامي صياغة عقدية بحيث تبدو فيه روح العقيدة سارية في معانيه وألفاظه ، وفي هيكله العام و مؤطرة له في كل مساراته في شتى ميادين المعرفة . وتكون هذه الأفكار لها تأثير على العقل والنفس والوجدان ، والتي تعمل على تزكية الروح والنفس ، فلم يكن بناء العقائد مفصولاً عن طبيعتها التربوية الروحية في الوعي العقدي لدى الجيل الإسلامي الأول، الذي تلقى مفردات العقيدة من مشكاة النبوة .

وأهم فكرة يجب تصورها هي فكرة العقيدة ، وكيف نفهمها من منطلق الوحي الخالص بلا نقصان أو زيادة من حيث مدلولها ومفرداتها ومصادرها ،

وفي نصوص القرآن والحديث تأكيد مستمر على هذه الحقيقة قال تعالى : **{ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }** [1]

ثانيا : البساطة والسهولة في الطرح :

فقد كانت العقيدة تتوجه ببساطة العبارة وصفاء الفكرة إلى فطرة الإنسان العاطفية فضلاً عن تفكيره السليم، وكان العقل نفسه وظيفة من وظائف القلب غير مفصول عنه. ولما طغى على العقائد التنسيق الكلامي المجرد، والبناء الفلسفي النظري، انفصم جسد الشخصية الإسلامية إلى شطرين متنافرين ، مع أن العقيدة جاءت لصناعة شخصية مسلمة متكاملة ، لا ينفصل فيها القلب عن الفكر ولا عن السلوك.

(1) سورة آل عمران (191)

ثالثا : تفعيل أهداف الدرس العقدي :

الهدف من درس العقيدة الإسلامية هو ربط الإنسان بخالقه برباط وثيق هو توحيد الله تعالى واللجوء إليه في كل الأحوال ، والتخلص من عالم الخرافات والجهل ، والأخذ بيده إلى دنيا العلم والنور ، وربط العلم بالإيمان .

فالعقيدة هي التي جنّدت للرسول ﷺ جيشاً عِدّته عشرة آلاف، وهو الذي خرج من مكة مستخفياً يطارده كفارها ، ولم يستطع الذين حاربوه طوال هذه المدة أن يصمدوا أمام قوة الإيمان الزاحفة ، فاستسلموا له ، وأتوا إليه مذعنين ، أو دفعوا إليه الجزية صاغرين .

ومن أجل تفعيل درس العقيدة وتحقيق مقاصده فإننا نتبع منهج القرآن الذي يركز على منطلقات هامة نذكر منها :

1- **النظر في الكون والإنسان والحياة** قال تعالى{ **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** }[1] . فالقرآن جعل من الكون منطلقاً للوصول إلى الله تعالى خالقه ومبدعه ، ويثير في الاذهان دواعي التفكر الجاد والمثمر في ما يعرضه من معارف بقوله تعالى : { **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** }[2] 2- **النظر في سنن التاريخ** : حيثُ دعتنا العقيدة إلى تأمل أحداث التاريخ بنظر ثاقب ، وفكر فاحص ، وصولاً إلى العوامل التي كانت سبباً في تدهور المجتمعات ، وسقوط الحضارات، أو نموّها ، قال تعالى: { **فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** }[3] . وقال تعالى : { **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ** }[4] .

---

(1) سورة الذاريات (21.20)

(2) سورة المؤمنون (115)

(3) سورة آل عمران (137)

(4) سورة يونس (13)

3 : الوقوف على مقاصد العقيدة والشريعة : إن فهم المقاصد العامة من العقيدة والشريعة من شأنه أن يضيء لنا معالم الطريق نحو الهدف من درس العقيدة ، ويرسخ القناعات في الفهم والتطبيق والصلاحية لكل زمان ومكان ، وإزالة الغيوم عن الشبهات التي تثار هنا وهناك حول العقيدة والشريعة ، وكذلك يكسب من خلاله طالب العلم الملكة التي يقتدر بها على مواجهة الشبهات بالحجة والبرهان .

4: ربط الدرس العقدي بالتربية والسلوك : العقيدة الإسلامية لها فضل كبير على مناهج التربية والتعليم التي تسعى لبناء الإنسان ، لتأكيدها على دور الايمان والعلم معاً في بناء شخصية الإنسان ، وبفصل العلم عن الايمان يغدو الإنسان كإبرة مغناطيس تتأرجح بين الشمال والجنوب ، وعليه فهو بحاجةٍ ماسة إلى قوة تتمكن من إيجاد ثورة في ضميره ، وتمنحه اتجاهاً أخلاقياً يحقق إنسانيته، وهذا عمل لا تتمكن منه التربية والتعليم بمعزل عن الدرس العقدي ، ذلك أن المتعلم القريب من الدرس العقدي ، يعيش لنفسه ولأمته ولخالقه بموازاة في الزمان والمكان .

المطلب الثاني : الدرس العقدي ومنطلق البناء المعرفي التكاملي

المحور الذي يدور عليه البناء المعرفي للإنسان هو العقيدة الإيمانية ، وأما المعرفة والعقل فهما وسيلة للوصول إلى غاية وجود الإنسان ، فلا شك إذن أن يكون للدرس العقدي الدور الفعال في تشكيل المعرفة التكاملية التي تؤدي إلى بناء إنسان الحضارة ، والمعرفة التكاملية قد عرِفها علماء الإسلام في بناء حضارتهم حين اتجهوا في حركتهم العلمية إلى علوم الأمم والشعوب الأخرى يبحثون فيها عن الحقيقة ويقتبسون ما يوافق عقيدتهم ، وقد أبدعوا وأضافوا علوم اخرى ومناهج جديدة كانت أساس بناء حضارة الإنسان .

والبناء المعرفي للإنسان لا يقبل تقسيم العلوم إلى دينية وغير دينية ، فالمنهج العلمي الإسلامي الذي وضعه علماء الإسلام يمتاز برؤية شمولية ، فهو لا يفصل بين المعرفتين العلمية والدينية، فسائر العلوم التي تنطوي على منافع وفوائد معتدٍّ بها، يمكن اعتبارها معارف دينية، وبالتالي فإن تقسيم العلوم والمعارف إلى دينية وغير دينية لا يستند إلى أساس سليم ، كما ذكرنا سابقا في تصنيف العلوم ، والمطلوب هو الربط بين العلوم برباط واحد مصدره واحد وغايته واحدة ، دون أن نحتاج إلى تسميته بالإسلامي ، أو الديني ، ونكتفي بالتكامل المعرفي ، أو المعرفة المتكاملة . والبناء المعرفي للإنسان يعتمد على أساسيات ينطلق منها :

1- **معرفة الحقيقة** : والحقيقة قد نستمدها من النص وهي حقيقة ثابتة لا تقبل التعديل أو التأويل أو الاحتمالات ، قوله تعالى : **{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }** [1] . أو تلك التي نستمدها من العقل عن طريق التفكر والتأمل في المخلوقات وبالتجارب العلمية الميدانية قال تعالى : **{ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ }** [2] ، فحقيقة وجود الخالق ثابتة بالنص ، وأيضا ثابتة بالعقل عن طريق تتبع الآثار الدالة عليها ، وهي حقيقة يجب الاعتراف بها .

2- **الفهم الواعي** : إن مشكلة المسلمين والعالم هي مشكلة الفهم الذي يُنتج السلوك والسلطة والتسخير، يهتم الكثير من المتخصصين في التربية العلمية بتعلم المفاهيم لأنها تستطيع إعطاء معنى للتعلم بعكس الحقائق التي لا تتعدى إعطاء المتعلم معلومات أساسية حول المادة العلمية ، ولذلك يرتبط تعلم المفاهيم بالتعلم ، ومسألة الفهم من المسائل التي يعاني منها الفكر الإسلامي ، فالنبي ﷺ حين عرض دعوته على الناس ، منهم من فهم ، ومنهم من أعرض عنه ولم يستطع فهمه ، فالأول تطابق فهمه مع الزمان والمكان ، والثاني الزمان والمكان كفيل به ، إما بإزالته

(1) سورة البقرة (146)

(2) سورة يونس (101)

من الوجود أو بمراجعة فهمه .قال تعالى : **{ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا }**[1] و الفهم الواعي ، أي المنطلق من الوعي التام ، يعمل على بناء المعرفة بناءً مستقلا عن المعطيات الثقافية المبرمجة ، وخارج حدود النظام الاجتماعي السائد ، وذلك بغية الحصول على أفضل إدراك للحقائق الموضوعية المختلفة ، فالفهم الواعي يجعل المعرفة تتفاعل مع الوجدان وتنقاد إلى الحق قال تعالى: **{ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }** [2]

ولعل مسألة عدم الفهم من المسائل التي لها علاقة بقلة الوعي الديني الذي يحفظ مسار الفكر ، أو عدم فقه الواقع أو الجهل بمنهجية التفكير ، والاعتماد على ظواهر الأشياء أو اللجوء إلى التقليد دون تبصر ، أو التعصب للرأي أو المذهب أو المنهج ..كل هذه الأسباب وغيرها كثير تعيق الفهم ، الذي هو بدوره يعيق البناء المعرفي للإنسان الذي يريد أن يبني الحضارة ، ويقيم أركان العقيدة والعبادة .

3- **التأطير العقدي للمعرفة** : لا تكون المعرفة ذات معنى وفائدة ما لم تكن موصولة بالإيمان ، قال تعالى : **{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }** [3] . فالآية ربطت المعرفة بالإيمان ، ذلك أن المعرفة إنما مصدرها الخالق ﷻ ، سواء تمثلت في الوحي مباشرة ، أو متمثلة في الكون وفي مخلوقات الله تعالى ، ويطلب اكتشافها والحصول عليها بالعقل الذي هو بدوره من خَلق الله تعالى ، وفي النهاية لها غاية واحدة وهي معرفة الله والإيمان به وتوحيده وعبادته ، والقيام بالاستخلاف في الأرض إلى حين . وإن لم يكن للمعرفة هذا الإطار العقدي ، فإنما هي مجرد أفكار يحملها الذهن ، فمثلا إذا كنا نريد أن نكتشف سر نشوء الكون ، فقط

(1) سورة النساء (55)
(2) سورة المائدة (83)
(3) سورة الأنعام (20)

لكي نقف على أرقام وحقائق في ذاتها ، كأن نقول بأن انفجارا كبيرا حدث منذ 13.7 مليار سنة ، ثم نتمتع بهذه الحادثة وتلك الأرقام ، فتكون مقصودة في ذاتها ، فهذا ضرب من الترف ، أما أن نقف على قدرة الخالق ونربط هذه المعرفة بالعقيدة فيكون ذلك بناءً معرفيا متكاملا يزيد من عظمة الخالق والمخلوق .

4- **التأطير العملي للمعرفة** : ذلك أن المعرفة المحصل عليها إن لم تترجم إلى سلوك عملي في واقع حياة الإنسان فإن البناء الفكري لا يستقيم ، قال تعالى : **{ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }** [1] فالآية صريحة قد ربطت المعرفة بالعمل ، فالغذاء عند تناوله إن لم يهضم ويتحول إلى عناصر بسيطة تفيد الجسم ، فإن الجسم لا ينمو ولا ينتفع ، والنبي ﷺ كان

يربط العلم النافع بالعمل المتقبل ، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في دبر صلاة الفجر : (**اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً طيباً،**) [2] فالعلم أو المعرفة إن لم ينتفع بها صاحبها ، ويتحول إلى عمل صالح ، فإنما هو هدر للوقت والجهد بلا فائدة .

المطلب الثالث : [منهجية الدرس العقدي في التعامل مع المعرفة]

تتضح هذه المنهجية جليا في سورة العلق، فالمتأمل للآية الكريمة في قوله تعالى : **{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ , خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ , اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ , الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ , عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }** [3] ، فتكون القراءةُ وفْقَ مرادِ الله تعالى ، لا على ما تريد أهواء الناس فالحقُّ لو سايَرَ رغبات البشر لَهلكت الأرض ومَن فيها ،قال تعالى: **{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ }** [4] .

---

(1) سورة النمل(93)

(2) رواه أحمد وابن ماجة ، التبريزي ، المشكاة ، مج : 2 ، ص : 770

(3) سورة العلق(1-5)

(4) سورة المؤمنون (71)

فالقراءة هنا ربانية في المبدأ والوسيلة والغاية، وهذا ينفي الانْحِرافات العنصرية، والتقليد الأعمى، والتعصُّبَ للعِرْق، أو الجنس، أو التوجُّه، أو الفكر، فالقراءة هنا تكتسب بُعْدً عالَميا من كونِ الرسالة الأولى المأمور بقراءَتِها وتبليغها موجهةً للعالَم كُله، شاملة لكل حاجِيات الناس كافة في حالِهم ومعادهم .

وتعليل حصْرِ منهج القراءة بالربانية كان في قوله تعالى: (**الَّذِي خَلَقَ**) فهو ربُّكم خالقكم وهو العالِمُ بِما خلق وما يُناسبه، فكان ذا شرعيةٍ في تَحديد المنهج ، فالدِّين له مقامُ الفاصل، ثُمَّ يكون مقام الدُّنيا بِحَركتها وتطوُّرِها، فالدِّين يُحدِّد شرعيَّة الطِّب والعلاج ، لكن لا يُشخِّص الأمراض ويَصِف الدواء؛ لأنَّ هذا مَجال الطِّب، لا مَجال الشرع.

والبحث في تاريخ وأحوال الأُمَم؛ من عمران، وأساليبِ العيش، والتدبُّر في الأنفس، كلُّها وردَتْ في القرآن في أحَدِ مَحاورِه الهامة، وهي القَصَص :({ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** } [1].

وفي هذا إرشادٌ صريح إلى دراسة العلوم الإنسانية؛ لِفَهْم الآخَر والظواهر البشرية ، ولو رجعنا إلى تاريخ الحضارة الإسلامية ، فإننا نجد أن علماء المسلمين كان سعيهم دائما إلى الربط بين مختلف العلوم، وذلك لتقديم مفهوم منسجم عن الطبيعة.

فالقرآن لا يدعو إلى إيمان من غير معرفة ، فالدرس العقدي يبنى أصلا على العلم والمعرفة قال تعالى : { **شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ** } [2].

لم يقل : وأولوا الإيمان ، لماذا ؟ لأن الإيمان لا يثبت إلا بعلم ، علم أن الله واحد ،إذن فالذي يقول : الإيمان قبل العلم مثل الرجل الألماني الذي قال : " أنا لست في حاجة إلى المعرفة لأومن ، وإنما انا في حاجة إلى الإيمان لأعرف " نقول له : كلامك

(1) سورة يوسف (111)

(2) سورة آل عمران (18)

صحيح في ناحية ، وخطأ في ناحية أخرى ، لأنه لابد من المعرفة الأولى بوحدانية الواحد ، وبعد ذلك إذا آمنت به فقد أراحك وعرفك هو ، لأن قصارى ما تعلمه من ظواهر الحياة ، أما ما غاب عنك من أسرار الكون فلن تعلم عنه شيئا ، وسيظل علمك مقصورا على نشاطك الذهني في تجاربك ، كلما علمت نتيجتها ، لكن الحق يخبرك عن أشياء لا تحسها ، وأشياء لا تدخل في تجاربك ، ولا في معملك[1] .

وعلاقة العقل بالوحي هي علاقة تدبر وتفكر وعبادة وتكريم وليست علاقة اذلال واستعباد واستبعاد ، بل هو الذي جعله الله تعالى وسيلة لمعرفته والإيمان به عن طريق اكتشاف العلوم والقوانين الفيزيائية والرياضية والطبيعية .

فالدرس العقدي ينفتح على جميع العلوم والمعارف التي توصل إليها الإنسان بعقله ، ويوظفها ضمن أهداف الدرس وفق منهجية تتناسب وكل تخصص من تخصصات العلوم ، فالله تعالى يقول : **{ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }** [2] .

وأهل الذِّكْر هم أهل التخصُّص في أيِّ جانبٍ من جوانب المعرفة، وأهل الفنِّ أدْرَى من غيرهم بِمَسائله ، فمصادر المعارف كتبُها وعُلَماؤها، فإنْ كانت المعرفة مادِّيَّة كان العَوْد إلى أهلها فيها أحقَّ من غيْرِهم، والتَّفكير في مَجالها بأدَواتِها، ومناهجها التي تَفِي بالغرض؛ للحصول على نتائج صحيحة، فكان الوقوفُ على الحضاراتِ وعلومها ومعارفها المتراكمةِ من طرُقِ الأخذ عنهم؛ لتوسيع الْمَدارك، الاستفادةِ من الإبداعات، ما لَم تُعارض نصًّا، أو تُنافي شرعًا للإسلام.

فترى في القرآن النبيَّ موسى عليه السلام يتعلم مِمن هو أقَل منه شهرة ومَنْزلة الْخضر عليه السلام قال تعالى : **{ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا }** [3]

يقول طه العلواني : " على عهد الرسول ﷺ بل وعهد الصحابة رضي الله عنهم ، لم يكن يعرف شيء اسمه نص وشيء اسمه عقل متمايزان يعيشان حالة صراع وتناقض وحرب

(1) الشعراوي ، عقيدة المسلم ، مكتبة التراث، القاهرة ، ص : 70-71

(2) سورة النحل (43)

(3) سورة الكهف (66)

ومعركة بين الاثنين ، كان النص والعقل يسيران معا جنبا إلى جنب خاضعين لحاكمية الله المطلقة ، النص يرشد العقل ويوجهه ، والعقل يتفهم النص ويستوعبه ويحسن تطبيقه وربطه بالواقع دون أي عملية صراع." [1] على أن المتخصِّصين في هذه العلوم كلها حين يُريدون بِها وجْهَ الله تعالى تَكُون لَهم ضرْبًا من العبادة، وهو ما يدْعو المسلمَ إلى الإبداع، حين يَشعر في قرارة نفْسِه أنه يُمارس هذه الفُنون وهو مأجورٌ عند ربِّه، مسدَّدٌ في دنياه وآخرته.

وهذه الصُّورة هي التي تعطي شُموليَّةً للعلم في القرآن الكريم، فلا مادِّية مُلْحِدة، ولا لاهوتيَّة رَهْبانيَّة مُغالية في المثاليَّة، فالتَّوازُن من خِصال التوسُّط والوسطيَّة في القرآن الكريم، فالدُّنيا مسخَّرة لصالح الإنسان قال تعالى **{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }** [2] مع ذلك تكون الغاية هي الآخرة، فخَلْقُ الإنسان لَم يكن للعبَث، ولا لحياة البهائم؛ فقد أُمِر بالتقوى في إعمار الأرض قال تعالى:(**{ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ }**[3]

المطلب الرابع : معوقات الدرس العقدي

إذا كنا قد تحدثنا عن مبادئ الدرس العقدي التكاملي ، وعن دور الدرس العقدي في التكامل المعرفي ، والمنطلقات الأساسية للوصول إلى هذه الأهداف المرجوة من ناحيتها النظرية ، فإننا حين ننزل لتطبيقها في الواقع ، نصطدم بكثير من المعوقات والصعوبات التي تحول دون تطبيق هذا المشروع الحضاري ، ويمكن أن نلخص بعض هذه العقبات فيما يلي :

1- غياب الإدارة التي تخطط لسياسة التأصيل والتقعيد لجميع ميادين المعرفة بالجامعة والمؤسسات التربوية ، حيث نجد أغلب المشاريع الناتجة عن ملتقيات محلية أو دولية

(1) العلواني طه جابر ، الأزمة الفكرية المعاصرة ، المعهد العالمي للفكر، فرجينيا 1994 ، ط: 4 ، ص: 34

(2) سورة الملك (15)

(3) سورة البقرة (197)

، أو مشاريع مخابر بحثية علمية ، ورسائل جامعية ، بعيدة عن التطبيق الميداني ، ولو من باب التجارب المحدودة .

2- غياب الوعي في المحيط التربوي والجامعي بأهمية المشروع ، وهذا ينتج عنه غياب التحفيز اللازم والدوافع الكافية للإنجازات والتضحيات ، واستحضار روح المبادرة ، التي هي سر من أسرار نجاح المشروع .

3- اجتياح العولمة وتأثيرها في الإعلام والثقافة والتربية ، من خلال التأثير في المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية للأفراد ، وربطهم بدوائر محدودة تدور في فلك معين ، وهذا النمط من التفكير والألية الحركية ، يعيق بشدة النهوض الحضاري والفاعلية في الحركة

4- عقبة الجمود الفكري والتعصب المذهبي ، كما يقول عمر سليمان الأشقر: (والذي زاد الطين بِلَّة: جمود المتفقهة المفتين والمعلمين والواعظين على نصوص كتب متبوعيهم المتأخرين، بدون تبصُّر وإعمال روية، ورجوع إلى أصول الشريعة وأقوال السلف، وجهلهم بمقتضى الزمان والعمران، ونفورهم من كل جديد بدون أن يزِنوه بميزان الشريعة، ومناوأتهم المجددين بدون إصغاء إلى براهينهم، ومكافحتهم العلوم العقلية والكونية، وتحذير الناس من دراستها، وتحجيرهم على غيرهم الاستهداء من الكتاب والسنة لزعمهم أن ذلك كله مخالف للدين، لجهلهم بحقيقة الدين؛ لأن هذه الشريعة الغراء السمحة تسير مع العلم جنبًا إلى جنب، واسعة تسع قواعدُها العامة كلَّ جديد من مقتضيات الزمان والعمران؛ لأنها محض رحمة وسعادة.)[1]

5- تبني كثير من المثقفين فكرة أن أحكام الدين الإسلامي تناقض الحضارة والمدنية ، فكثير ممن قرأ للمؤرخ البريطاني أرنولد توينبي حول الإسلام والغرب قد اقتنع بقوله : (تغربوا في كل شيء ، وحاربوا المتعصبين ، فهم العائق الوحيد في طريق التقدم ، والسبب الأكيد في جهلكم وتأخركم .)[2] .

(1) عمر سليمان الأشقر ، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية ، دار نفائس ،الأردن 1992 ، ط:1، ص : 71

(2) عمر سليمان الأشقر ، السابق ، ص : 76 .

6- تعدد التيارات الفكرية الحديثة المعادية للعقيدة الإسلامية ، كما يقول مناع القطان :

(وقد تميز الصراع العقدي الفكري في العصر الحديث بالتفنن في أساليبه ووسائله ، وكثرة شعبه ومذاهبه ، وسرى تياره من بلد لآخر ، يمهد الطريق للسيطرة والنفوذ ..والحرب العقدية الفكرية أشد ضراوة من الحرب العسكرية ، لأنها تسلب النفوس ، وتقضي على الأرواح ، وتهدم القيم ..)[1]

ويمكن أن نتخلص من هذه المعيقات وغيرها ، عندما تبذل الجهود الكافية وتتوافر الإرادة المطلوبة للتعامل مع العلوم ، على أساس إبراز دور العقيدة في التكامل بين هذه العلوم ، والتي قد استمدت قداستها من الوحي من خلال آيات الله تعالى في الكون .

(1) مناع القطان ، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة 1991 ، ط: 1 ، ص : 27

الفصل الثالث

دور درس العقيدة الإسلامية

في البناء الحضاري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد : لعلنا نعيش لحظات تاريخية ، تمثل بدايات لنهضة حضارية عربية إسلامية، تزيل ذلك التخلف الموروث، وهيمنة الغزو الثقافي والفكري الغربي على العقل المسلم ، وتسترجع الوعي بالواقع والعودة إلى الذات الحضارية للأمة ، وحتى لا يكون هذا البناء تقليدا أو فوضويا ، فقد قام كثير من المصلحين في هذا العصر بتقديم مشاريع نهضوية ، قد تحل لنا كثير من المشاكل ، ويبدأ هذا المشروع بتحديد المفاهيم ووضع خطة علمية مدروسة عملية .

تمثل محاولة لإحياء الوعي المعرفي للأمة، بما يمكنها من إدراك حقيقتها الحضارية، وحقيقة الآخر ، وبما يجعلها قادرة على فهم ذاتها الحضارية ، فالسلاح المعرفي يمثل أهم سلاح في مواجهة حالة التراجع الحضاري التي تعاني منها الأمة، كما أنه يمثل السلاح الأساسي لمواجهة الغزو الحضاري والثقافي، وهو في نفس الوقت السلاح الأول للأمة في مواجهة ما تتعرض له من عدوان معنوي ومادي .

ولذلك يجب أن نطرح على أنفسنا هذا السؤال ، هل نملك مشروعاً حضارياً معدا للتطبيق على غرار مشاريع الآخر ؟ والجواب في الواقع أننا لا نملك مشروعا متفقا عليه قابلا للتطبيق يحوي الجوانب التربوية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، بصورة مؤصلة ومفصلة يكون بمثابة المشروع الحضاري الشامل المتكامل ، و لكننا نملك قاعدة المشروع الحضاري وكثيراً من وسائل تحقيقه ، المستمدة من الوحي الإلهي الذي يمثل علماً ربانياً منزهاً عن الخطأ والنقص ، مع توافر الإمكانات المادية والبشرية، وكلها متوافرة و ميسرة .

المبحث الأول

الحضارة : المعنى والمبنى

المطلب الأول : تعريف الحضارة

لغـــة : مشتقة من الحَضَرُ ، خلاف البدو ، والحضر خلاف البادي ، وفي الحديث : (**لا يبع حاضر لباد**) [1] ، المقيم في المدن والقرى[2] . وما يتبع تلك الإقامة من أشكال التطور وأساليب العمران والتقدم .

وجاء في تاج العروس : الحضارة ضد البداوة والبدو ، والحضارة بكسر الحاء الإقامة في الحضر ، قال القُطامي :

فمن رجال الحَضارةُ أعجبته فأيَّ رجال بادية ترانا

والحضر هي المدن، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي لهم بها قرار[3]

لفظ الحضارة هو الترجمة الشائعة للفظة (civilisation التي ظهرت العام 1734 في عصر الأنوار وينحدر أصلها من صفة (civilisé) متحضر ، وهذه الصفة منحدرة بدورها من فعل civiliser) ومن صفة (civil) بمعنى حضري والمأخوذة بدورها من اللغة اللاتينية) civilité وكذلك (cité) ويعد اللفظ (culture) بمعنى ثقافة يطلق على الحضارة ,

(1) عن جابرﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ : (لاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ) رواه مسلم التبريزي ، مشكاة المصابيح ، تحقيق الألباني ، المكتب الإسلامي ،بيروت ، ج : 2 ، ط:3 ، 1985 ، ص : 864

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، مج : 4 ، دار صادر ، بيروت ، ص : 197

(3) سيد محمد الزبيدي ، تاج العروس ، تحقيق العزباوي ، مطبعة حكومة الكويت ، 1972 ج : 11، ص : 30

كما يعد المفهوم (civiles) بمعنى مدنية (civils) اي ساكن المدينة ، وهو ما يعرف به المواطن الروماني المتعالي على البربري ,فكلمة حضارة لا تحمل نفس المدلول عند مجموع الدول الغربية كافة فالفرق شاسع في توظيف هذه الكلمة فهي تعني عند الإنجليز والفرنسيين الشهامة وتقدم الغرب بوجه عام , بينما تعني الأشياء والمظاهر ذات المنفعة القوية عند الألمان.

وهكذا ارتبط مفهوم الانتماء إلى المدينة بالحضارة , فاصبح بذلك مفهومها يعني حالة التحضر , والمتحضر هو الذي يحمل جملة من الصفات المكتسبة خارج الطبيعة فأصبح يقال هذه شعوب متحضرة ذات حضارة وهذه شعوب غير متحضرة .

- **الحضارة اصطلاحا :**

تعد الحضارة من أكثر المفاهيم التي ثار حولها الجدل بشأن تعريفها وبيان معناها وتحديد مجال استعمالها ومداها ، نظرا لتعدد الآراء واختلاف وجهات النظر في توضيح مصطلحها ، وقد اختلف الناس من قبل ومن بعد في شأن المفهوم الاصطلاحي للحضارة وتعددت التعاريف بالنسبة للمفكرين العرب والمفكرين الغربيين وتشابهت أحيانا .

فعرفها ابن خلدون بأنها : (تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله ..) [1] .

وتعريف ابن خلدون للحضارة لا يشمل المفاهيم والعقائد التي تقوم على أساسها الدولة ويرى أنه ما من حضارة الا واعتمدت على علوم ومعارف الحضارات التي سبقتها، فهو يقول :" وأهل الدول أبدا يقلدون في طور الحضارة وأحوالها الدول السابقة قبلهم، فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون، ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم " والواقع ان هذا الاخذ (أو الاقتباس) لا يعيب الأمة المتحضرة ولا يحط من شأنها فهو ظاهرة عالمية وهو يدل على مرونة الحضارة الناشئة وإيجابيتها.

ولذلك كان ابن خلدون يستخدم صيغة التمدن بمعنى التحضر، ويقول" :الانسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية [2] .

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتاب ، بيروت ، 2005 ، ص : 169

(2) ابن خلدون ، المقدمة ، السابق ، ص : 170

و عرفها **وول ديو رانت** ***Will Durant*** مؤلف قصة الحضارة بقوله : الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أَمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهاره [1] .

فهو يعتبر أن الاضطراب والقلق أول عائق يقف في وجه بناء الحضارة ، ولعله يشير إلى الاستقرار النفسي والروحي الضروري لأي عمل إبداعي ، باعتباره الحافز الأساسي للانطلاق الحضاري . مثل البناء الذي إذا حفزه صاحب العمل بالأجرة والتشجيع فإنه ينطلق إلى العمل والبناء بنفسية عالية فيبني ويبدع ، وإن لم يشجعه ، تكون نفسيته ضعيفة ومنهارة ، وبالتالي يتهاون في عمله ، وإن عمل لا يبدع .

ويرى المفكر مالك بن نبي أن الحضارة فعل تركيبي قوامه (الإنسان+ التراب + الزمن) فالإنسان باعتباره كائنا اجتماعيا , والتراب باعتباره ضرورة فنية معينة , والزمن بإدماجه ضمن العمليات الاقتصادية والصناعية والاجتماعية ، ومن هذه العناصر الثلاثة تتحقق الحضارة عند بن نبي ، فيعتقد أن الحضارة هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يتقدم .

يقول في كتابه شروط النهضة : مشكلة الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية : (مشكلة الإنسان ، ومشكلة التراب ، ومشكلة الوقت ، فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات ، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاثة من أساسها) [2] .

(1) وول ديو رانت ، قصة الحضارة ، تر: زكي نجيب محمود، دار الجيل ، بيروت1988 ،ج :1 ، مج :1 ، ص : 3

(2) مالك ابن نبي ، شروط النهضة ، ت: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق 1985 ، ص: 45

وجملة القول : إن الوسيلة إلى الحضارة متوفرة ما دامت هنالك فكرة دينية تؤلف بين العوامل الثلاثة :الإنسان ، والتراب ، والوقت ، لتركب منها كتلة تسمى في التاريخ "حضارة"[1]

فهو لم يحدد نوع الدين ، وكأن حسب كلامه أن الحضارة متاحة للجميع ، لكل الديانات ولكل الشعوب ، إذا ما حققت المعادلة التي ذكرها ، وفي هذه النقطة بالضبط يختلف مع سيد قطب الذي يرى أن الحضارة تخص الإسلام والأمة الإسلامية فقط وقال بأن **الإسلام هو الحضارة** ، ولا يمكن أن يطلق على أي جهد مرتبط بغير منهج الإسلام مصطلح الحضارة على اعتبار أن الإسلام لا يعرف إلا نوعين من المجتمعات .. مجتمع إسلامي ، ومجتمع جاهلي ، والمجتمع الإسلامي هو وحده المجتمع المتحضر ، والمجتمعات الجاهلية بكل صورها المتعددة مجتمعات متخلفة ، يقول في كتابه : (المجتمع الإسلامي هو وحده المجتمع المتحضر ، والمجتمعات الجاهلية بكل صورها المتعددة مجتمعات متخلفة)[2] .

لأنه يرى أن لا معنى للحضارة دون أن يحقق الإنسان حريته بمفهومها الحقيقي الشامل وهي التخلص من عبودية الإنسان للإنسان فيقول : (حين تكون الحاكمية العليا في مجتمع لله وحده – متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية – تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر .. وتكون هذه هي " الحضارة الإنسانية " لأن حضارة الإنسان تقتضي قاعدة أساسية من التحرر الحقيقي الكامل للإنسان ، ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع .. ولا حرية – في الحقيقة – ولا كرامة للإنسان – ممثلاً في كل فرد من أفراده – في مجتمع بعضه أرباب يشرعون وبعضه عبيد يطيعون) [3] .

(1) مالك ابن نبي ، شروط النهضة ، السابق ، ص: 58

(2) سيد قطب ، معالم في الطريق ، الاتحاد الاسلامي العالمي ، الكويت ، 1982 ، ط: 3 ، ص: 105-106

(3) سيد قطب ، معالم في الطريق ، السابق ، ص: 108

المطلب الثاني : مناقشة التعريف الاصطلاحي .

الملاحظ أن مفهوم الحضارة عند **ابن خلدون** يتمثل في إنشاء المدن وبناء الأمصار ، كما يرى أن القوم إذا سلكوا سبل العمران ، وأوغلوا في الصنائع وفي فنون التأنق وفي مظاهر الحضارة المختلفة تعرضوا حتما للخراب. لأن الحضارة في نظره تحمل بذور الفساد فغاية العمران عنده هي الحضارة والترف وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى فساد وخراب [1] . ولعل ابن خلدون استنتج ذلك من قوله تعالى : { **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** } [2]

وقد حدث هذا فعلا في آخر أيام الحضارة الإسلامية ، لما كثر الترف والفساد والانغماس في الملذات ، وتشرذم المجتمع إلى أقليات تملك وتحكم ، وأكثريات تجوع وتمتهن ، ومن الناحية الثقافية انتشار الغلو و التشدد و النزوع إلى الجدل النظري العقيم، بدلا من المرونة و السماحة والانصراف إلى الفعل و السلوك.

وابن خلدون يلتقي مع **مالك بن نبي** في هذه النقطة وهي أن الحضارة تنهار بسبب الفساد *، فعند ابن خلدون يتمثل هذا الفساد في الترف وطغيان الأفراد، وعند مالك يتمثل في طغيان الأفكار في عالم الأشياء والأشخاص ، يقول في كتابه مشكلة الأفكار:(فعلى عتبة حضارة ما ، ليس هو عالم الأشياء الذي يتبدل ، بل بصورة أساسية عالم الأشخاص .. وهنالك في عالم الأفكار داخل المجتمع تراتب بين الأفكار التي تغير افنسان والأفكار التي تغير الأشياء ، فالأفكار الأولى تضع قدرة تكيف الطاقة الحيوية على عتبة حضارة ، أما الأفكار الثانية فإنها تُطوِّع المادة لحاجات الحضارة في المرحلة الثانية من دورتها.) [3]

---

(1) حسين الحاج حسن ، حضارة العرب ، المؤسسة الجامعية ،بيروت 2006، ط: 2 ، ص: 11

(2) سورة الإسراء (16)

* انظر الملحق ، الشكل 9

(3) مالك ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة ، دار الفكر ، دمشق 1992، ط :1 ، ص: 58

فأهمية الأفكار عند مالك تتجلى في صورتين : فهي إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر عكس ذلك بوصفها عوامل مرضية ، تجعل النمو الاجتماعي صعبا أو مستحيلا .

فالإبداع والاختراع لن يكونا إلا عندما نترك لعالم الأفكار أن يحاول حل خفايا عالم الأشياء ، وبذلك تقوم النهضة العلمية وتبنى الحضارة ، وأما إذا كان عالم الأفكار مستعارا فسيكون عنده قصور في الكشف وجمود في العلم .

ويعيب مالك عن ابن خلدون، أنه لم يترك لنا فكرة واضحة عن تطور الحضارة بقوله : (وهكذا لم نجد فيما ترك ابن خلدون غير نظرية عن تطور الدولة ، في حين أنه كان من الأجدى لو أن نظريته رسمت لنا تطور الحضارة ، حيث كنا نستطيع أن نجد فيها ثروة من نوع آخر، غير الذي أثرانا به فعلا، إذ لم تكن عبقرية ابن خلدون عاجزة عن أن ترسم لنا ذلك التطور في صورته منهج قائم بذاته) [1].

ومالك يعتبر كل الأجناس والشعوب مؤهلة لإنشاء الحضارة، لأن الله منحها الرصيد الأولي والضروري ألا وهو التراب والوقت، فمتى وجدت الأعمدة الثلاثة (الإنسان، التراب، الزمن) توفرت المواد الخام لإنتاج الحضارة، لكن الأمر عند مالك بن نبي يحتاج إلى مركب تكويني بغيابه تبقى العناصر الثلاثة موادا خاما لا تجدي نفعا، ومركب الحضارة هذا هو الدين أو الفكرة الدينية عموما، فالحضارة لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية (فلا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجا، إذ هي- على الأقل- تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي، فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية) [2] .

وفي هذا المركب التكويني للعناصر الثلاث يلتقي مع سيد قطب الذي يرى بأن الحضارة هي الإسلام، لكنه يختلف معه في كون الحضارة يختص بها المجتمع الإسلامي

(1) مالك ، شروط النهضة ، ت: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق 1985 ، ، ص: 62

(2) مالك ابن نبي ، شروط النهضة ، السابق ، ص: 51

فقط، حيث يرى مالك أنها متاحة للجميع، وهي النقطة التي يلتقي فيها مع ديورانت بأن الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها.من هنا يرفض "ديورانت" التفسير الذي يخرج البدو وقبائل الأدغال من دائرة الحضارة، ويرى أن "الهمجي" هو أيضًا متمدن بمعنى عام من معاني المدنية، لأنه يعني بنقل تراث القبيلة إلى أبنائه، وما تراث القبيلة إلا مجموعة الأنظمة والعادات الاقتصادية والسياسية والعقلية والخلقية التي هذبتها أثناء جهادها، في سبيل الاحتفاظ بحياتها على هذه الأرض[1] ، ويلتقي مع سيد قطب في ضرورة توفر الإيمان الذي يعمل على التوازن وخصوبة الحضارة وانتاجها الوفير باعتباره عامل نفسي روحي هام ، فيقول : (وربما كان من الضروري كذلك أن يكون بين الناس بعض الاتفاق في العقائد الرئيسية وبعض الإيمان بما هو كائن وراء الطبيعة أو بما هو بمثابة المثل الأعلى المنشود ، لأن ذلك يرفع الأخلاق من مرحلة توازن فيها بين نفع العمل وضرره إلى مرحلة الإخلاص للعمل ذاته ، وهو كذلك يجعل حياتنا أشرف وأخصب على الرغم من قصر أمدها) [2].

وضمن هذه المفاهيم، تبدو أفكار كل من ابن خلدون ومالك وديورانت وسيد قطب، تتقارب في فكرة هامة هي أساس الحضارة، وهي الإيمان وضرورة توفر العقيدة التي تحفز على بناء الحضارة بناءً حصينا ورصينا ، يقف في وجه الهزات العنيفة التي قد يتعرض لها المجتمع المتحضر ، وتتباعد أفكارهم في ماهية الحضارة وعواملها .

وما دامت الحضارة مشتقة من الحضور، وهو الوجود، بمعناه الفكري الشهود الواقعي، نقول أمة ذات حضارة، بمعنى لها وجود باهر ومشرق بين الأمم ، وهذا لا يطلق إلا على أمة عظيمة في كيانها المعنوي والمادي ، وشرط هذا الكيان هو الحضور

(1) وول ديو رانت ، قصة الحضارة ، السابق ، ص : 9

(2) وول ديو رانت ، قصة الحضارة ، ص : 7

والفاعلية التي تستمدها من أصولها وهي عقيدة هذا الأمة، فإن كانت هذه العقيدة صحيحة توافق فطرة إنسان الحضارة،كانت الجذور قوية تحمل وسائل البناء الحضاري على أسس قوية تقاوم الهزات العنيفة التي قد تتعرض لها عبر الزمن، وإن كانت هذه العقيدة محرفة فاسدة لا توافق الفطرة الإنسانية، لا يحدث الحضور و لا البناء الحضاري الفاعل الذي يواجه الأعاصير، وهذا النوع من الوجود لا يسمى حضارة أصلا، وإنما يسمى مدنية بمعنى أن وجودها قام على رِجل واحدة، وهو التركيز على التطور العلمي والتكنولوجي والعمراني والصناعي ، والتفنن في بناء المدن وتعبيد الطرقات ، وصنع وسائل الرفاهية والترف ، وهذا يهددها بالسقوط والانهيار .

فالحضارة هي بناء الإنسان بناءً متكاملا يشمل خصائصه المادية والمعنوية، أي الروح والجسد معا، ومن هنا نفهم أن الحضارة بمفهومها المتقدم هي التي تحقق هذه المعادلة :

الحضارة = العلم + الإيمان

بتحقيق هذه المعادلة نبني الحضارة التي لا تزول ولا تنهار إلا إذا فقدت أسباب قيامها ، أو انتهت مهمتها في الوجود ، قال تعالى **{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }**[1]

فأهل العلم والإيمان هم أهل الحضارة الإنسانية التي تسعد الإنسان ، حينما تكون علاقتهم بربهم متينة ، وهو خالق الكون والحياة والإنسان ، وهو الذي يمدهم بما يحتاجونه من الوسائل المادية والمعنوية لبناء هذه الحضارة قال تعالى : **{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }** [2] .

(1) سورة الروم (56)

(2) سورة االأعراف(96)

وهـذه المعادلـة مسـتنتجة مـن خصـائص الإنسـان ذاتـه الـذي هـو محـور الحضـارة ، وهي :

الإنسان = الجسد + الروح

والإنسـان بـالروح إنسـان لا بالجسـد، والجسـد تعبـير للـروح عـن نفسـها ، وتجلـي لهـا. إلا أن هذا الجسد يكسب شرف الوجود طالما كانت هناك حياة تدب فيه .

والعبادة في الإسلام على نوعين: عبادة روحية تتعلق بأركان العقيدة, وتتمثل في توحيد الله تعالى وعدم الشرك به, وإقامة الصلاة , وصوم رمضان , وأداء الزكاة , والحج . قال تعالى : **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }** [1] والثانية هي عبادة الاستخلاف والتعمير، فالناس جميعاً مكلفون بمهمة الاستخلاف, وبما أن أداء مهمة الاستخلاف واجب رباني , فمن قام بها طاعة لله وامتثالاً لأمره فهو في عبادة, وهذه العبادة مثل أي عبادة لها ثوابها في الآخرة , ولها جزاؤها ومنافعها في الدنيا . قال تعالى : **{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ }** [2]

وقـف القـرآن الكـريم موقفـا حاسمـا في مسـألة الإيمـان، فـأول شـيء حـرص عليـه في بدايـة نزولـه ، هـو تغيـير الإنسـان بكـل أجزائـه ، بواسـطة الإيمـان ، وكانـت الآيـات الأولى نـزولا ، تهـدف إلى ترسـيخ الإيمـان في النفـوس ، وقـد نهـج القـرآن أسـلوبا رائعـا في بلاغتـه واسـتدلالاته العقليـة المقنعـة ، كـان لهـا الأثـر البـالغ في الاسـتجابة ، وفي تقبـل النـاس لهـذه العقيـدة الجديـدة ، الـتي أنجبـت إنسـانا جديـدا ، هـذا الـذي انطلـق يبـني حضـارة راقيـة ، هـي من أروع الحضارات في العالم ، وكان وراء هذه الانطلاقة ، قوة فاعلة إنها قوة الإيمان .

وحينما نقول العلم فهو ما يتطلبه الجانب المادي في الإنسان من اكتشافات واختراعات ومعارف لفهم الأشياء المحيطة به ، ومحاولة تسخيرها في منفعته المادية ، وكذلك

(1) سورة الذاريات (56)

(2) سورة البقرة (30)

الروحية ، كتطوير الاقتصاد وعلوم الاجتماع وعلوم السياسة وغيرها مما يعود بالنفع للإنسانية جمعاء ، وكما نعلم أن الإسلام هو أول من دعا إلى العلم وكسب المعرفة لتتكامل المعادلة الحضارية بل انه قدمه على الأساس الأول وهو الإيمان في قوله تعالى : **{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ }** (1)

فبفضل العلم نهضت الأمة الإسلامية من قلب الجزيرة العربية ومعلمها الرسول ﷺ ونبهت العالم من سباته ، وهذبت الأخلاق ، وأخرجت الأمة العربية من البداوة إلى الحضارة ، فالعلم قد نوه به القرآن وحث عنه في كثير من الآيات ، لكي تكتمل دورة الحضارة للإنسان المتحضر الذي يعبد الله حق العبادة ويقوم بالخلافة حق القيام ، ينطلق بعقله يكتشف الحقائق والأسرار المبثوثة في هذا الكون الفسيح ، علما أن القرآن لم يجيء ليعلمنا العلوم ، بل جاء ليحث العقول على تعلم العلوم والنظر في الكون والإنسان ، لتنكشف الأسرار الغامضة ، على أن يتعاون الوحي مع العقل في استقراء الحقائق من الكتابين ، فالقرآن كلام الله وكتابه المسطور ، والكون خلق الله وكتابه المنظور والحقيقة مبثوثة فيهما ، قال تعالى : **{ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }** (2)

فالمفهوم من هذه الآية : أن (أولي العلم) الذين عطفهم الله تعالى على الملائكة فى الشهادة لله بالوحدانية, هم الذين استنارت بصائرهم بالعلم والمعرفة, سواء كان علمهم دينيا أم طبيعيا, وكم رأينا فى علماء الكون من شهد لله تعالى بالوحدانية والتفرد بالقدرة والجلال والكمال.

(1) سورة محمد(19)

(2) سورة آل عمران (18)

المطلب الثالث : الفرق بين الحضارة والمدنية .

اختلف الباحثون حول تحديد الجذر اللغوي لكلمة (المدنية)؛ فأرجعها البعض إلى (مَدَن) بمعنى أقام في المكان، وقيل المدينة بمعنى الحصن[1] .

وردت في القرآن الكريم في مواضع عدة قال تعالى **{ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ }** [2] وقال تعالى : **{ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ }** [3]

يستنتج أن المدينة قد تكون مركزا ينطلق منه إشعاع الحضارة ، كما يمكن أن تكون مركز فساد وانحطاط حضاري يؤدي إلى زوالها وانهيارها .

ويقال ابن المدينة أي العالم بأمرها ، ويقال للعبد مَدِينٌ وللأمة مَدِينة ، وقد فسر قوله تعالى : **{ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ }** [4] أي مملوكون بعد الموت والذي قاله أهل التفسير لمِجْزِيون[5]

وقد جاء إطلاق لفظ (المدينة) في عهد النبي ﷺ مقترنًا بتأسيس الدولة في المدينة .

فإطلاق الرسول ﷺ على يثرب لفظ)المدينة) قرن دلالة (مدن) بمعنى أقام في المكان بدلالة (دان) بمعنى الخضوع للدين والطاعة للسلطان، فأصبحت المدينة ذات نظام حياتي وتنظيمي واجتماعي واقتصادي جديد معبرة بذلك عن مضمون المدنية، وليست مجرد تغيير لاسم المكان محققًا بذلك نقلةً نوعيةً في إعطاء المضمون "للمدنية" في الاستعمال الحديث .وفي ذلك سبق للإسلام.

---

(1) ابن منظور ، السابق ، مج : 13 ، ص : 402

(2) سورة التوبة (120)

(3) سورة النمل (48)

(4) سورة الصافات (53)

(5) ابن منظور ، السابق ، مج : 13 ، ص : 403

والمدنية في اللغات الأخرى: الجذر اللاتيني لها هو (civets)بمعنى المدنية أو ما يتعلق بساكن المدينة، وأول ما استخدمت في أوروبا كانت تميز الرجل المدني عن القروي, وكان يقصد به أيضا نمط حياة المدينة بما يعكسه من قيم ونظم ومؤسسات ..إلخ.

فالمدنية تتعلق بالجانب المادي في الإنسان ، وهي الأشكال المادية المحسوسة , مثل اختراع القطار والطائرة والحاسوب والسيارة وغيرهم , فالمدنية ليست خاصه بأمة معينه , فاليهودي والمسلم والنصراني وغيرهم كلهم يحتاجون الى المخترعات والعلوم الطبيعية , ولم يحرم الاسلام اخذ هذه العلوم من أي مصدر كان لان العلوم صنعت بمجهود كل البشر من السابقين والمحدثين من العرب وغير العرب ، أما الحضارة فهي خاصة ، فعندما نقول الحضارة الإسلامية فهي مبنية على مبادئ الإسلام وأركانه وعقيدته ، ولا يمكن أن يشترك مع الأخر في هذه المبادئ التي تخصه ، فالحضارة خاصة والمدنية عامة .

ومن المدارك الخاطئة في تاريخ الحضارة ما يزعمه نفر من الناس من أن فلانا أول من صنع كذا ، وأن فلانا آخر أول من اخترع الشيء الفلاني ، وأن الأمة الفلانية هي صانعة الزراعة أو التجارة أو ما يشبه ذلك . إن الحضارات والثقافات تطور وليست ابتداعا يقع عليه فلان أو فلان . كل مفكر يقتدي بمفكر آخر سابق على زمنه ، وكل مخترع هو في الحقيقة شخص يزيد في آلة شيئا جديدا . فالطائرة تطورت من السيارة ، والسيارة من الناقلة ذات العجلات ، والفضل يرجع إلى ذلك الإنسان الذي خطر له غي ساعة من ظلمات التاريخ في بلاد ما بين النهرين ، أن يقطع من جذع شجرة شبه دولاب يدحرج عليه أحمالا احتاج إلى نقلها من مكان إلى آخر[1] .

فالمدنية الناتجة عن العلم يجوز أخذها كعلوم الفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة والرياضيات والهندسة والفلك والحاسوب لعموم الأدلة التي أمرت بالعلم ، وكذلك المدنية الناتجة عن الصناعة كوسائل الاتصال ووسائل المواصلات والأجهزة الكهربائية وصناعة الأسلحة ، فقد

(1) عمر فروخ ، الحضارة الإنسانية ، دار لبنان ، بيروت ط: 3 ، 1983 ، ص : 8

بعث الرسول ﷺ اثنين من الصحابة ﷺ إلى اليمن ليتعلما صناعة السيوف ، كما كان عليه الصلاة والسلام يستخدم الدنانير والدراهم الفارسية والرومانية وبقي المسلمون على هذا الحال حتى ضرب عبد الملك بن مروان دنانير كتب فيها [قل هو الله أحد] وفي الوجه الأخر [لا إله إلا الله] وطوقه بطوق فضة وكتب فيه [ضرب بمدينة كذا] وكتب خارج الطوق [محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق] كما يباح أخذ المدنية الناتجة عن الحاجة كالملابس ، فملابس الرجال أو ملابس المرأة داخل بيتها تعتمد على الحاجة ، فالرجال في السعودية والخليج يحتاجون إلى لبس الدشداس لارتفاع درجة الحرارة هناك ، بينما لا يستطيع المسلم الأوروبي أو الأمريكي في بلاد الصقيع والضباب إلا أن يلبس البنطال لتدني درجات الحرارة هناك ، ولهذا لم يحدد الإسلام للرجال لباسا معينا اللهم إلا اشتراط ستر العورة ، والمرأة كذلك لم يحدد لها الإسلام شكل اللباس الذي تلبسه ولكنه وضع شروطا له كأن يكون ساترا للعورة ، وان يكون فضفاضا لا يصف ولا يشف ساترا لكل الجسم عدا الوجه والكفين خارج البيت[1] .

فما تسمى بالحضارة الغربية هي في الواقع مدنية ، لأنها اهتمت بالجانب المادي في الإنسان وغفلت عن الجانب الروحي ، واختلت فيها موازين القيم ، حيث حضرت الوسيلة وغابت الغاية ، فالتطور والتقدم هو وسيلة لتوحيد الله تعالى وعبادته حق العبادة ، وهي الغاية من وجود الإنسان وبناء الحضارة على الأرض ، وقد فشلت هذه المدنية في تنظيم حياة المجتمع البشري المعاصر . كما يشهد بذلك علماء الغرب أنفسهم ، وقد تحدث ألكسيس كاريل في كتابه الإنسان ذلك المجهول عن هذه الوضعية بقوله : (إن الحضارة لم تفلح في خلق بيئة مناسبة للنشاط العقلي . وترجع القيمة العقلية والروحية المنخفضة لأغلب بني الإنسان ، إلى حد كبير ، لنقائص الموجودة في جوهم السيكولوجي . إذ أن تفوق المادة ومبادئ دين الصناعة حطمت الثقافة والجمال والأخلاق)[2].

فرغم التطور الهائل في العلوم والتكنولوجية والاختراعات ، التي يعتبرها البعض أنها مقومات الحضارة ، نرى الإنسان يعيش حياة قلقة بشكل عام ، ويقف علماء النفس والاجتماع

(1) نجاح يوسف ، مفاهيم النهضة الإسلامية ، دار الإسراء ، الأردن 2004 ، ط:1 ، ص : 218

(2) ألكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، ص : (163-165)

والأطباء حيارى تجاه ازدياد أعداد المصابين بالأمراض النفسية والعصبية ، وكلما تيسرت وسائل الرفاهية للإنسان ، كثرت حوادث الانتحار في الشعوب التي تعتبر متحضرة ، كما تدل عليه الاحصائيات ، إذن فما الجواب للسؤال الذي يطرح نفسه على الاخصائيين من علماء الاجتماع والفلاسفة والأطباء وغيرهم ، انهم لا يجدون جوابا ، الجواب يتمثل في تحديد مقومات الحضارة ، والسر الذي يكمن وراء سعادة الإنسان .

وهنا نقول أن كل هذه الظواهر ناشئة من طبيعة وفلسفة المدنية الغربية ذاتها ، فالأساس الذي قامت عليه هذه المدنية أساس مادي بعيد عن البعد الروحي ، الذي هو روح الحضارة ، فإذا كانت المجتمعات ، تمثل فيها جمال البنية ، وجمال الطبيعة ، وجمال اللباس ، وجمال المدن ، وجمال البيت ، وجمال المرأة أيضا ، فإنها فقدت جمال الروح وجمال الذوق الفطري وجمال الخلق .

فالحضارة لابد أن يتحقق فيها التوازن بين الحياة الروحية والحياة المادية *، وهما طرفي المعادلة في معنى الحضارة ، ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا في المجتمع المسلم ، الذي يملك عقيدة هي أسمى العقائد ، وهي الأساس الرئيسي للحضارة بمفهومها الحقيقي ، لأنها عقيدة روحانية ايجابية بناءة ، تنقل الإنسان من رقي إلى رقي ، ومن كمال إلى كمال ، ومن تخلف إلى تقدم ، ومن جهل إلى علم ، ونحن أقدر على التحكم في زمام الحضارة في أي عصر من العصور ، لأننا لن نتخذ من الوصول إلى الفضاء وسيلة للاستعلاء والزهو والتجسس على الآخرين ، ولن نتخذ من الصواريخ عابرة القارات وسيلة لتهديد الأمم والشعوب ونهب خيراتها ، ولن نتخذ من وسائل الإعلام وسيلة لتضليل والسيطرة على الشعوب . فحضارتنا تصدر السعادة للشعوب والخير والرحمة والأخوة والتعايش السلمي ، قال تعالى : **{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }** [1] .

* انظر الملحق ، الشكل 11

(1) سورة آل عمران (110)

المطلب الرابع : بناء الإنسان قبل بناء الحضارة

لأن الإنسان هو المحور الذي يدور حوله الكون، وهو سيد الأرض، وعمرانُها مرتبط أساسًا بمدى أهليته واستعداده، وصلاحُها أو فسادُها مرتبطان بصلاحه أو فساده. فالشخصية الإنسانية السوية لا تتكون إلا من خلال الإيمان الصحيح، وحين تصبح حياة الإنسان مصبوغة بالإيمان، مهتدية بيقينيات الوحي، تتلقى روحه حقيقة فريدة، هي المحبة. والمحبة هي نسغ الحياة الكريمة التي تسري من خلالها مجموعة من القيم، كالتسامح والعدل والإخلاص...

فإن كنا الآن نفكر في إعادة بناء الذات من جديد ، ونبحث عن أسلوبنا الذاتي الحضاري فينبغي أن نتخلص من اختلال المفاهيم والأفكار الغريبة في داخلنا ، والمبرمجة على تخريب جذور الروح والمعنى فينا ، وأن نتبع بالضرورة سبيلا يمكننا من العمل على طبع فكرنا الذاتي ونظامنا الاعتقادي الذاتي وفلسفتنا الذاتية في الحياة، وفق نسيجنا الحضاري الخاص [1] .

ويقترن كل هذا بالحرص على العلم والتحري، والشغف بالبحث واكتساب المهارة في كل مجال ، والتحفيز والتشجيع والمكافأة على ذلك، لأن المسلم ملزم بالبحث عن كل فائدة ومصلحة حتى وإن كانت في أقصى بقاع الأرض، ويطلبها أنّى يجدها. وكما اقتبس في الماضي من علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك والهندسة والطب والزراعة والصناعة والتقنيات الأخرى أينما وجدها، ثم قوّمها وطوّرها وأودعها أمانة للأجيال الآتية، فاليوم أيضًا يأخذ كل ما يمكن أخذه أينما وجده، وينميه ويطوره .

إن المنهجية الإيمانية حين تستوطن قلب المؤمن يتنامى تأثيرها على أنشطته الذهنية والفكرية والعلمية .. وبعد مدة تؤدي إلى حصول طبع ثان فيه ، هذا الطبع سيستحكم تأثيره من الأعماق رويدا رويدا في كل صفحات حياة المؤمن ، معتقداته

(1) فتح الله كولن ، ونحن نبني حضارتنا ، دار النيل ، تركيا 2012 ، ط : 1 ، ص: 15

وعباداتـه وأخلاقـه وعلاقاتـه الاجتماعيـة وارتباطـه بربـه وسـلوكياته ، والحاصـل أن الإنسـان المؤمن يرسم حدود عالمه الحقيقي الذاتي بمقدار ما ينمي هذه الموهبة الأولى الموجهة [1]

ورغـم هـذه الـدعوة إلى الاسـتفادة والانفتـاح، فـإن "كـولن" يحـذر مـن الاتكـاء علـى المصـادر الأجنبيـة في الأمـور المتعلقـة بـالنظم العقديـة والفكريـة، والموضـوعات المرتبطـة بالكتـاب والسـنة وبكـل مـا يتعلـق بالرسـول ﷺوسـيرته، وطرائـق التحليـل والبحـث في السـيرة وتـاريخ الإسـلام، والفـن والأدب ونحوهـا... ذلـك، لأن الـذين أقـاموا بنيـانهم الفكـري علـى معـاداة الإسـلام، والنـاظرين إلى الإسـلام وكأنـه خـارج الـوحي السـماوي، لا يُرجـى مـنهم التصـرف بحسـن النيـة وطلـب الخـير للمسـلمين وتمنِّي التقـدم لهـم. أمـا العلـم والتكنولوجيـا – وهمـا خـارج إطـار مـا ذكرنـاه– فقـد عهـدناهما في أخـذ وعطـاء بـين الأمـم في الماضـي، وستسـتمر المبادلـة فيهمـا مسـتقبلاً، وتنتقـل أمانـة ووديعـة في أيـدي حائزيهـا. فـالعلوم والتكنولوجيا ليست حكرًا لدين أو أمة .

إن المشـروع الإصـلاحي يبـدأ بتغيـير الإنسـان ، مـن الإنسـان المتخلـف إلى الإنسـان الحضـاري ، لأنـه هـو المخلـوق الوحيـد الـذي يقـود حركـة البنـاء تمهيـدا لظهـور الحضـارة بالمفهوم الذي أراده القرآن للإنسان .

يجب أن نفهم أنفسنا أولا ونجيب عن كثير من الأسئلة التي نجهلها كما يقول ألكسيس كاريل : (وواقع الأمر أن جهلنا مطبق ، فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب ، لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة ..)[2]. ويضيف قائلا : (وما دامت الأحوال الطبيعية للحياة قد حطمتها المدنية العصرية، فقد أصبح علم الإنسان أكثر العلوم ضرورة.)[3] ويعلق سيد قطب على هذا الكلام قائلا : (إن الصعوبة ناشئة من أننا نقف موقفاً غامضاً من إيماننا؛ ومن العلاقة التي بين هذا الإيمان ونشاطنا! .. ولم نعد نؤمن بأن الإيمان يتمشى مع الظروف الحديثة.. ومتى تحطمت

(1) فتح الله كولن ، ونحن نبني حضارتنا ، السابق ، ص: 45

(2) ألكسيس كاريل ، المرجع السابق ، ص : (16-20) .

(3) ألكسيس كاريل ، السابق ، ص : 42 .

الصلة بين الإيمان والعمل، فلن نستطيع بعد ذلك أن ننمي قوة روحية نستطيع نشرها في جميع أنحاء العالم ... ويجب ألا نخشى وضع الإيمان في مرتبة الصدارة بالنسبة لحرية الإنسانية والتحرر، وأن نتمسك بالرأي الديني القائل: إن الله قد خلق الإنسان لكي يكون أكثر من منتج مادي؛ وان غايته النهائية شيء آخر غير الأمن الجثماني. يجب أن نؤمن بأنه يجب تحرير الناس في كل مكان من التضييق الروحي والعقلي والاقتصادي المتزايد، بحجة أن ذلك سينمي الرفاهية الاقتصادية للمجتمع الذي ينتمون إليه!)[1].

ويمكن تفسير هذا اللغز والغموض في الظاهرة البشرية بكون الإنسان معجزة إلهية في طبيعة الصنع الخارجي، وفي الآليات الداخلية العصابية والعقلية والنفسية. ولذلك نجد في القرآن الكريم تذكيرًا غير ما مرة بأصل الإنسان وبمراحل الحمل والولادة ثم الموت والبعث . وهذا التحكم الرباني في الإنسان يظهر في قوله تعالى: **{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ }** [2] .

فلو تأملنا الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لألفيناهما ينطقان بحقيقة واضحة حيال الإنسان ، فالإنسان محور الوجود ، وهو مكرم أيما تكريم ، ولعلمنا أن رسالة الإسلام مبنية على ثلاثة دعائم هي :

- أن لا إله إلا الله الخالق ، قال تعالى : **{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ }** [3]
- وأن الإنسان مخلوق من قبل الله ﷻ قال تعالى : **{ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ }** [4] .

- وأن الكون مسخر للإنسان للقيام بالخلافة ،قال تعالى **{ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }**[5]

(1) سيد قطب ، المستقبل لهذا الدين ، دار الشروق ، ، ص : (70-72) .
(2) سورة ق ، (16) .
(3) سورة محمد (19)
(4) سورة السجدة (7) .
(5) سورة النحل (12) .

والإنسان كما هو معلوم مكون من شقين أساسيين هما الجسد والروح، وأن سعادة الإنسان مرتبطة بهما معا من أجل التوازن والاستقرار في هذه الحياة ، وأن أي اهمال لشق على حساب الآخر يحدث خلل في التوازن ، ينذر بالخطر ، كالإنذار الذي أطلقه دكتور كاريل نتيجة إهمال الحضارة الغربية الجانب الروحي بسبب المبالغة في الاهتمام بالجانب المادي . فكلما تقدم الإنسان ماديا على حساب الروح تخلف روحيا وتقهقر نفسيا .

في أحد الأيام سألت أمي التي جاوزت التسعين من عمرها : ما نظرتك إلى الحياة و العيش الرغيد في هذه الأيام ، حيث المسكن الواسع المجهز بالمكيفات الهوائية والثلاجات والتلفزيون والهاتف وأنواع المأكولات .. إلى غير ذلك من وسائل الراحة والدفء وجمال الإضاءة ... ؟ فقالت : « قبل ثمانين سنة، كانت حياتنا صعبة ومتعبة، لكن كنا في أحسن حال ، سعيدين ليس كما هو حالكم حياتكم سهلة.. ، لكن أين السعادة ؟! وأين الضحكة بين أفراد الأسرة ؟! وأين جمعة الأهل؟! ، وأين النية ..؟!... وراحت تسرد لي أسباب التعاسة والكآبة البادية على الوجوه ..».

إنها الحقيقة فالأم قد شخصت واقع الحال كما يشعر به كل بيت في هذا العصر ، فهي تريد أن تقول : رغم المعاناة وشظف العيش، إلا أن السعادة والقناعة وراحة البال ساكنة في جوفنا وعلامات بارزة لمحيطنا الاجتماعي، في حين أن هذا العصر وبرغم من توفر وسائل الراحة والمعلومة والتقنية فيه، إلا أن التعاسة والوحدة والكآبة هي الأكثر انتشاراً بين شرائح مجتمعاتنا.

وهذه هي الحقيقة ، فوسائل الإعلام ، تطلعنا كل يوم ، عن مظاهر الفراغ الروحي كالانتحار والتقتيل والتعدي وزيادة نسبة المجانين ، كما تشير الدراسات إلى أن أغلب المجتمعات تعاني من حالة الاكتئاب والاضطرابات النفسية والقلق الدائم، وإنها تفتقد في أعماقها الى أدنى درجات الاهتمام والرعاية والعواطف الانسانية. من الواضح أن ثمة أزمة نعاني منها، محيطها الإيمان والاخلاق والوعي والفهم والقيم والثقافة .

ولكن ، ما هي الأسباب ؟ هل الأسباب ترجع لهذا العصر وماديته ؟ أما ترجع المشكلة إلى الإنسان نفسه ؟ أم العلم وتسارعه ؟ أم لسبب آخر لا ندري ؟! البعض يقول : أن العلم هو في خدمة الإنسان وأنه يزيد في رفاهيته كلما تقدم ، لكن هل زيادة رفاهية الإنسان تعني إسعاده ؟! ألم يعد النسيج الأسري والاجتماعي ممزقا ؟ لماذا الحروب والقتل والتدمير؟! لماذا لغة التطرف والاقصاء والاستئصال بدلاً من لغة الحوار والتسامح والتعايش؟! هل التسارع العلمي خلق فينا شيئاً من التناقض وعدم القدرة على الثبات؟! ، أم أنه التيار المادي الذي شدنا بريقه، فأحدث تلك الهوة ما بين العلم والإيمان والأخلاق فتلاشت عنا راحة البال وفق وصف أمي؟ أم إنها أزمة أخلاق ووعي وفهم خاطئ للمفاهيم ؟ .

إن الإجابة عن كل هذه الأسئلة ، واضحة أوضح من المشكلة نفسها ، الحل يوجد في كتاب الله وسنة رسوله ، وتبقى المبادرة ، ويبقى الإنسان في نهاية المطاف هو المسؤول والقادر على تحديد المكان والزمان لوضع حد لهذه المأساة ، هذا إن أراد فعلاً أن يشكل حياته ويحل المشكلة.!

" فلو تأملنا في السيرة النبوية الشريفة، وفي تاريخ بناء الحضارة الإسلامية وخاصة ما اتصل بالمقومات التأسيسية الأولى التي قامت عليها هذه الحضارة، سيلاحظ بأن المنهج النبوي ركز فاعليته الأولى على إيجاد الإنسان الفعّال. فقد كان هَم الرسول ﷺ في مستهل الدعوة متجها إلى وضع أسس حضارة التوحيد وبناء مقومات الدولة، وكان همه ﷺ منصبا على بناء الهمم العالية القادرة على تحمل مسؤولية قيادة قطار الحضارة وبنائها، والهمم القادرة على وضع القاطرة على السكة القويمة، التي تستطيع جر قطار البناء الحضاري والقادرة على استيعاب مقومات المنهج القرآني في بناء الإنسان. وبعبارة أخرى لقد كان هم الرسول ﷺ بعد تلقيه أمر ربه منصبا على إيجاد الطاقم البشري الذي سيحمل مسؤولية الأمانة الكبرى وفق المنهج الرباني القرآني. ولذلك كان الرسول ﷺ يرجو الله دائما أن ينصر الله الإسلام بأحد العمرين، يقصد عمر بن الخطاب وعمرو بن

هشام نظرا لأنه كان يعرف بأن جسام الأمور تحتاج إلى مؤهلات بشرية مهيأة نفسيا وفكريا ومعنويا ليعاد صياغتها صياغة تتلاءم ومنهج القرآن" [1] .

إعمال العقل هو قوام الحضارة ، وأحد مرتكزاتها الهامة ، قال تعالى : { **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** } [2]. وقوله تعالى : { **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** }[3]. فالإيمان هو الذي يحدد مسار الإنسان ، ويوجه أفعاله ، وينظم حياته ، والأخلاق قيمة إنسانية تمثل إحدى المرتكزات الأساسية في بناء الحضارة ، وتفيد الدراسات التي تناولت أسباب انهيار الحضارات واندثارها من أقدم العصور ، ، بأن العامل الأساسي في سقوطها هو العامل الأخلاقي ، ولذلك أكد عليه القرآن الكريم ، ونرى التاكيد على أهميتها في شخص الرسول ﷺ الذي يمثل الأسوة الحسنة للمسلم انما كان ، فأصبح الخلق العظيم شرطا أساسيا لا غنى عنه .

فبناء الإنسان إذا يبدأ من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، يستمد منهما وجوده وكيانه ، فقد حددا بعمق مفهوم الطبيعة الإنسانية وشرحا آلياتها وفسرا عناصرها ومكوناتها. ونظرا إلى الإنسان داخل الفئة الاجتماعية، ثم ضبطا الجماعة في الأمة. يقول الرسولﷺ: « **اتقِ الله حَيثمَا كُنتَ ، واتبعْ السَيئةَ الحَسَنة تَمحُها ، وخَالق الناسَ بخُلقٍ حَسن** »[4] ثم إدراك الغاية من الوجود البشري { **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** } [5]

وإذا نظرنا إلى القرآن نجده يعطي حقيقة ثابتة عن الإنسان ، قال تعالى: { **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ** }[6]

---

(1) محمد جكيب ، فاعلية القرآن في صناعة الحضارة..، مجلة حراء ، تركيا ، ع : 14 ، مارس 2009 ص : 6

(2) سورة يونس (101)

(3) سورة فصلت (53)

(4) رواه أحمد والترمذي ، والدارمي عن معاذ بن جبل ، مشكاة المصابيح ، ج : 3 ، ص : 1409.

(5) سورة الضحى (4- 5)

(6) سورة السجدة (7-9)

فالإنسان في القرآن مخلوق كسائر المخلوقات الموجودة في هذا الكون ، غير أنه يختلف عنها كونه هو المخلوق الوحيد الذي اختار لنفسه منهج الاختيار ، الذي من خلاله يصرف كل شؤون حياته ، فالملائكة وظيفتهم محددة ، والشمس أيضا وظيفتها محددة ، وسائر الكواكب ، وكذلك الحيوان ، والنبات ، والجماد .. ولم يكن لهم دور في الاختيار، قال تعالى: **{ عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }** [1] .

والمطلوب لتحقيق الحضور الحضاري الفاعل هو تغيير وَجْهَةِ الأُمة ، وتغيير وَجهتها يكون ملازما لبنائها ، لأن هذا هو منطق سيرورة الحضارات وتاريخها ، فهي تبنى داخليا وخارجيا في ظرف واحد ، فالحضور الخارجي ملازم للبناء الداخلي معا .

فلا وقت لاختراع الكلمات الفلسفية والحداثية ، والتفنن في طرحها على الجمهور الذي لا يفقه كثيرا مما يقولون ، صحيح أن هناك مشكلة تتعلق بالفكر والوعي ، ولكن ليس معنى ذلك أن يظهر لنا أهل التفكير والإصلاح بمصطلحات جديدة في كل مرة ، ثم تقام لها الملتقيات والمنتديات هنا وهناك من أجل تحديد المصطلح وأبعاده ، وتكتب البحوث العلمية والدراسات النظرية حول المشروع ، ويوصى بطباعة البحوث المقدمة في كتاب يصدر باسم المؤتمر لنشري به المكتبات ، ويبقى على الرفوف ، ولا نرى افادة في الواقع العملي ، وهكذا نبقى ندور في حلقة مفرغة دون أن نتفق على خطة علمية مدروسة بلغة واضحة لا لبس فيها ، خالية من المصطلحات الفلسفية والحداثية الرنانة التي تجلب الأنظار وتحمل الأضرار ، وكأننا نسير في قاطرة على سكة مستديرة مغلقة ، وكما يقول مالك بن نبي عن المنطق العملي في الإنسان : (نحن أحوج ما نكون إلى المنطق العملي في حياتنا ، لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا ، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوما ... إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ، ولكن منطق العمل والحركة ، فهو لا يفكّر ليعمل ، بل ليقول كلاماً مجرداً) [2]

---

(1) سورة الأحزاب (72) .

(2) مالك ابن نبي ، شروط النهضة ، السابق ، ص: 95-96

إذا قبل الشروع في البناء يجب مراجعة القرآن الكريم حق المراجعة واستمداد منه الطاقة التكوينية والفاعلة ، وخلاصة القول أن بناء الإنسان ، يكون وفق هذا المخطط * . [انظر الشكل]

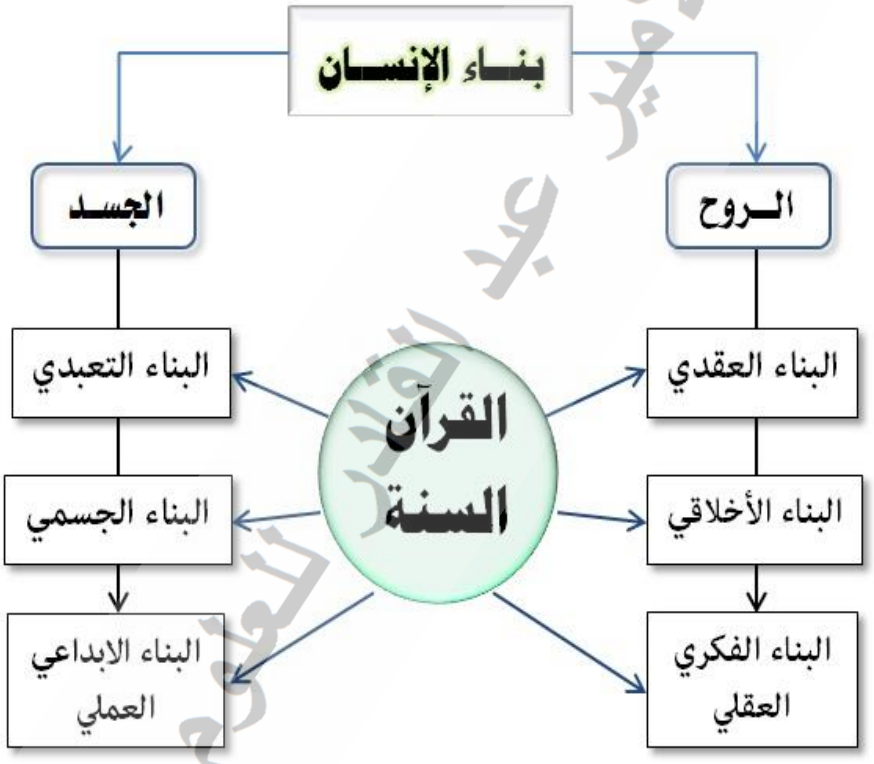

* انظر الملحق . الشكل 7

المبحث الثاني

العقيدة والحضارات القديمة

المطلب الأول : التاريخ وصف لتطور الحضارة

إن التاريخ هو وصف الأدوار التي قامت الأمم في أثنائه برفع بناء الحضارات ، وليس سردًا لأخبار الملوك أو لتفاصيل المعارك أو لأحداث المتشابهة التي تقع في قرية من القرى أو في مدينة من المدن ، هنالك شعوب كثيرة تعيش على هذه الأرض لا ندرس تاريخها ، لأن قصة حياتها طعام ونوم وولادات ونزاع ، وليس لها قسط في بناء الحضارة التي ننعم بها اليوم ، ثم إن الأمم العظمى لا تستمر في سمع التاريخ وبصره ، بل تبرز حينما تقوم بقسط معين في إغناء الثقافة الإنسانية أو نشر الحضارة الإنسانية ، خذ الأمة العربية مثلا واقرأ كتب التاريخ القديم فلا تكاد تجد لها في ت لك الكتب ذكرا ، وتقع أحيانا في تلك الكتب على ذكر لليمن لأن اليمن في عهودها القديمة قد عرفت حضارة لم تعرفها بلاد نجد والحجاز، ولكن انحدر في التاريخ إلى الأزمنة الوسيطة ، بدءًا بالقرن السابع للميلاد ، تجد أن كتب التاريخ قد امتلأت بأحداث العرب لأن الإسلام في تلك الحقبة قد حمّل العرب رسالة أخرجت العالم من الظلمات إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم ومن الجاهلية إلى الحضارة [1]

والتاريخ عمله أن يسجل حركات الإنسان ، فإن بعض تلك الحركات لا يستحق التسجيل ، مثل حركات الإنسان المكررة المعادة والتي لا هدف لها في خارج نفسها كالغزوات التي كان العرب يقومون بها في جاهليتهم القديمة وكالحروب التي تقوم بها اليوم في كل مكان ، وليس فيها إلا تدمير للحضارة التي بناها العاقلون من بني الإنسان .

(1) عمر فروخ ، الحضارة الإنسانية ، دار لبنان ، بيروت1983 ، ط: 3 ، ص: 13

والتاريخ عند ابن خلدون ليس فورات متقطعة هنا وهناك ، إنه مجرى كبير واسع تخوضه الأمم على مراتبها في الرُقي الحضاري ، والتاريخ لا يَعُدُّ من حياة كل أمة إلا الفترة التي تقوم كل أمة فيها بعمل حضاري نافع للإنسانية جمعاء ، أما ما يجري في عواصم الأمم وفي قرى الأقاليم فلا قيمة له بمقدار ما يكون له من التأثير في التقدم الإنساني[1]

كما لا ينبغي أخذ التاريخ الإسلامي، من أعدائه المبغضين له سواء كانوا كهنة المعابد أو اليهود أو النصارى أو ممن أخذوا عنهم ، و لا يمكن أن نحكم على فترة تاريخية حضارية من خلال القياس الشمولي على المجتمع في تاريخ الأفراد أو ناحية من المجتمع ، فنحكم على عصر ما من الحاكم أو شخص ما ، مثل الحكم على العصر الأموي من خلال يزيد أو تاريخ العصر العباسي من خلال كتاب " الأغاني" فنحكم على العصر بأنه عصر فسق ومجون ، والواجب هو أن نقوم بالتحقيق والتفكيك والتمحيص وفصل الأجزاء عن بعضها ثم تركيبها لأننا نجد في النهاية أن ذلك المجتمع الذي وصفه المستشرقون بأنه مجتمع فاسد ، نجد أنه خير المجتمعات قال ﷺ : (**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**)[2] وكذلك سائر القرون حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، نجده طبق الإسلام في جميع عصوره حتى أواخر الدولة العثمانية الإسلامية .

والتاريخ ليس مصدرا للنظام ، فالأحداث التاريخية لا تعبر بالضرورة عن نظام الدولة وفقهها ، فإذا أردنا أن نفهم النظام الشيوعي لا نأخذ هذا النظام من تاريخ روسيا ، بل تأخذه من كتب المبدأ الشيوعي ، وكذلك النظام الإسلامي لا نأخذه من التاريخ الإسلامي ، وإنما نأخذه من مصادره وهي القرآن والسنة وبقية المصادر الأخرى المتفرعة عنهما[(3)] .

---

(1) عمر فروخ ، الحضارة الإنسانية ، السابق ، ص: 52

(2) رواه البخاري ، عن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه– رقم الحديث: 2652

(3) نجاح يوسف ، مفاهيم النهضة الإسلامية ، السابق (بالتصرف) ص : 153

وإذا أردنا أن ننقل الأحداث التاريخية ننقلها من المصادر الموثوقة التي تعيننا على فهم المقاصد والأبعاد المهمة في تلك الفترة ، من أجل التعلم والاعتبار ونستفيد منها في حياتنا ، وهذا المنهج نجده في القرآن ، فقد سجل لنا أحداثا ، ونقل إلينا أخبارا عن الحضارات السابقة وربطها بتاريخ وسيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، لكنه لم يهتم كثيرا بتفاصيل الأحداث بقدر اهتمامه بالمقومات الأساسية لبناء الحضارة في الأرض ، والتركيز على دور العبادة في حياة الإنسان ، ودور الإيمان كركيزة أساسية في البناء وفي البقاء

المطلب الثاني : [القرآن وحضارات الأمم السابقة]

لا يمكن أن نتكلم عن بناء الحضارة الإنسانية بمعزل عن الحديث عن سيرة الأنبياء والرسل والعقيدة التي كانوا يدعون إليها ، على اعتبار أن الحضارة الإنسانية هي حضارة عقدية مبنية على مبادئ التوحيد والإيمان ، التي تمنحها سر البقاء والاستمرارية وتجنبها الزوال والانهيار كما حصل لأمم السابقة التي بنت حضارات عظيمة ثم انهارت كما يحدثنا القرآن الكريم .

هناك اتفاق عام على أن فهم الماضي فهماً موضوعياً نقدياً يسهل معرفة الحاضر والتخطيط للمستقبل. وهذا هو هدف رئيس من أهداف هذه الدراسة التي تُحاول تقديم قراءة موضوعية- قدر الإمكان- للحضارات البشرية القديمة التي تكونت في منطقة المشرق العربي ، مهبط الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين اصطفاهم الله تعالى وبعثهم للبشرية لإنقاذهم من الانحراف العقدي الذي وقعوا فيه . من خلال فهم أسباب ازدهار الحضارات القديمة وأسباب دمارها ، والوقوف بصورة موجزة على أهم معالم الحضارة والتركيز على الأفكار والمعتقدات التي بنيت على أساسها مجتمعات هذه الحضارة .

وتكمن أهمية الحديث عن الحضارات القديمة واكتشاف مدنها المندثرة والأشياء المستعملة والثقافة المتداولة بكونها تتناول الفترات التي عاش فيها الأنبياء والرسل الذين ساهموا في بناء الحضارات ، بداية بالنبي نوح عليه السلام وقومه وعهد النبيين هود وصالح عليهما السلام

وقومهما وعهد النبي إبراهيم عليه السلام وقومه وهي فترة انفردت بالمصادر الدينية (التوراة . الأنجيل . القرآن الكريم .

والقصد من ربط تلك الحضارات بالكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم ، في محاولة للتأكيد على أن الأنبياء والرسل ساهموا مساهمة فعالة في بناء تلك الحضارات بدعوتهم إلى التوحيد والإيمان هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قطع الطريق على العلمانيين وغيرهم في تفسيرهم لظاهرة الشرك والتوحيد حيث يرون ان الدين تطور عند البشر من الشرك الذي عاشته الأمم القديمة إلى التوحيد المجسم الذي برز على عهد اخناتون إلى التوحيد المجرد الذي جاء به موسى عليه السلام .

الذين كتبوا تاريخ الأمم ويعملون لتحقيق هدفهم السالف الذكر ..عالجوا تاريخ الأمم بمعزل عن سير الرسل والأنبياء ، فالذين عالجوا تاريخ مصر منذ أقدم الدهور عالجوه بمعزل عن دعوة الإسلام التي حمل لواءها يوسف وموسى عليهما السلام ، أي عالجوه كتاريخ وثني جاهلي محض لا أثر فيه لدعوة الرسل ، وسموه بالتاريخ القديم أو تاريخ العصور الحجرية ، أو عصور ما قبل التاريخ ، والذين عالجوا تاريخ الجزيرة العربية حاولوا طمس الإسلام الذي دعا إليه هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم السلام ، بل وطمس معالم وجودهم واعتبروا تاريخهم تاريخا أسطوريا يسبق التاريخ الحقيقي لهذه الأمة التي سكنت جزيرة العرب ، والذين عالجوا تاريخ الجزيرة منذ القدم حاولوا مسح السمت الإسلامي الذي كان يظلل العلاقة التي قامت بين دولة سبأ ودولة سليمان وكان محورها الدعوة إلى الإسلام ، والذين كتبوا تاريخ العراق منذ القدم أسقطوا من كتاباتهم سيرة نوح وإبراهيم ويونس عليهم السلام ، وكلما ظهر من القرائن ما يؤكد قيام هؤلاء الرسل بالدعوة إلى الإسلام في تلك البلاد كمخلفات الطوفان المادية والفكرية ذهبوا يغيبونها حتى لا ينكشف أمام القارئ القرائن الدالة على ان الله عز وجل كان يتعهد الناس بالرسل منذ القدم ليردوها إلى ربهم الحق ودينهم الحق ، والذين عالجوا تاريخ بلاد الشام عالجوه بمعزل عن الرسالات السماوية التي حمل لواءها لوط وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان ويحي وزكريا وعيسى وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وحينما

عالجوا سيرة محمد ﷺ عالجوها على اعتبار أنه أحد المصلحين الذين استفادوا بجهود من شبقهم ، وأنه قد ألف من اليهودية والنصرانية والجاهلية دينا جديدا هو الإسلام[1]

وقد حرص معظم الذين كتبوا في تاريخ الحضارات على استبعاد القرآن والسنة من بين المصادر التي تعتمد ، ويشككون في الروايات التاريخية المذكورة في القرآن الكريم ، في حين يعتمدون على التلمود والتوراة والمصادر العبرانية المحرفة وكذلك الآثار المادية والفكرية التي خلفتها الأمم ، وما كتبه الرحالة من اليونان والروم ، وكتابات المؤرخين والجغرافيين العرب دون تمحيص للحقائق ، والذي يهمهم هو أخذ الأفكار التي توافق اتجاهاتهم ومقاصدهم وتحاول أن تبعد دعوة الأنبياء إلى تصحيح العقائد للناس وبناء الحضارات .

وحسب ما ذكرنا سابقا في تحديد مفهوم الحضارة ، نطرح عدة تساؤلات في هذا المعنى هل ينطبق ذلك المفهوم على ما تسمى بالحضارات السابقة للإسلام ، وقد كانت هناك ديانات سماوية وديانات أرضية ؟ وهل كانت تلك التجارب الحضارية قائمة على مبادئ الإيمان والأخلاق وأسس العلم والمعرفة ، كما أرادها القرآن الكريم ؟ أم أنها كانت ترتكز على قائم دون آخر ؟ ولماذا يذكر لنا القرآن والتاريخ أن هذه النماذج من الحضارات قد انهارت وسقطت وبادت بشكل مأساوي ؟ هل يرجع ذلك لسبب عقدي أم لأسباب أخرى ؟ وهل كان الإنسان يعيش في سعادة روحية ومادية ، في الفترة الممتدة من بعد الطوفان إلى نزول القرآن ؟ .

القرآن الكريم يجيبنا عن هذه الأسئلة في أكثر من آية ، و يؤكد ما ذكرته التوراة من قبل من أن النبوة وبالتالي عقيدة التوحيد رافقت البشرية منذ نشأتها وفي ضوء ذلك ذكر أن الأمم السابقة كانت على سبق من التطور والتقدم في مجالات العلم والعمران ، وبرزوا في الفنون كالرسم والنحت والتحنيط ، وصناعة السفن وهندسة المباني واختراع آلات للزراعة إلى غير ذلك ، وكان ذلك متزامنا مع وجود الأنبياء والرسل .

(1) جمال عبد الهادي ، موسوعة العقائد والكون ، دار السلام ، القاهرة 2010 ، ط: 1 ، مج : 1 ، ص : 48.47

قال تعالى : { وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ } [1]

قال تعالى : { وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ } [2]

قال تعالى :{ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ } [3]

قال تعالى : { يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }[4]

قال تعالى : { وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } [5]

فهذه بعض الآيات التي نقلت لنا بعض المشاهد عن المدنيات السابقة ، فتحدث القرآن عن مملكة سبأ وعن قوم عاد وثمود ، وعن قوم فرعون ، حيث كانوا يصنعون له المباني والقصور ويحرمون أهل البلاد من ثمرات أعمالهم في العمران ، ومنها الصرح الذي أمر هامان ببنائه له ليطلع إلى إله موسى.. و يتقنون كثير من الفنون والصنائع ، كالنحت على الصخور والأواني وصنع المحاريب والتماثيل والقدور ، التي كانت من سمات المدنية .إلى جانب ذلك كانت مظاهر العبادة التي لم تكن بدافع الاستجابة للفطرة الإنسانية والتفكر العقلي وإنما كانت بدافع الخوف والحيرة في أسباب الحوادث التي يصعب تعليلها ، والأمل بالمساعدة الإلهية ، وعبد الإنسان القديم أشياء كثيرة منها سماوية كالشمس والقمر والنجوم ، ومنها أرضية كالجبال والأنهار والأشجار والحيوانات والبشر كعبادة الأجداد والصالحين والأبطال والملوك ، وللعبادات عقائدها وطقوسها وأساليبها ورجال يشرفون عليها ، ويستغلونها لصالح الطبقات المسيطرة في المجتمع[6] .

(1) سورة النمل (23)
(2) سورة الحجر (82)
(3) سورة الأعراف (137)
(4) سورة سبأ (13)
(5) سورة الشعراء(129)
(6) حسين الحاج حسن ، حضارة العرب ، السابق ، ص: 29 .30

المطلب الثالث : دور الأنبياء والرسل عليهم السلام في بناء الحضارات الشرقية

دور نوح وهود عليهما السلام في بناء حضارة بابل و الأحقاف :

بابل تعني (بوابة الإله) ويطلقون عليها دولة بلاد ما بين النهرين القديمة ، التي ترجع لـ 4000 سنة ق م إلى زمن النبي نوح عليه السلام كما جاء في الطبقات لابن سعد قوله:(عن أبي صالح عن ابن عباس قال : وتزوج نوح امرأة من بني قابيل ، فولدت له غلاما فسماه يوناطن ، فولد بمدينة المشرق يقال لها معلنور شمسا ، فلما ضاقت بهم سوق الثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها ، وهي بين الفرات والصرّاة ، وكانت اثني عشر فرسخا في اثني عشر فرسخا ، وكان بابها موضع دُوران اليوم فوق جسر الكوفة يَسْرَةً إذا عبرت ، فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف ، وهم على الإسلام ، ولما خرج نوح من السفينة دفن آدم ببيت المقدس ، ومات نوح ﷺ)[1] وقوم نوح كانوا أهل أوثان يعبدونها كما نطق به القرآن قال تعالى : **{ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا }** [2]. ، فلما تمادوا على الكفر والعصيان بعث الله إليهم نوحا يحذرهم بأسه ونقمته ، ويدعوهم إلى التوبة والرجوع إلى الحق ، ولما يئس من إيمانهم دعا عليهم فقال : **{ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا }**[3]. ، فلما شكا إلى الله واستنصره عليهم أوحى الله إليه بصنع الفلك ، فكانوا يمرون عليه وهم يستهزؤون به ، وقال قتادة : كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا ، وحمل بها من كل زوجين اثنين من ، وأولاده : سام وحام ويافث ، وتخلف ابنه يام وكان كافرا ، ولما ركبوا جميعا علا الماء على رؤوس الجبال ، فهلك ما على وجه الأرض ، ولم يبقى إلا نوح ومن معه ، وطافت بالأرض حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل بأرض الموصل ، وقول الله تعالى أصدق في أن ذرية نوح هم الباقون فلم يعقب أحد ممن كان معه في السفينة غير ولده سام وحام ويافث ، ولما حضرت نوحا الوفاة قيل له : كيف رأيت الدنيا ؟ قال :

---

(1) ابن سعد ، الطبقات الكبير ،تح: محمد عمير ، مكتبة الخانجي ،القاهرة 2001،ط : 1 ، ج : 1، ص : 25

(2) سورة نوح (23 -24)

(3) سورة نوح (26)

كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ، وأوصى إلى ابنه سام وكان أكبر ولده)[1]

ونوح عليه السلام كان نجارا ماهرا ، وهو أول من صنع سفينة تسير في البحر ، ويدل ذلك على دور السفينة في التواصل بين الحضارات القديمة والحديثة ، كما أنها عنصر اقتصادي هام في المساهمة في بناء الحضارة ، والركوب في سفينة الحضارة المبنية على العلم والإيمان كان منجاة لمن أراد النجاة ، فالالتزام بمنهج الأنبياء في بناء الحضارة هو خير سبيل يجب أن نسلكه في وسط الأمواج المتلاطمة والأفكار الهدامة التي تضايق البشرية اليوم وتجعلها في حيرة من أمرها ، ونوح عليه السلام بما علمه الله تعالى ، قد ساهم في بناء حضارة بابل وأشور ووضع لها الأسس الهامة من خلال بناء السفينة وتصميم البيوت وإعطائهم أفكارا جادة في الزراعة والري .

لقد أسفرت حادثة الطوفان عن هلاك جميع الكافرين ، وقيام المجتمع المسلم المتحضر ، الذي يعبد الله وحده ، ويخضع حياته لنظام الله وشرعه على أرض الرافدين ، والبلاد المحيطة بها ولقد كان المجتمع متقدما في مجالات الطب ، والفلك ، وصناعة السفن ، وركوب متن البحار ، ومعرفة دروب الأرض ومسالكها ، هذا التقدم كان يستخدم في خدمة دين الله عز وجل وفي خدمة المسلمين الموحدين ، ومن قَبِلَ التعايش معهم من أصحاب الملل الأخرى ..وأصبحت العقيدة هي الرابطة التي يجتمع الناس على أساسها لأن الدولة الإسلامية دولة عقدية ، يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر فيها قاعدة تقوم عليها حياة الناس ، وكان

إمام المسلمين في ذلك الوقت هو نوح عليه السلام ومن هذه البقعة المباركة انطلق المسلمون في أرجاء الأرض ينشرون الإسلام ، فذهب سام إلى جزيرة العرب ، وكذلك فعل حام في إفريقيا ، ويافت في أوروبا)[2]. ، لإقامة الدين لقوله تعالى : **{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }**[3]. .

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،تح:عبد الله القاضي،دار الكتب العلمي،بيروت1987، ط:1،مج:1 ،ص: 56

(2) جمال عبد الهادي ، موسوعة تاريخ العقائد .. مج : 1 ، ص : 289

(3) سورة الصف (9)

وبعد نوح عليه السلام بنحو 1400 سنة أرسل الله تعالى هود عليه السلام إلى قوم عاد بالأحقاف بين عمان واليمن ، وكان القوم طوال القامة ، ولهم بسطة في الجسم كما أثبتت الحفريات وصور الأقمار الصناعية (كما هو موضح في صور الملحق) ، قال **تعالى { أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }** [1].

فكان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء ، وهم يفرحون بقوتهم هذه ويتمردون عن دعوة هود عليه السلام قال تعالى : **{ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً }**[2] ، ولقد حدد القرآن مكان قوم عاد في الأحقاف والأحقاف جمع حقف وهي الرمال ، قال تعالى : **{ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ }** [3]. وقد اشتهروا ببناء القصور الفارهة والصروح العظيمة ، حيث بنوا مدينة عظيمة لا نظير لها في زخرفتها وضخامتها تسمى هذه المدينة (**إرم**) قال تعالى : **{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ،الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ }** [4].

وقد أعطاهم الله تعالى نِعمًا كثيرة وافرة وخيرات جليلة، فقد كانت بلادهم ذات مياه وفيرة فزرعوا الأراضي وأنشأوا البساتين وأشادوا القصور الشامخة العالية، وأعطاهم الله كثرة الأبناء والأنعام والأنهار, واتصفوا بأنهم كانوا يبنون الحصون العالية وأحواض الماء هناك, ولهذا قال تعالى فيهم :﴿**أتبنون بكل ريع آية تعبثون**﴾ ,ومن ذلك بناؤهم لمدينة (إرم) التي وصفها القرآن الكريم بأن مبانيها كانت ذات أعمدة ضخمة, ولم يكن لها مثيل في ما جاورها من المدن في ذلك العصر, وكانوا أيضاً أصحاب عبث ولهو وكفر غير شاكرين لله فكانوا أول الأمم الذين عبدوا الأصنام بعد الطوفان ، وعلى ما ذكر ابن الأثير أنهم كانوا يعبدون ثلاثة أوثان يقال لأحدهما **ضرا** وللآخر **ضمور** وللثالث **الهباء**

(1) سورة الأعراف(69)
(2) سورة فصلت (15)
(3) سورة الأحقاف (21)
(4) سورة الفجر (6 -8)

فدعاهم هود إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس[1] .

ولكنهم عاندوا وتكبروا وكذبوا نبيَّ الله هودًا عليه السلام فأنزل الله عليهم ريحاً عاصفة باردة جدا محملة بالغبار والأتربة ، ولهذا فلا بد أنها كانت قادمة من الشمال مما يعني أنها ستمر على صحراء الربع الخالي المفتوحة ذات الرمال الناعمة. وكانت ريح عاتية أي أن سرعتها بالغة العلو قد تصل لعدة مئات من الكيلومترات في الساعة وهي ذات قوة تدميرية عالية بحيث أنها تنزع الناس والحيوانات والأشجار وتطير بهم في الهواء كما نرى في الأعاصير المدمرة التي تضرب مناطق كثيرة من العالم فتحدث تدميرا كبيرا فيها .

والعبرة هي أن امتلاك القوة المادية لا يكفي لبناء الحضارة أو دوامها فهؤلاء قوم عاد قد بنوا حضارة لم يسبقهم فيها أحد بنص القرآن ، لا من حيث اليد العاملة القوية ولا من حيث الموقع ووفرة المياه ولا من حيث ظروف أخرى كانوا يمتلكونها في ذلك الزمان ، ولأن الإيمان لم يتوفر في هذه الحضارة ، فإن النتيجة كانت إزالتها من الوجود لأنها تنكرت لخالق الوجود ، كما حدث لقوم نوح الذين تنكروا لحق الله تعالى في العبادة وهكذا يستمر الصراع بين الحق والباطل ، الذي هو صراع عقدي بالدرجة الأولى ، بين من يريد إقامة دين الله على الأرض بقيادة الأنبياء عليهم السلام ، ومن لا يريد أن تستقيم الحياة على دين الله بقيادة الشيطان ومن تبعه من الكافرين .

إبراهيم عليه السلام ودوره في بناء الحضارات الشرقية :

وبعد تدمير مدنية العماليق من قوم هود عليه السلام بنحو 1000 سنة بُعث النبي إبراهيم عليه السلام إلى قوم بابل بالعراق ، حيث ظهر فيهم ملك ادعى الألوهية وتكبر وتجبر بعد أن أتاه الله الملك وبنى مدنية كبيرة في بلاد الرافدين ما بين نهر دجلة والفرات ، وحول الصحاري إلى حدائق وغابات جميلة ، فذكّره إبراهيم عليه السلام بفضل الله عليه ، لكنه تمرد ولهذا سمي بالنمرود أي المتمرد على الحق والمعارض الشديد بالرغم من تقديم الحجة الدامغة كما جاء في قوله تعالى : **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المرجع السابق ، ص : 65

قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [1] .

وقيل : إن الذي حاج إبراهيم في ربه جبار كان ببابل ، يقال له : نُمرودُ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، وهو أول ملك تجبر في الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل[2] ولأنه تنكر لحق الله في العبودية والفضل في الملك فقد عذبه الله تعالى ببعوضة دخلت في منخره ، وقد بنى صرحا إلى السماء ، فأتى الله بنيانه من القواعد ، قال تعالى : ({ **فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ** } [3]

فدعوة إبراهيم عليه السلام اقترنت بالتوحيد ، وبميزان العدل الإلهي ، وبإعلاء العبادة إلى ما فوق الطبيعة والحياة والشمس والكون كله ، هذه الدعوة هي التي تبني الحضارة الإنسانية التي تصحح مقاييس الفكر وتضع الإنسان في موضعه مهما كبر شأنه وأوتي من الملك أو العلم ، كان إبراهيم عليه السلام متيقظ الذهن مقنعا لمن يسمعه ، غير مخطئ في فهمه واستدلاله ، فأدرك من حقائق الفضائل ما لم يدركه سائر البشر ولهذا قال تعالى : { **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** }[4] ، وقال تعالى : { **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** }[5] فاعتزم أن يصحح الأفكار التي شاعت بين قومه عن الله تعالى ، فكان أول من نادى بأن الله خالق الكون واحد ، وأنه إذا وجد كائن آخر ينفع الناس فإنما يفعل ذلك بإذنه لا يفعله بقدرة من عنده ، ولهذا لما تأمل القمر والشمس وسائر الظواهر علم أن هذه الأجرام لو كانت لها مشيئة لحكمت على نفسها ، فأما وهي لا تملك نفسها فكل ما تصنعه ، فليس من عندها بل من عند من يحكمها وهو الجدير دون سواه بالشكر والطاعة وهو خالقها ، فهذه الأفكار الحضارية العميقة هي التي أثارت عليه الأشوريين ، مما اضطر إلى الرحيل إلى أرض كنعان بمشيئة الله تعالى، وهناك استقر لتبنى حضارة أخرى هي حضارة الكنعانيين وقد ساهم إبراهيم عليه السلام في بناءها بأفكاره

(1) سورة البقرة (258)

(2) الطبري ، جامع البيان ، حق : محمود شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ، ط : 2 ، ص: 430

(3) سورة النحل (26)

(4) سورة النحل (120)

(5) سورة الأنبياء (51)

وعلمه بالحساب وعلم الفلك ومجهوداته في الزراعة . وعاش بإيليا بفلسطين وحفر بئرا وبنى مسجدا وكان قد وسع الله عليه في المال والخدم)[1].

وذكر الطبري أن إبراهيم عليه السلام كان يملك مالا كثيرا ومواشي وزروعا حتى احتاج الناس إليه فكان يقول لهم : من قال لا إله إلا الله فليدخل فليأخذ ، فمنهم من قال فأخذ ، ومنهم من أبى فرجع ، وذلك قوله تعالى : **{ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرً }** [2] ولما كثر ماله اقتسمه مع ابن أخيه لوط عليه السلام وخيره المكان الذي يريده ، فاختار لوط ناحية الأردن بينما بقي إبراهيم بناحية الشام من جهة قرية مدين)[3].

ثم مضى زمن وأصاب كنعان القحط وسمع إبراهيم عليه السلام برخاء المصريين ، فاعتزم الهجرة إلى مصر ليصيب من خيراتها ويسمع ما يقوله أحبارها في أمر الله ، ويتعرف على الحضارة المصرية التي كانت في بداية عهدها ، وما زال أهلها يحملون أفكارا ساذجة لا ترقى إلى مستوى الحضارة بمعناها الحقيقي ، وفي نفسه إذا علم من كلامهم ما هو خير مما عنده أن يتقبله ، أو يرى أن عقيدته خير مما عندهم فيدعوهم إليها ، وأخذ زوجته سارة معه ..ولما رأى إبراهيم أن المصريين متشبثون بعادات شتى يخالف بعضها بعضا ، جعل يناقشهم فيها كل فريق على حدة ويبدي لهم جميعا أنها ليست على شيء من الحق ، ويحل بذلك منهم محل الإعجاب فيعلمون أنه لم يكن على نصيب وافر من الفطنة وحسب ، بل كذلك كان عظيم القدرة على إقناع سامعيه في كل موضوع تناوله ببحثه ، وقد أطلعهم على علم الحساب وقوانين الفلك ، ولم يكن أحد من المصريين على علم بها قبل إبراهيم [4].

---

(1) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 2001 ،تح : علي محمد ،ط : 1 ، ج : 1، ص : 30

(2) سورة النساء (54 -55)

(3) الطبري ، تاريخ الطبري ، بيت الأفكار الدولية ، السعودية ، مجلد تاريخ الملوك والأمم ، ص : (105)

(4) العقاد ، إبراهيم أبو الأنبياء ، نهضة مصر ، ص : 93

وعاد إبراهيم عليه السلام من مصر وقد أعطاه ملك مصر جارية قبطية هي هاجر ، حيث اصطحبها معه إلى أرض كنعان ولأنه لم يرزق الذرية ، فقد تزوجها ورزق بولد سماه إسماعيل ، ثم سافر إبراهيم مع هاجر وابنها إلى مكة ، وتركهما في حفظ الله تعالى حيث انتقلت إليهم قبيلة جرهم وعمرت مكة بالناس ، وتزوج إسماعيل من جرهم ، وماتت هاجر فقدم إبراهيم وبنى الكعبة مع إسماعيل ، وكان ذلك مصدر للإشعاع الحضاري الذي يكون فيما بعد مهبط الوحي الخاتم للبشرية والمؤسس لحضارة إنسانية عالمية يمتد إشعاعها إلى أقطاب الأرض .

ولما عاد إلى أرض كنعان شارك في محاربة الغزاة من الكلدانيين الذين استولوا على أرض سدوم(*) التي كان بها لوط عليه السلام وهو ابن أخ إبراهيم عليه السلام، وكان من بين الأسرى ، حيث خلصه منهم ، وعاد إبراهيم بالسدوميين ، فلقيه ملك سدوم بالمكان المسمى بالوادي الملكي واستقبله هناك ملك سليمى ملكي صادق ، أي الملك الصديق ، وأصبحت سليمى هذه المكان الذي عرف بعد ذلك باسم (**أورشليم**) وقسموا الغنائم فأبى إبراهيم أن يأخذ شيئا غير طعام عبيده ، ووهب الغنائم لشركائه في القتال [1] .

و حزنت سارة وتمنت أن ترزق بولد ، وكذلك الشأن بالنسبة لإبراهيم الذي دعى الله أن يرزق بولد من سارة ، فبشره الله تعالى بعد فترة من الزمان بإسحاق من سارة ، قال تعالى : { **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** }[2].

وقد خرج إبراهيم عليه السلام إلى مكة ثلاث مرات دعا الناس إلى الحج في آخرهن ، فأجابه كل شيء سمعه ، فأول من أجابه قبل جرهم العماليق ، ثم أسلموا ورجع إبراهيم إلى بلد الشام فمات به وهو ابن مائتي سنة[3] .

(*) سدوم : مدينة جنوب البحر الميت، (بين الأردن وفلسطين) وهي من مدائن قوم لوط ، قال الشاعر :

كذلك قوم لوط حين أمسوا كعصف في سَدومهم رميمِ ، لسان العرب ، ج :12 ص : 285

المرجع السابق : منجد اللغة والأعلام ، دار المشرق ،بيروت1994 ، ط:34 ، ص : 298

(1) ذكر العقاد في كتابه إبراهيم "أبو الأنبياء" ، تفاصيل الأحداث نقلا عن المصادر التاريخية القديمة، ص : 93

(2) سورة هود (71)

(3) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، تح: علي محمد عمير ، مكتبة الخانجي بالقاهرة 2001،ط : 1،ج : 1، ص : 31

وقيل : ابن مائة وخمس وسبعين سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة حبرون بمدينة الخليل بفلسطين ، بعد أن عهد إلى النبي إسحاق إتمام فرع الرسالة الحنيفية ومن بعده ليعقوب ، والتي استمرت عبر دواد وسليمان وموسى وهارون ويحي وزكريا وانتهت في هذا الفرع من آل عمران بمجيء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

وسأل إبراهيم عن إسماعيل هل يعيش ؟ فأنبأه الله أنه سيعيش ويعمر ويصبح أبا لأمم عظيمة ، فشكر إبراهيم لربه هذه النعم ، فولد لإسماعيل اثنا عشر رجلا ، منهم نابت وقيدر اللذان انتشر منهم العرب فيما ذكر الطبري من حديث ابن حميد[1].

وتقول روايات ابن سعد أن إسماعيل أُلهم من يوم ولد لسان العرب ، فعن علي بن رباح اللخمي قال: قال رسول الله ﷺ:(**كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم** عليه السلام)[2] كما أن إسماعيل وأولاده تعلموا العربية من جرهم، وهم العرب العاربة .

وأرسل الله تعالى إسماعيل إلى قبائل اليمن وإلى العماليق ، وعاش إسماعيل مائة وسبعا وثلاثين سنة ، ومات بمكة ودفن عند قبر أمه هاجر بالحجر ، الذي يسمى الآن بحجر إسماعيل[3] .

إن شخصية أبي الأنبياء إبراهيم ، تعد أول شخصية نبوية بدأت مع نشأة الحضارات في حالة نضوجها واستقرارها ، وهو النبي الوحيد الذي تلتقي عنده الديانات السماوية والحضارات الشرقية ، مع الأخذ بالاعتبار أن الديانات السماوية هي الغالبة في مكونات العالم ديمغرافيا ، وإبراهيم هو الرمز الأكبر الذي حقق معطيات حضارية متميزة منذ أيام شبابه الأولى في العراق ، وخلال جولاته التي شملت سورية ولبنان وفلسطين والأردن ومصر والحجاز ، وكان إبراهيم له دور كبير في الحضارة العراقية القديمة في

(1) الطبري ، تاريخ الطبري ، بيت الأفكار الدولية ، السعودية ص : (107)

(2) العقاد ، إبراهيم أبو الأنبياء ، السابق ، ص : (103)

(3) السيوطي ، الجامع الصغير، دار الكتاب العلمية ، ط: 4 ، ج : 2 ، ص : 92 .

أسسها ومعالمها اللغوية والثقافية والروحية ، وتأثراتها على المنطقة كلها ، وقد قام بأعمال عمرانية جليلة و عديدة في كل مكان يقيم فيه .

وهكذا نلمح في سيرة النبي إبراهيمعليه السلام انموذج رجل العقيدة والحضارة ، الذي كان أمة داعيا وقانتا لله تعالى مؤمنا برسالته الحضارية ، يقيم المجتمع الإسلامي الذي يخضع لنظام الله تعالى وشرعه .قال تعالى : { **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } [1] *

دور يوسف عليه السلام في الحضارة المصرية

قامت الحضارة المصرية على طول نهر النيل بشمال شرق أفريقيا منذ سنة 3000 ق.م. إلي سنة 30 ق.م..وبرزت في مجال علوم الفلك حيث أقاموا أقدم مرصد في العالم ، قبل عصر بناء الأهرامات منذ فترة زمنية ، وكان لقدماء المصريين تقويمهم الزمني منذ مرحلة مبكرة وكان يعتمد علي ملاحظاتهم للشمس والنجوم بالسماء ومواعيد فيضان النيل في كل عام ، وهذا النهر جعلهم يقيمون شبكة للري والزراعة وصنعوا القوارب للملاحة والنقل وصيد الأسماك من النهر. وأعطتهم الأرض المعادن والجواهر النفيسة كالذهب والفضة والنحاس وبنوا المقابر المزينة والمزخرفة وقاموا بتأثيثها ليعيشوا بها عيشة أبدية .

ولعبت العقيدة الدينية دورا كبيرا في حياة المصريين القدماء ، وكان لها تأثير على حضارتهم وفنونهم وعلى تصورهم للحياة الأخرى وفكرة البعث والنشور ، وكان الفن التشكيلي كالنحت والرسم بالأبعاد الثنائية على جدران المعابد والمقابر ، حيث كانوا يرسمون وينحتون الآلهة على الجدران والصخور ويزينون بها معابدهم وبيوتهم وقصورهم ، ورغم أن قدماء المصريين كانوا يعبدون آلهة عديدة إلا ان دعوة التوحيد الإلهي ظهرت علي يد الملك أخناتون كسمة عقائدية وهي الفترة التي دعا فيها النبي يوسف عليه السلام إلى توحيد الله تعالى [1500 – 1610 ق م] . وهذه المفاهيم لم تكن موجودة لدي بقية الشعوب..

---

(1) سورة النحل (120)

* انظر الملحق ، الشكل 3

ومن دراسة سيرة النبي إبراهيم نجد أن إبراهيم لما قدم مصر علمهم الحساب وعلم الفلك ، وأسرار تتعلق بالزراعة والتي زاولها في بلاد كنعان ، ولم يكن للمصريين علما بها .

كان المصري يتأمل قدومَ الفيضان والجفاف، ويلاحظ البرق والرعد وسقوط الأمطار، ويتتبع خروج النباتات من الأرض ونموها وإثمارها ، فيحاول أن يجد تفسيرا لهذه الظواهر ، أو طريقة في الوصول إلى القوة الخفية وراء هذه الظواهر لكي يتواصل معها ، فتقرب إلى السماء والشمس والقمر والنجوم وهي من الظواهر الكونية التي تحمل الخير له؛ وفي الوقت ذاته تقرب من ظواهر أخرى تحمل مخاوف وأضراراً له (مثل الرعد والبرق)، وذلك أملاً في دفع هذا الضر.

ولعل المصري لم يعبد هذه الموجودات لذاتها، وإنما على اعتبار أن القوى الخفية التي يدركها متمثلة فيها. و هي بمثابة رموز أرضية لهذه القوى الخفية التي لا تعيش معه على الأرض. والدليل على أن المصري لم يعبد هذه الموجودات لذاتها هو أنه كان يذبح البقرة، ويقتل التمساح والثعبان، برغم أنها كانت رموزاً لمعبودات قدسها على مر العصور.

وحين عرف المصري استخدام الأواني المصنوعة من الفخار وأدوات الزينة، بدأ في تصوير بعض تصوراته العقائدية على هذه الأدوات.

يدل هذا على أن العقيدة الدينية ، مهما كانت بسيطة ، فإنها متأصلة في الإنسان ، فقد كان الدين جزءا أساسيا من نظامهم الاجتماعي والسياسي ، لا ينفصل عنه بحال من الأحوال ، غير أن ذلك الاعتقاد يحتاج إلى وحي سماوي ليوجهه نحو الوجهة الصحيحة ، ولذلك جاء إبراهيم عليه السلام إلى مصر ليدعوا أهلها إلى عبادة الله الذي لا تدركه الأبصار ، وهو الذي يتحكم في هذه الظواهر ، ثم جاء من بعده يوسف عليه السلام الذي أتاه الله العلم و الحكمة وحسن التأويل قال تعالى: **{ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }** [1] ،

(1) سورة يوسف (22)

فكان له دور بارز في حضارة مصر ، سواء من جانبها الروحي أو المادي ، فقد دعاهم إلى التوحيد الحق ، قال تعالى : **{ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }** (1)

وقد ناظر كهان المعابد وبين ضلالهم واستغلالهم للموارد المالية لصالحهم وحرمان الناس منها وأعطى الحلول الاقتصادية ، وجنب المملكة المصرية الأزمة المعيشية التي كادت تعصف بالبلد وتهلك العباد ، وسهام في نشر العدل والمساواة وتحرير الفكر وإخراج المصريين من الجهل المطبق الذي كان سائدا ، وهو الذي دفعهم إلى الاكتشافات والإبداع في الزراعة والصناعة .

ولما جاء يوسف عليه السلام مصر تعرض لابتلاء عظيم كما ذكر القرآن قصته في سورة يوسف قال تعالى : **{ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ }** (2) ، وكانت نتيجته دخوله السجن حيث دعا إلى الإسلام وإلى العقيدة الإيمانية الصحيحة ، ثم أصبح يوسف عليه السلام أمين مال الدولة المصرية ، وقد نجح في مهمة تسيير شؤونها نجاحا باهرا وساهم في تنمية اقتصاد الدولة ، وكان يدعوهم إلى العدل والمساواة وإلى التوحيد الخالص ، وتأثر الناس به وآمنوا بالله تعالى . وقد تجاهلت الدراسات الاستشراقية والتاريخية دور يوسف عليه السلام في نهضة مصر وحضارتها .

ومن بعده جاء موسى عليه السلام ، بحضارة تمثلت في شريعة التوراة التي تحكم البلاد والعباد وجاء فيها تفصيل لكل شيء قبل أن يدخلها التحريف ، فال تعالى : **{ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ }** (3) وقد دعاهم موسى إلى عبادة الله وتوحيده وترك عبادة فرعون وآلهتهم المزعومة ، ودعاهم إلى الاستقامة وأقام عليهم الحجج الحسية والمعنوية ، وقد خلده الكثير ممن تأثروا بدعوته من النحاتين والرسامين ، حيث تدل الاكتشافات الحديثة عن ذكر اسمه في الاهرامات والرسومات التي فكت

(1) سورة يوسف (39 - 40)

(2) سورة يوسف (33)

(3) سورة الأنعام (154)

شفرتها اللغوية من المصرية إلى اللاتينية ثم العربية . مما يدل يقينا أن الحضارة المصرية إنما تأثرت تأثرها بالغا بدعوة الأنبياء وتعاليمهم الإلهية ومما أعطاهم الله من العلم والحكمة ، وإنما الدراسات الغربية والعلمانية تخفي هذه الحقائق ، حتى لا تعطي للدين دوره وللعقيدة دورها في بناء الحضارات

سليمان عليه السلام وحضارة سبأ

نشأت مملكة سبأ قبل القرن العاشر ق.م وكانت عاصمتها مدينة مأرب، وقد تمكن ملوكها حوالي منتصف القرن الثامن ق.م من بناء السد المشهور بسد مأرب ومن انشاء علاقات تجارية مع شواطئ افريقيا ومع بلدان بعيدة مثل الهند وبلاد اليونان، وانهارت حضارتهم حوالي 550 بعد الميلاد، بسبب الهجمات التي دامت قرنين والتي كانوا يتعرضون لها من جانب الفرس والدولة الحميرية .

و كانت أغلب نشاطاتها تجارية، بفضل سيطرتهم على الطرق التجارية التي تمر عبر شمالي الجزيرة، ويعتبر سد مأرب الذي كان أحد أهم معالم هذه الحضارة، دليلاً واضحاً على المستوى الفني المتقدم الذي وصل إليه هؤلاء القوم .

وبلقيس هي ملكة سبأ بإقليم اليمن، وكانت هي وقومها يعبدون الشمس من دون الله، وعلم سليمان عليه السلام من الهدهد بعبادتها للشمس ، فكتب إليها كتابًا يدعوها للتوحيد والإسلام وأمر الهدهد بقوله: **{ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ }** (1)

وحمل الهدهد الكتاب وألقاه في مخدع الملكة فقرأته و خاطبت قومها بخطاب تبرز فيه صفات الرجاحة والحكمة والحنكة لدى تلك المرأة العاقلة الملكة وكيف هداها عقلها الراجح للإيمان، وأن تدع عبادة الشمس لتعبد رب الشمس، وتستغفره وتهدي شعبها للتوحيد ، كما أنها طبقت مبدأ الشورى لذوي الاختصاص ، ورفض مبدأ الديكتاتورية في الحكم، حيث عرضت قضية كتاب سليمان التي يترتب عليها تغيير في العقيدة والعبادة وسيادة المملكة، قال تعالى: { **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ** } (2)

(1) سورة النمل (28)

(2) سورة النمل (32)

فأجابوا عليها بحسن ظنهم وتقديرهم لفكرها واعتزازهم بمملكتهم وثقتهم في قوتهم المادية **{ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ }** (1)

كما أنها كانت عالمة بتاريخ الأمم والملوك والغزاة: حيث قالت : **{ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }** (2)

وفي النهاية تتخذ موقفا سياسيا عسكريا بأن ترسل هدية إلى سليمان، فإن كان ملكًا من ملوك الدنيا فرح بها وقبلها ، وإن كان نبيًا مرسلاً رفض ولم يرضَ إلاَّ بتغيير العقيدة وإعلان الإسلام.. كذلك سيتعرف الرسل الذين سيحملون الهدايا عن كثب عن أخبار سليمان وملكه وجنوده، ووافق الشعب على رأي ملكته وأعد الهدايا ، لكن سليمان عليه السلام رفض هديتهم وأدهشهم ملكه وجنوده من الإنس والطير والحيوانات، وأعلن رفضه بقوله: **{ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ، ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ }** (3)

حينذاك قررت الملكة أن تذهب مع كبار قومها إلى سليمان لتصل إلى حل سلمي ودِّي يستقر عليه التفاوض فيما بينهما سواء في العقيدة أو الملك ، وأراد سليمان عليه السلام أن يختبر ذكاء بلقيس بأن يظهر لها فضل الله عليه ، بأن يحضر لها كرسي عرشها من مملكتها إلى مملكته ويجلسها فوقه، فقال لجنوده : **{ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ، قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ }** (4)

في بضع ثوان كان كرسي عرشها أمامه ، فلم يفرح بقدرته أو قدرة أعوانه وجنوده، ولكنه قال: **{ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ، قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ**

---

(1) سورة النمل (33)

(2) سورة النمل (34)

(3) سورة النمل (36-37)

(4) سورة النمل (38-40)

أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ، فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ }[1]

ثم أراد سليمان أن يختبر مقياس ذكائها وفطنتها ، فبادرها بالسؤال في ختام الآية أهكذا عرشك ؟ فالعرش عرشها به أمارات قد ألفتها وعرفتها ، ولكن كيف يجيء العرش من

اليمن إلى بلاد الشام وقد تركته هناك في حماية جنودها وشعبها؟ فإن أجابت نعم هذا هو عرشي كانت الإجابة غير صحيحة. لأن عرشها في اليمن وليس في القدس عند سليمان. وإن قالت : لا ، كان ذكاؤها ضعيفًا أو محدودًا لأنها تفكر استنادًا لأفكار في رأسها دون أن تطرح هذه الأفكار للمناقشة مع هذا الواقع الجديد. فأجابت إجابة تنم عن فطنة وحكمة واسعة لا تثبت ولا تنفي، فقالت: (**كَأَنَّهُ هُوَ**).

ورغم رجاحة عقلها، إلا أنها كانت تحيا بعقيدة فاسدة كافرة ، وهذا يدل على أن ذوي الألباب والعقول الراجحة ، حين يأتيهم ضوء الهدى والإيمان فإنهم سرعان ما يهتدون به في حياتهم وسلوكهم ، والعقل في حاجة إلى هداية ربه وإرشاده حتى يعقل ويحسن التصرف. وجاء السياق القرآني يوضح علة كفر بلقيس ، وهي نشأتها في بيئة كافرة في عقيدتها وتصورها قال تعالى{ **وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ** }[2]

وأعد سليمان عليه السلام مفاجأة أخرى، حيث أعدَّ قصرًا من البلور أقيمت أرضيته فوق الماء وظهر كأنه لجة، فلما قيل لها ادخلي الصرح حسبت أنها ستخوض تلك اللجة، فكشفت عن ساقيها، قال تعالى:**{ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَت رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }**[3]

---

(1) سورة النمل (40-42)

(2) سورة النمل (43)

(3) سورة النمل (44)

فلما تمت المفاجأة كشف لها سليمان عليه السلام عن سرها (**إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**) وأمام تلك العجائب الإلهية التي سخرت لخدمة سليمان وقفت الملكة في دهشة ، ورجعت إلى ربها واعترفت بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غير الله، معلنة إسلامها مع سليمان لا لسليمان، ولكن (**لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**).لقد اهتدى قلبها وعرف عقلها أن الإسلام لله ليس استسلامًا لأحد من خلقه، ولو كان هو سليمان النبي الملك صاحب المعجزات، أما الإسلام فهو إسلام لله رب العالمين، ومصاحبة المؤمنين والداعين إلى طريقه بهذا التصرف الحكيم أسدلت بلقيس ملكة سبأ الستار على قصة مثيرة بين حضارتين وتبعها شعبها فأسلم مثلها، وجنبت شعبها ويلات الحرب، بسياستها الحكيمة وعقلها الرزين، وكذلك ويلات الهلاك في الآخرة إذا ظلوا على كفرهم ولم يسلموا لله رب العالمين مع نبي الله سليمان عليه السلام وهذه صورة مشرقة عن مفهوم الحضارة التي تجمع بين التطور العمراني والهدي الإيماني .

المطلب الرابع : دعوة الأنبياء والرسل أساس بناء الحضارات :

علاقة قوانين حمورابي بصحف إبراهيم :

أنزل الله تعالى على إبراهيم الصحف التي كانت تحوي حكما ومواعظ ، كما جاء في تفسير القرطبي قوله :وروى الآجُري عن أبي ذر رضي الله عنه قال :قلت يا رسول اللّه فما كانت صحف إبراهيم قال: كانت أمثالا كلها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكني بعثتك لتردّ عنّي دعوة المظلوم فإني لا أردّها ولو كانت من فم كافر، وكان فيها أمثال : وعلى العاقل أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكّر فيها في صنع اللّه عزّ وجلّ ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب ، وعلى العاقل أن لا يكون طامعا إلا في ثلاث: تزود لمعاد ، ومرحة لمعاش ، ولذة في غير محرم ، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه ،حافظا للسانه ، ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه[1] .

(1) القرطبي ، الجامع للأحكام القرآن ، تح: عبد الله التركي،مؤسسة الرسالة 2006 ،ط:1 ،ج: 22 ،ص:236 -237

وقد عنيت المراجع المسيحية في العصر الحديث بناحية من تاريخ إبراهيم الخليل عليه السلام أهم من تلك المرويات الشعبية في نظر القارئ العصري وهي الناحية التاريخية ..فمن أحدث هذه المراجع كتاب " موجز التعليقات الحديثة على الكتاب " من تأليف نحو ثلاثين عالما من علماء اللاهوت في انجلترا، وكلهم من المطلعين على كشوف الآثار التي لها علاقة بتواريخ التوراة والأناجيل، يذكر المؤلفون في الفصل الذي عنوانه" العالم في أيام إبراهيم" أن لوحا من الألواح التي كشفت بمدينة أور قد وجد عليه نفش باسم " إبراما " يرجع على ما يظهر إلى زمن سابق لزمان إبراهيم ، ومن هذه الكشوف لوح آخر منقوش عليه شريعة حمورابي وفيها أحكام مماثلة لأحكام الشريعة الموسوية ، ومع هذه الكشوف ألواح كتبت عليها جداول للضرب ومعجمات للمفردات اللغوية وسجلات لأنظمة الحكومة وأسانيد بما وصل إلى الهياكل من حساب القرابين فقد نشأ إبراهيم إذن في مدينة ليست بالهينة والعالم يومئذ قديم[1].

وتذكر كتب التاريخ أن الملك حمورابي جاء بعد إبراهيم ، فقد وضع الأطلس التاريخي عصر إبراهيم بين سنة 2000 وسنة 1800 قبل الميلاد ، ووضع عصر حامورابي في ختام هذه الفترة[2] ، وفترة حامورابي ما بين 1711 إلى 1669 حسب منجد الأعلام [3] .

ويرى باحثون أبرزهم السيد سامي البدري رئيس قسم علم الأديان المقارن- المعهد الإسلامي في بريطانيا ، يرى أن حمورابي جاء بعد إبراهيم عليه السلام ب300 عام وأن تسمية حمورابي تعني خليل الرب (وليس الآلهة) وما شريعة حمورابي إلا نسخة متصرف بها من صحف النبي إبراهيم عليه السلام ولذا نجد التقارب بينها وبين التوراة . كما ذكر العقاد سابقا .

(1) العقاد ، إبراهيم أبو الأنبياء ، السابق ، ص : 52 .53.

(2) العقاد ، إبراهيم أبو الأنبياء ، السابق ، ص : 59

(3) منجد اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، 1994 ، ط : 34 ، ص : 225

ويذكر العقاد أن أكثر الباحثين في الآثار البابلية والأشورية يؤكدون أن بعض الأنبياء من العبرانيين كانوا على علم بالفلك ، وأن النصوص التي كتبت بها نبوءاتهم تثبت علمهم بها على نحو قاطع أو على ترجيح يقرب من اليقين.. وقد ذكر القرآن أن إبراهيم كان ينظر في النجوم والكواكب وأن إبراهيم هو الذي علم المصريين أسرار الكواكب والحساب الفلكي ، وأن يوسف كان يعبر الرؤيا ، وكان موسى يطلع على سحر الكهان [1] .

والحديث عن شريعة حمورابي وظاهرة التشريعات أو القصص والأدعية قد نبه إليها القرآن قبل أن يكتشف التراث المسماري بأكثر من ألف سنة في قوله تعالى: **{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى }** [2]

ولم تشر التوراة المتداولة إلى تشريعات نوح ولا إلى تشريعات إبراهيم ومن هنا فان إثارة القرآن لها ثم اكتشاف الآثاريين لها تعتبر من معالم الوحي في القرآن .

وإبراهيم عليه السلام يمثل أمة وحضارة، وقد عاصر ثلاث حضارات وساهم في بنائها مساهمة فعالة فحضارة بابل بالعراق ثم حضارة الكنعانيين بالشام وفلسطين وحضارة مصر، فكان يعلمهم الحساب وعلم الفلك وبث فيهم كثيرا من الأفكار الأساسية في الزراعة والري وتوزيع الثروات، هذا بالإضافة إلى التعاليم الإيمانية التي تضمنتها صحفه إضافة إلى تأسيس أعظم موضع في العالم يمثل إشعاعا للحضارة الإنسانية وهي الكعبة المشرفة التي بناها مع ابنه إسماعيل عليه السلام كما أن الصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام كانت هي القوانين التشريعية التي طبقها حمورابي في بابل وتعد أول قوانين دستورية في العالم .

(1) العقاد ، إبراهيم أبو الأنبياء ، السابق ، ص: 145

(2) سورة الشورى (13)

المقارنة بين شريعة حمورابي وشريعة العبرانيين من قوم إبراهيم عليه السلام

شريعة حمورابي	شريعة العبرانيين
لو ضرب رجل رجلا حرا في شجار وتسبب في جرحه ، فعلى الرجل أن يقسم أنه لم يضربه عامدا متعمدا ، ويدفع مصاريف الطبيب، وإذا مات الرجل من الضرب، يمكنه أن يقسم نفس اليمين، فعليه أن يدفع نصف مانه من الفضة . وإن كان الضحية من الاتباع فعليه أن يدفع ثلث مانه من الفضة . ص: 37	من ضرب إنسانا فمات يقتل، والذي لم يتعمد بل أوقع الله في يده فأنا أجعل لك مكانا يهرب إليه " حق اللجوء" ، وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي نأخذه للموت ، ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا . سفر العدد الإصحاح 35] ص : 43
لو أن رجلا اقترض قرضا ولم يكن عنده ما يرده من فضة بل كان عنده حبا ، يأخذ التاجر المقرض حبا فائدة تتفق ومراسيم الملك ص: 81	متى بعت صاحبك مبيعا أو اشتريت من يد صاحبك فلا يغبن أحدكم أخاه . ص:87
لو سرق رجل ثورا أو شاة أو حمارا أو خنزيرا أو قاربا كان من أملاك إله أو من أملاك قصر يدفع ثلاثين مثلا وإن كان من أملاك قروي يرد عشرة أمثاله، أما إن لم يكن لدى اللص ما يدفعه يقتل. ص : 70	إذا سرق إنسان ثورا أو شاة فذبحه أو باعه يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغتم، وإن وجدت السرقة في يده حية ثورا كانت أم حمارا أم شاة يعوض باثنين ص : 78

المرجع المعتمد في الصفحات أعلاه : شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق الأدنى مجموعة من المؤلفين ،ترجمة أسامة سراس ، شريعة حمورابي ، دار علاء الدين ،دمشق 1993 ، ط:2 .

وكان القصد من الحديث عن تاريخ بعض الأنبياء وصلتهم بالحضارات الشرقية ، لاعتقادنا بوجود ارتباط وثيق بين الحضارات والأنبياء * ، خلاف لما تتحدث عنه كتب التاريخ والاكتشافات الأثرية التي تحاول أن تحدث فراغا بين سيرة الأنبياء وبناء الحضارات القديمة أو الحديثة ، حيث لا فراغ ، ولو أننا حاولنا أن نعيد كتابة تاريخ الحضارات بعيدا عن هذا الفراغ الذي أحدث بينهما ، لما اضطر أو تجرأ أحد من المشككين بقوله : أن إبراهيم لم يوجد في هذا المكان ، أو لم يكن له دور في الحضارة ، أو لم يتنقل بين أور و بابل وأشور ، وحاران ، وبيت المقدس ، ومصر ، ثم مكة ، فهذا الانتقال بين الحضارات والمدائن يحمل دلالات وعبر ، إنها دعوة التوحيد التي تبدأ من نوح في بابل وأشور إلى دعوة إبراهيم في القدس وتنتهي بدعوة محمد في مكة عليهم الصلاة والسلام .

فبعض أصحاب الدراسات العلمية والعلمانية لتاريخ الحضارات يتحدثون عن الحضارات والأحداث بمعزل عن ذكر الأنبياء والرسل ، فإذا قال قائل أن هذه المدينة دمرها الله لفسادها وعدوانها على أنبيائه أسرع أولئك الأدعياء فأبطلوا الأحداث والقصة كلها وقالوا : إنه لا مدينة ولا فساد ولا أنبياء ، وإن الأمر كله حديث خرافة أو خيال ، كما فعلوا بالنسبة لقوم عاد في الأحقاف حيث تنكروا لوجود مدينة تحت التراب، و قد بينتها الأقمار الصناعية والأثار، ومازال التنقيب يكشف عن كثير من الخفايا عن قوم صالح وقوم شعيب وقوم لوط، وعن سفينة نوح وغيرها من الأحداث التي ذكرت في القرآن والتي تثبت صدقه وصدق رسالة الأنبياء جميعا .

من الجدير ذكره أن الحضارة والثقافة بدأت مع الأنبياء حيث كان جبرائيل عليه السلام يعلمهم وهم بدورهم يعلمون الناس بالإضافة إلى تعاليم دينهم من عقيدة وشريعة، وكانت الأحكام تنزل على الأنبياء حسب حاجة الناس إليها مواكبة التطور البشري إلى أن اكتملت صورتها الأولى في عهد نوح عليه السلام وكانت شريعته من الشرائع التي يمكن تطبيقها في كل المجالات في تلك العهود ، ثم تطورت في عهد النبي إبراهيم عليه

* انظر الملحق ، الشكل 4

السلام ، ومن هنا يظهر أن الشرائع السماوية بل الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل جاءت احداها لتكمل الأخرى وتطورها وتمثل حضارات متصلة بعضها بعض تنبع من مشكاة واحدة .

والقرآن الكريم يقرر ابتداءً أن الرسالة الإلهية وجهت إلى الأمم جميعا حتى تسقط دعاوي القائلين بتعارض الدين والحضارة، قال تعالى: { **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** }[1]

ويبين أن الرسل عليهم الصلاة والسلام قوبلوا بهذه المزاعم الباطلة عن الدين والحضارة من قديم، قال تعالى: { **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** }[2]

والتاريخ المنقول إلينا هو ما كتبه كهنة المعابد على الجدران ، بحيث يتحدثون عن العقيدة للشعب المصري القديم أو الشعب الأشوري أو البابلي أو الفينيقي أو اليمني بأنها عبادة لما هو مرسوم على الجدران أو منحوت على الصخور ، ولا أثر للعقيدة الإلهية التي جاء بها الأنبياء والرسل ، وهنا نطرح السؤال إلى مدى يمكن أن نقبل الحقائق التاريخية بأنها حقائق صحيحة ؟ لأن الذي يتبع التاريخ لا يجد أثرا للديانات التوحيدية التي تكلمت عنها الكتب السماوية بسبب التضليل والتحريف الذي قام به الكهنة ووثقوه بالرسومات والنحت والكتابة ، يعكس وجهة نظرهم هم ، والتاريخ هو ما تكتبه الشعوب وليس الكهنة ، وهذا ما وجد فعلا بصورة علمية عندما نقبوا على الأثار، حيث وجدوا عكس ما كان يفعله الكهنة، فبعض المدافن التي وجدوها في افريقيا واسيا، أن بعض الهياكل وجدوا أنهم متشابكو الأيدي ، وبينها اشياء مثل سبحة ، وهذا يدل على أن الانسان الذى كان يعيش في هذا الوقت يمارس عقائد أو أشياء تدل على تدينه، وعلى أن الانسان وجد على الأرض بعقائد، وأثبت علم التشريح في مخ

(1) سورة النحل (36)

(2) سورة غافر (83)

الإنسان، ما يسمى بالمادة الرمادية التي تدل على التدين، ولو تُزال المادة الرمادية من المخ يتحول الإنسان وتنعدم فيه الآدمية.

ومما يثبت مما ذكرنا سابقا ، أن المشكلة عندما يأتي رسولا من عند الله ، لا تكن مشكلاته مع قومه أو الشعب ، ولكن كانت مع الحاكم والكهنة ، الذين يمثلون الاله وعشيرته ، ويكون الصراع بين الرسالة السماوية التي جاءت لتحرر عقول الناس من العبودية وتوجيهها الى العبادة السماوية التوحيدية ، وبين الخضوع لسلطان واستعباد الحاكم وكهنته .

ولهذا فالدراسات التاريخية لتاريخ الشعوب تبعد دور العقيدة في الحضارات ، ويوهمون الناس بأن سقوط هذه الحضارة أو تلك لأسباب مادية ترجع إلى الحروب وسيطرة الغالب على المغلوب ، وربما لا يتحدثون عن العقاب الإلهي لابتعادهم عن عقيدة التوحيد، أو تفشي الترف والفساد بينهم، ذلك انه لا يهمهم التحرير الفكري للإنسان وإنما يهمهم التضليل الفكري ، وقد تحدث عن ذلك القرآن الكريم في كثير من الآيات منها قوله تعالى: **{ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }** [1] وقال تعالى:(**{ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ }**[2]

والواقع أن المفهوم الذي عرفناه عن الحضارة لم يكن موجودا في تلك الحضارات القديمة اللهم في الفترات التي وجد فيها الأنبياء وساهموا فيه ، وما يسمى ذلك إلا مدنية أو بداوة ، والذي كان هو حضارة بنيان وليست حضارة إنسان ، إذ كيف يعقل أن نقول أن البابلي أو الكنعاني أو المصري أنه متحضر أو يعيش الحضارة ، ثم يعبد صنما أو ظاهرة طبيعية ، كيف لهذا العقل الذي اهتدى إلى الاختراع أو الاكتشاف أن يتنكر لحق الله تعالى في التوحيد والعبادة ، بالإضافة إلى ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، من خلال الاستعباد وانتهاك الحقوق الأساسية للإنسان في التملك والتعبير عن الرأي

(1) سورة سبأ (34)

(2) سورة هود (59)

وغير ذلك من ألوان الظلم التي كانت سائدة في جميع تلك الحضارات ، مما يتوجب علينا إعادة النظر في وضع الأمور في نصابها ، فالحقيقة يجب أن نكون على حذر من مفاهيم التقدم والتخلق، والبدائية والحضارة؛ لأنها قد تعني التقدم المادي بشكل عام، والعبرة في منجزات البشر هو ما ينفع الناس وييسر لهم سبل الاستقرار والأمن النفسي والأمن الاقتصادي . فرغيف الخبز مثلاً أنفع للبشر من الوصول إلى القمر، والصاروخ الذي دفع مركبة القمر هو الصاروخ الذي يعبر القارات ويقضي على الناس، وقد نجد مجتمعاً خالياً من الأشياء الكثيرة، ولكنه أقرب للفطرة والأخلاق الأساسية، فقد جاء سيدنا يوسف عليه السلام من البادية، و المكان الذي نشأ فيه أشد صفاء ونقاء من المجتمع الذي انتقل إليه، وكان إنقاذ هذا المجتمع الأخير على يديه، فهل المهم هو التقدم ولو على حساب عذاب الإنسانية والأزمات الخانقة والحروب المدمرة ؟

فالإيمان المفقود في جميع الحضارات القديمة والحديثة هو الذي يتيح للإنسان الارتقاء فوق مراتب عليا ، و هو الذي يسمح ببناء نظام اجتماعي متماسك يسعى لخير المجموع، فالمؤرخ(ول ديوارنت) كان أكثر دقة حين ذكر أن من عناصر الحضارة: الإيمان بما هو كائن وراء الطبيعة .

فالأمة الإسلامية هي وحدها التي تملك مشروع بناء الحضارة الإنسانية ، لأن الأنبياء كلهم كانوا يدعون إلى الإسلام ، فكما أن دعوة الأنبياء سلسلة متماسكة مرتبطة ببعضها بعضا من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام ، فكذلك الحضارة متصلة ببعضها ، فلكل حضارة زمانها ولا يصح أن نقول حضارة كذا أفضل ، أو أولى من كذا .

الحضارة الإنسانية لابد أن تتخبط وتضطرب إذا تفلتت من ضوابط الشريعة الإلهية وتوجيهات الوحي ، فالانحراف الحضاري المروع الذي حدث قديما كان من موجبات الإسراع بالرسالات السماوية ، من أجل رد الناس إلى الحضارة الحقيقة التي يعبد فيها الخالق وتطبق فيها شريعته ، فالإنسان إذا أراد أن يبني حضارة الإنسان فلا يجب أن

يحيد عن دعوة هؤلاء الأنبياء والرسل، وأن يسير في خطاهم ، فيعيش بروحه معهم وبعقله مع عصره .

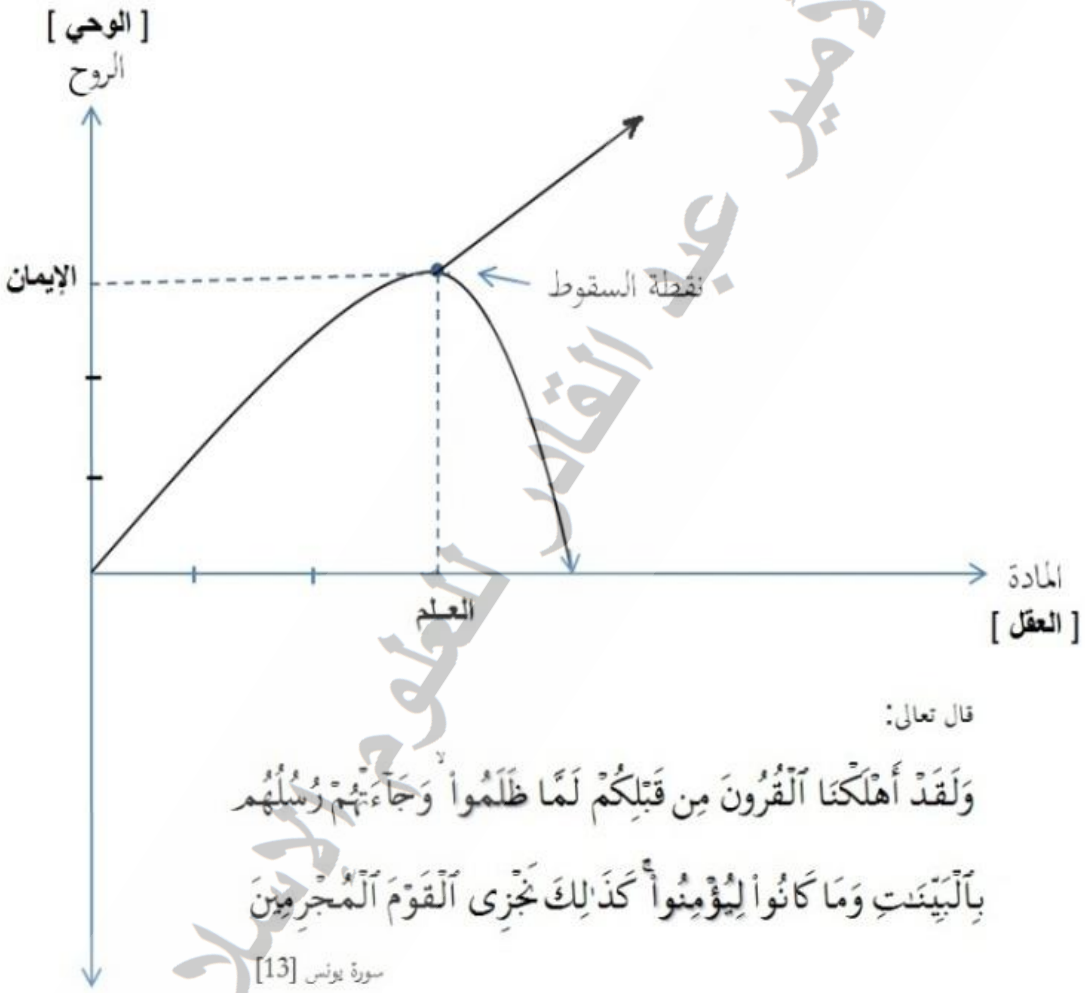

قال تعالى:

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ

سورة يونس [13]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

منهج التغيير في البناء الحضاري

المطلب الأول: حضارة العلم و الإيمان

كل الأمم التي تركت حضاراتها أثارا وبصمات في التاريخ والخرائط الجغرافية لم ينقش اسمها على صفحات التاريخ بأحرف بارزة إلا بمثل هذه المثابرة في التقويم والتنظيم ، والقابلية في التركيب والتحليل ، فهناك أمم عديدة تربت في مهد الإيمان ، وبذلك صنعت لنفسها حضارات راقية استمرت حتى بلغت نقطة انعطافها وانحرافها عن هذا الأساس الهام وهو الإيمان وعبادة الله ﷻ الخالق ، مما أدى إلى انهيارها وسقوطها وكذلك هو حال كل أمة تنحرف عن هذا الأساس .

إن تلك الحضارات التي كانت تُذهل العقول ، وتبهر العيون بغناها الثقافي ، لم تظهر في بابل ومصر واليمن فجأة من غير مقدمات ، فلابد أن يكون هناك سر وراء ذلك التطور المفاجئ ، وليس من المعقول أن يكون ذلك من صنع العقل البشري وحده ، مما يؤكد أن للوحي الإلهي دور أساسي وبارز في ذلك التطور ، وهو دور الأنبياء والرسل في ترسيخ الإيمان أولا في نفوس الناس ، قال تعالى : **{ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ }** [1] وقال تعالى : **{ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ }** [2] والأنبياء والرسل لم يكتفوا بترسيخ الإيمان فقط بل عملوا وساهموا في التقدم العلمي من خلال ما علمهم الله تعالى من الصنائع والحرف واستخدام الوسائل والطرق التي عَلّموها بدورهم للأقوام الذين كانوا يعيشون معهم .

إن الإيمان هو المقوم الأول الذي يهتم به كل الأنبياء والمصلحين من أجل البناء الحضاري ، لأنه متى استقر في النفس ووقع تجديده كل حين، أحدث قوة دافعة لتحقيق

(1) سورة الحجرات (7)

(2) سورة المجادلة (22)

غاية وجود الإنسان في هذا الكون، فهو لا يحدث خفةً وتحليقًا في الآفاق فحسب، وإنما ينعكس سلوكًا وممارسةً في كل مناحي الحياة، أي يعيد إحياء الإنسان من جديد، ويحرك مداركه وأفعاله نحو الخير والحق والعدل والجمال.. وقد ظل رسول الله ﷺ يركز عليه في مكة طيلة الثلاث عشرة الأولى من عمر الدعوة، ويشحن النفوس بأكبر قدر من الطاقات الإيمانية. ولما بدأ البناء العملي في المدينة، كانت الأرواح والنفوس المؤمنة حق الإيمان مهيأة للقيام به، فتعالى البناء في سنوات معدودة. وقد ظلت هذه الدعوة قائمة من أجل الانبعاث والإحياء كلما ابتعد المسلمون عن هذا المقوم، يكفل الله تعالى لها من يجددها في النفوس، لتحياها الأمة حقيقة في ممارساتها وسلوكياتها.

وهذا ما يؤكد عليه الأستاذ "كولن"، حين يجعل الإيمان مقوم كل انبعاث وإحياء، يتفرع عنه مجموعة من الأسس والمرتكزات واللبنات لتفعيل ذلك الإيمان وتنزيله إلى الحياة.

(إن انبعاثنا مجددا بثقافتنا الذاتية يتطلب رجالَ قلوب متحفزين بالإيمان ، ومهندسي فكر سائحين في الغد بأفقهم الفكري ، وعباقرة يحتضنون الوجود والاحداث بتصوراتهم الفنية ، ويتعرفون بتحسساتهم وتفحصاتهم الدقيقة على آفاق جديدة أبعد من الآفاق التي نحن فيها ، فإذا سرنا على الخط فستكون ثقافتنا الرصينة ، وجذورنا المعنوية والروحية ، وشخصيتنا ومحتوانا ، جزءا لا يُستغنى عنه من الثقافة العالمية حينما يأتي الوقت المناسب ، أما إذا بقينا على تخبطنا الذي عرفناه أمس واليوم في التزود والتغذي من مصادر ثقافة الآخرين ، وانغرسنا في التقليد كلما فكرنا في الإنشاء ، فلن تنجو الأمة من ذلة التبعية) [1] .

فكثير من الناس المتأثرين ببريق المدنية الغربية ، فيستنبطون من أفكارهم مناهج يطبقونها على مجتمعاتهم ، يعتقدون أنهم بذلك يساهمون في الرقي بمجتمعهم ، وهم في الحقيقة يَخدعون أنفسهم و يُخادعون مجتمعهم قال تعالى : **{ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ**

(1) فتح الله كولن ، ونحن نبني حضارتنا ، تر : عوني عمر أوغلوا . دار النيل ، 2012 ، ط:1 ، ص : 36

سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا } (1)

فالعقيدة الإسلامية هي التي جندت للرسول ﷺ جيشا عدته عشرة آلاف، وهو الذي خرج من مكة مستخفيا يطارده كفارها، ولم يستطع الذين حاربوه طوال هذه المدة أن يصمدوا أمام قوة الإيمان الزاحفة، فاستسلموا له، وأتوا إليه مذعنين، أو دفعوا إليه الجزية صاغرين .كان المسلمون يملكون أقوى عدد النصر، وهي العقيدة التي تصنع الرجال ، و تمثل عنصر القوة في تاريخ الحضارة الإسلامية .فلأجل النهوض بالإنسان المسلم من حالة الضعف الروحي والانزلاق في مهاوي المادية ومغرياتها، لا بد من تذكيره بمعطيات تلك العقيدة، وترسيخ قناعته بقوتها وصلاحيتها لكل العصور بلغة معاصرة، وبشكل يتناسب مع مقتضيات العصر الحديث، والتحليل الفكري بأسلوب سهل ممتع وعرض علمي قويم يبتعد بالأفكار عن مهاوي الانحراف وأوهام الخيال، ويقودها إلى الحقائق الناصعة والأدلة الساطعة.

إذا كان الإسلام في محتواه وتاريخه الحضاري الطويل ، يمثل المشروع النموذجي الفذ للفعالية التسخيرية والاستخلافية النموذجية القصوى ، كما تدل على ذلك بميته الذاتية ، العقدية والمعرفية والمنهجية ، المترابطة المتكاملة من ناحية ، وتجربته الحضارية المتميزة عبر التاريخ من ناحية أخرى ..فكيف يمكن أن نقرأ واقع الأمة الإسلامية قراءة سننية موضوعية متكاملة ، توقفنا على خلفيات فقدان الأمة لفعاليتها التسخيرية ، ومن ثم لصلاحيتها الحضارية أو الاستخلافية ؟! . أين يكمن الخلل في هذه المفارقة بين صلاحية الفكرة أو المشروع والتجربة التاريخية من جهة ، وغثائية الواقع المشهود من جهة أخرى ؟ نجد من أهم تجليات قصور الأداء الحضاري للأمة يرجع إلى البعد العقدي باعتباره يشكل المحرك الأساس للحياة من جهة ، والموجه الضابط لصيروراتها الاجتماعية والحضارية من جهة أخرى ، خاصة لأمة تدين بوجودها أساسا إلى العقيدة الإسلامية ،

(1) سورة الكهف (103-105)

وتستند في كل مظاهر قوتها وعزتها وانطلاقاتها الحضارية ، في كل مراحل تاريخها الإيجابي إلى هذه العقيدة[1] .

وعلى ما ذكر البيهقي –رحمه الله– في شعب الإيمان قوله أن الطاعات كلها إيمان ، بما فيها العبادات والقيام بالخلافة ، قال تعالى في وصف المؤمنين : **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }** [2] ، فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال فدل ذلك على أنها من جوامع الإيمان[3] .

ويعني هذا أن العبادة والقيام بالاستخلاف في الأرض وبناء الحضارة ، كل ذلك هو مطلب عقدي تطلبه العقيدة الإسلامية ، وكل هذه الأعمال والانجازات تعد من الإيمان ، الذي هو يضمن لها الاستمرارية والبقاء والتطور وفق مسار مستقيم لا يقبل الانحراف والانكسار . قال تعالى : **{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }** [4]

فالإسلام عقيدة تقوم على القناعة العلمية والمعرفية، ولا قيمة للإيمان في الإسلام إلّا إذا بُني على أساس العلم والوعي والمعرفة ; لذلك جاءت دعوة القرآن إلى التفكير والتأمّل في عوالم الكون . الطبيعة والحياة والذات البشرية . لمعرفة الله والرسالة الإلهيّة... ولذلك جاء البيان القرآني بأنّ لا قيمة للإكراه على عقيدة أو فكرة ..

قال تعالى : **{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }** [5] .

---

(1) الطيب برغوث ، الفعالية الحضارية والثقافة السننية ، دار قرطبة ، الجزائر 2004 ، ط:1 ، ص : (59-61

(2) سورة الأنفال (2-4)

(3) البيهقي ، الجامع لشعب الإيمان ، تح : عبد العلي حامد ، مكتبة الرشد ، السعودية 2003 ، ج:1 ، ص : 99

(4) سورة الأعراف (96)

(5) سورة البقرة (256)

وقال تعالى مُخاطِباً نبيّه : **{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }** (1) ، وقال تعالى: **{ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ }** (2) .

في هذه الآيات يريد القرآن أن يوضِّح أنّ الإيمان الصادق لا يكون بالإكراه ، بل بالدليل والبرهان العلمي والوعي لمضمون الرسالة ، وأنّ الإنسان هو الّذي يختار طريقه ، وهو مسؤول عن هذا الاختيار ، وسيقوده اختياره إلى السعادة والنعيم ، أو إلى الكارثة والشّقاء والعذاب .. من ذلك نفهم أن الإسلام كعقيدة لم يقوم بالسيف والقهر والقوّة ، كما يحاول خصوم الإسلام تصويره ، وإنما استعمال القوّة والجهاد للدفاع عن الإسلام الحق ، وإزالة الحواجز الّتي يضعها الطواغيت في طريق العقل ، وفي طريق الإنسان المستضعف ليفسح المجال أمام رسالة الحق ومبادئ الخير الّتي بشّر بها القرآن لأن تأخذ طريقها .. ثبّت علماء العقيدة (علماء الإسلام) ثلاثة مبادئ أساسيّة توضِّح هذا المنهج العلمي الفريد المستمد من القرآن والسنّة وأدلّة العقل ، وهي :

1. وجوب التفكير وحصول الدليل العلمي، وبأيّ مستوى للوصول إلى معرفة الله تعالى
2. النهي عن التقليد لتحصيل القناعة الذاتية بالإيمان بالله تعالى، وبما جاء به محمّد ﷺ
3. أن مصدر الإيمان بالرسالة الإلهيّة هو العقل .

والاستقراء التاريخي يشهد بأنّ الانسان قد تفاعل مع الرّسالة الإسلامية وآمن بها واعتقدها بدافع العقل والقناعة ، ويشهد القرن العشرون حركة الدخول في الاسلام في أفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا واستراليا وفي كل منطقة من العالَم ، وبشكِّل مُلفت للاهتمام والدراسة والتحليل ، وسيشهد القرن القادم مع ثورة المواصلات التكنولوجية تحوّلاً كبيراً في الاقبال على الاسلام، بعد فشل المدنية الغربية المادِّيّة في حلِّ مشاكل الإنسان.. لقد أسلم الملايين من الناس في هذه القارات في هذا القرن عن طريق الدعوة الفكرية والتعرّف العلمي على الإسلام..

---

(1) سورة يونس (99)

(2) سورة الكهف (29)

ومن المفيد أن نعرّف بنماذج نوعية من الشخصيّات العلميّة والسياسيّة الّتي وعت الإسلام وتعرّفت عليه فآمنت به ، أو دعت إلى احترامه وتفهّمه ..

إنّ الحقائق اليومية تكشف أنّ الإسلام هو دين المستقبل ، وأنّ الإنسان كلّما اتّجه اتّجاهاً عقلياً وعلمياً يقترب من الإسلام حتّى إذا اكتشف حقائق الإسلام آمن به ، وهو ما يجري الآن في عالم الغرب .

و الحضارة الإسلامية هي نعمة إلهية منّ الله تعالى بها على عباده المؤمنين ، وجب أن يهدوها بدورهم للإنسانية اليوم ، وهي في أمس الحاجة إليها ، نتذكر ما قاله ربعي بن عامر ﷺ رسول جيش المسلمين إلى رستم قائد الفرس وهو يسأله ما الذي جاء بكم ؟ كلمات قلائل تصور طبيعة هذه العقيدة ، وهذه الحضارة التي انبثقت منها ، قال له : " جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ؛ ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ؛ ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام".. فدوت هذه الكلمات في ايوان كسرى وانطلقت في آفاق الكون ،فنبهت الناس إلى حقيقة مفادها تلخيص رسالة الإسلام في كلمة واضحة مفهومة بعيدة عن التفلسف أو المراوغة ، انه ممثل حضارة لا مجرد مبعوث من قائد إسلامي ، وبرهن للناس أنه مرتبط بأهداف ورسالة وحضارة ، وبوعي عميق لها ، مبينا مدى المسؤولية التي يحملها ، والتي تفرض عليه أن يؤديها ، فكانت هذه الكلمة التي هزت ايوان كسرى وفتحت فارس ، هذه هي الحضارة الإنسانية التي امتد شعاعها في الآفاق ، تنشر العلم والمعرفة التي تنفع الإنسان في حياته وخلافته في الأرض وترسخ إيمانه وعبادته ، وبذلك يكون الإنسان قد حقق مراد الله تعالى .

المطلب الثاني : الدرس العقدي وحل المعادلة الحضارية .

المعادلة الحضارية لا يمكن حلها وتحقيقها ، ونقلها من مجرد معادلة رياضية مثالية إلى وجود واقعي في حياة الناس يحسون بحلاوتها ويسعدون بممارستها إلا بتوفر طرفي المعادلة : الحضارة = العلم + الإيمان ، وفي هذه المعادلة يلعب الدرس العقدي الدور الفعّال في حلها ، إذ يجمع بين طرفيها في صورة متكاملة يستمد منهج التكامل من المنهج العقدي القرآني ، ذلك أن الدرس العقدي هو بناء متكامل ضمن هيكل يتكون

من ستة أركان أساسية أشار إليها القرآن الكريم والسنة النبوية والركن المركزي فيها هو التوحيد ، وتحقيق هذا المقصد العقدي يتوقف على استعمال وسائل العلم والمعرفة التي منحها الله تعالى للإنسان باستخدام العقل والحواس للنظر والتأمل في الآفاق والأنفس ، حيث يحدث الانسجام والتوافق مع الفطرة الكامنة داخل الإنسان .

والدرس العقدي هو درس مفهوم ومعقول ومبرهن ضمن المنهج العقدي الاسلامي ، ويعتمد على الاقناع عبر منطق الأسباب والسنن وليس على منطق الصدفة والخرافة والدجل ، ومن ذلك قوله تعالى : **{ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }**[1] .

قال الفقهاء بأن العقل مناط التكليف وأن المعلوم بالبرهان كالمعلوم بالبيان وأن إيمان المقلد لا يقبل حتى لو كان يقلد نبيا معصوما . معقولية العقيدة معناها أن العقل البشري مؤهل لمعرفة الحقائق الكونية الكبرى خاصة إذا ما تعزز بالوحي ، والوحي لا يزيد على إحالته على الخارج من كون وتاريخ ونفس ومآل ومنطق فلا يعتمد حشو العقل بالعلم تلقينا ولكن يعتمد دعوة الحجة المقابلة ثم تفكيكها ونقضها ثم بناء الحجة غير المدحوضة ثم ترك الخيار للعقل إن شاء صدق وآمن وإن شاء كذب وكفر ودون أن يعاقبه في الدنيا على ذلك قال تعالى: **{ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا }** [2] وإنما يمهله حتى وفاته ثم يحاسبه يوم القيامة ، والقرآن الكريم له منهج فريد في عرض الدرس العقدي ، ينتقل من وسيلة لأخرى نذكر منها :

- **الإحالة إلى النظر في الكون** وما فيه من عجائب مخلوقات الله تعالى ، فمكونات الكون كالشمس والقمر والنجم والسماء والارض والريح والجبال والبحار والأشجار مرتبط دوما بلهجة المن منه سبحانه من جهة ، وبلهجة التعليل من جهة أخرى وذلك كما هو بارز في قوله تعالى **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ**

(1) سورة النمل (64)

(2) سورة الإسراء (20)

تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [1].

فهذه الآية تريد القول بأن جاعل الارض فراشا والسماء بناء ومنزل الماء ومخرج الثمر الذي يكفل الرزق و الحياة ويلبي للإنسان حاجة حب البقاء والعافية ... إن من خلق ذلك وجعله وسخره ويسره ومن به على الانسان دون أدنى قوة ولا حول منه هو الجدير حقا بالعبادة والتوحيد. والآيات كثيرة هي علامات محسوسة وشهود ودلائل على الايمان بالنسبة للذين يستخدمون آلة العقل .

- **قراءة تاريخ الأمم** السابقة والاعتبار بها ، قال تعالى : **{ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }** [2] . فالقرآن تحدث عن تاريخ الأنبياء ليس من قبيل التسلية فحسب وإنما من أجل الاعتبار والالتزام بالإيمان و الدعوة إلى التوحيد وإبطال الشرك .
- **النظر في الإنسان ومكوناته** المعنوية والمادية(الفطرة ، النفس، القلب، العقل..

فالإنسان هو محور الكون وهو المدعو إلى النظر في الكون للبحث عن الإيمان ، ولكن هذه المرة مطلوب منه أن ينظر في ذاته المكونة من عدة عوالم المعنوية منها والمادية السالفة الذكر وهو المعني بالمنهج العقدي القرآني بأسره منطلقا وكسبا ومرجعا وثمرة .

نستنتج مما سبق أن الدرس العقدي المستوحى من المنهج القرآني يعتمد على مجموعة من العلوم تتكامل معا في خدمة المنهج العقدي القرآني ، وهذه العلوم المستنتجة هي :

- علم الكون والأرض وما يتفرع عنهما كعلم الرياضيات ، والفيزياء ....
- علم التاريخ والآثار والجغرافيا .....
- علم الإنسان ، كالبيولوجيا و علم النفس .....

---

(1) سورة البقرة (21-22)

(2) سورة يوسف (111)

- علم اللغة والبيان والأمثال

فالدرس العقدي يُبنى على التأصيل المنهجي الذي اتفق عليه علماء الأمة الإسلامية ، ونذكر بعض معالمه منها :

- أن يستفاد من العلوم والمعارف التي أشار إليها القرآن بصورة متكاملة (انظر الشكل)
- أن يكون العرض بأسلوب يناسب الأشخاص ،ويراعى فيه جماليات العرض والطرح
- أن يكون درس العقيدة متنوعا بين فكرة وقصة وأمثال ، كما هو في منهج القرآن
- أن يبنى درس العقيدة بناءً محكما يساير المجتمع المعاصر .
- أن يحتوي على ألفاظ يفهمها أهل العصر ، وليست ألفاظ مر عليها الزمن ، كاستعمال الجوهر الفرد ، وغيرها من مصطلحات علماء الكلام ..
- يجب الاقتداء بالقرآن في مخاطبة الإنسان كله . وجدانه عقله وروحه نفسه .
- إظهار القيم الجمالية في الإسلام وربطها بالعقيدة ، ومظاهر الجمال في الكون والحياة لترسيخ درس العقيدة في النفوس .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدرس العقدي المستمد من
المنهج العقدي القرآني
النظر في الكون
قراءة التاريخ
النظر في الإنسان
النظر في الأمثال
النظر في الحيوان
النظر في النبات
النظر في الأحكام
العقيدة والشريعة..
علم الشريعة الإسلامية
علم النبات كالفلاحة والزراعة والري ...
علم البيطرة وحياة الحيوان...
علم اللغة والبيان والأمثال ....
علم الإنسان : (علم النفس والبيولوجيا والطب ...
علم التاريخ والأثار والجغرافيا .....)
علم الكون والأرض وما يتفرع عنهما (الفيزياء ، الرياضيات ، الجيولوجيا .....)
التكامل المعرفي
البناء الحضاري
E0L500T5T1R9IG4

المطلب الثالث : علاقة التكامل المعرفي ببناء الحضارة

المعرفة هي التي تمكن من اكتشاف آلية البناء الحضاري ، وسنن الكون وكشف الطرق المؤدية إلى الهدف المقصود ، وإزالة نقاط الخلل . قال تعالى { **قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** } [1]

فهمنا مما سبق أن القرآن هو المرجعية الأساس لمختلف العلوم ، وكل العلوم النافعة تصدر من مشكاة القرآن ، وهو المصدر الحقيقي لها ، ومعنى هذا أننا إذا أردنا تشكل المعرفة وتصنيف العلوم لبناء الحضارة يجب أن تكون في ضوء القرآن ، ومقاصده ، وأساليبه ، وأحكامه ففكرة التكامل المعرفي تنشأ من منهج القرآن ، ثم أن البناء الحضاري بناء متكامل ، لا يقبل التجزئة أو النقصان .

وتتضح أهمية التكامل المعرفي وعلاقته بالبناء الحضاري من خلال الدرس العقدي الذي يقدمه القرآن الكريم بدعوته إلى النظر والتفكر في الآيات الكونية ، ويكون ذلك عن طريق العلوم والمعارف التي يشير إليها القرآن بصورة متكاملة ، والتي تكون في النهاية وسيلة من وسائل البناء الحضاري الذي أراده الله تعالى لهذه الأمة التي تحمل في كينونتها بذور الحضارة الإنسانية ومقوماتها ، ومن مظاهر التكامل توجيه القرآن إلى اقتران الإيمان بالقناعات العقلية ، لكي يحرر العقل من التقليد الأعمى للآخر ، الذي هو مظهر من مظاهر التخلف وفقدان الشخصية والدخول في نفق اللاوعي ، يعيق مسيرة البناء ، ونحن نعلم أن الإسلام عقيدة متكاملة وحضارة متجددة صالحة لكل زمان ومكان .

الحضارات في مجملها تعتبر صفحات من كتاب كوني ، فلا يمكن أن نستغني عن المقدمة أو الخاتمة أو محور من المحاور في الموضوع ، فهي حلقات متكاملة مترابطة تشكل لنا عنوان الكتاب في النهاية ، فكل الحضارات تخدم بعضها بعضا وتتكامل فيما بينها .

فالحضارة الإنسانية حضارة مؤسسة من منظور التكامل الموضوعي والتطبيقي للشريعة الإلهية التي تحققت عبر حركة التاريخ ، فالتحول التاريخي للبشرية على الأرض

(1) سورة يوسف (111)

ابتداء من آدم عليه السلام وحتى دعوة النبي محمد ﷺ واستمرار هذه الدعوة التوحيدية إلى نهاية التاريخ ، قد مرت بعدة مراحل وأدوار والتي عبر عنها النبي ﷺ بقوله : (**مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بُنْيَانُهُ وَتُرِكَ منه مَوْضِعُ لَبِنَةٍ ، فَطَافَ بِهِ النُظَّارُ ، يتَعَجَّبُون مِنْ حُسْنِ بُنْيَانِهِ ، إلا مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ , فَكُنْتُ أَنَا سَدَّدْتُ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ ، خُتِمَ بي الْبُنْيَانُ وَخُتِمَ بِي الرُّسُلُ**) [1]

فقد عبر النبي ﷺ عن تكامل الأنبياء في دعوتهم ، وهذا التكامل نتج عنه تكامل الحضارة في اللبنة الأخيرة التي أتمت المفهوم الشامل المتكامل للدين الذي اختاره الله تعالى للبشرية الذي يبني الحضارة الإنسانية ، قال تعالى : { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** } [2] .

فالإسلام متكامل في ذاته و متماسك في قاعدته الأفقية التي تعتمد على أساس صلب وواقعي في منظومته العمودية التي تحوي تشريعا قابل للتطبيق ، بمعنى يؤسس حضارة متكاملة في جميع الاتجاهات وفي جميع الميادين .

والتكامل المعرفي باعتباره قضية منهجية فكرية ، تتعلق بمشروع ينقل المجتمع من بناء الإنسان فكريا ومنهجيا وتربويا انطلاقا من الدرس العقدي التوحيدي إلى واقع وممارسة ميدانية في حياة الإنسان المسلم الذي يعد نفسه لبناء حضارة إنسانية بديلة عن المدنية السائدة اليوم.

ومعنى هذا أن العلاقة بين التكامل المعرفي والبناء الحضاري هي علاقة تلازم يتوقف نجاحها على الدرس العقدي الذي يلعب دور الترابط بينهما ، باعتبار أن العقيدة الإسلامية هي روح الحضارة الإنسانية وإذا فقدت هذه الروح تحولت إلى مدنية مادية مجردة .

---

(1) رواه البخاري من حديث أبي هريرة ، التبريزي ، مشكاة المصابيح ، تحقيق الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1985 ، ط : 3 ، ج: 3 ، ص : 1601

(2) سورة المائدة (3)

المطلب الرابع : منهج التغيير وبناء الإنسان الحضاري

إن انجازات المدنية الغربية في العصر الحديث لم تنجح في إسعاد الإنسانية ، وأدت بها إلى مأساة حقيقة بالرغم من كل منجزاتها العلمية ، وكما هو معلوم أن المشكل يتمثل في الجانب الروحي من الإنسان ، وما يتعلق بالإيمان المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية ، مما يتطلب الأمر إلى تغيير ملح وبديل لهذه المدنية ، ينقذها من هذا الخطر المحدق بها ، ولعل الذي يلعب هذا الدور المنقذ هو الإنسان المسلم الذي ينتمي إلى دين عظيم يرتكز على عقيدة توحيدية هي الأساس الصلب لأي تغيير مرتقب ، ذلك أن المشكلة تكمن في الإنسان ذاته ، فمثلا إذا كان هناك قارب يحمل كثير من الناس ، ويكاد هذا القارب أن يغرق بسبب عطب أو ثقب ، وأردنا أن ننقذه ومن فيه ، فلا شك أن العملية ليست بالسهولة ، فيجب أن نأتي بمن لهم خبرة في السباحة وأساليب الإنقاذ ، وبالوسائل التي يعرفونها ، وذلك لكي تنجح عملية الإنقاذ ، ومن أجل انقاذ البشرية من هذا الغرق في المادية القاتلة ، يجب أن نعد الإنسان المنقذ أولا ، إعداداً نفسيا وفكريا وعقليا وعقديا.. بصورة متكاملة تعتمد على قاعدة صلبة تستمد صلابتها وقوتها من العقيدة الإسلامية المنبثقة أصلا من المصدرين الأساسيين وهما القرآن والسنة

والمنهج المطلوب رسمه وإعداده لهذه المهمة هو المنهج الذي أشار إليه طه جابر العلواني بقوله : " ولتتجاوز الأمة القطب ثم العالم من بعدها الأزمات الفكرية والثقافية والصراعات والتناقضات الطائفية والأممية ، لابد من ابتغاء القرآن المجيد والعروج إلى عليائه من جديد، والتعامل معه من ذات المنطلقات التي كان رسول الله ﷺ يتعامل معه بها باعتباره كلام الله تبارك وتعالى المطلق والمصدق والمهيمن والحاكم على كل ما عداه"[1] .

ويبدأ هذا المنهج برسم المخطط العام لهذا البناء ، من منطلقات واقعية وليست من أفكار فلسفية مثالية ، ويكون القرآن الكريم هو مصدر هذا التخطيط ، ثم تأتي الوسائل والأسس التي

(1) العلواني طه جابر ، نحو منهجية معرفية قرآنية ، دار الهادي ،بيروت 2004 ، ط: 1 ، ص: 11

ترتكز عليها تلك الأفكار بتصور البناء في شكله النهائي ، ومن ثم يأتي دور العمل الذي يبدأ على مراحل تقتضيها الظروف والحالات والمناسبات ، مرتكزا على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى: **{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }**[1] .

ومن الأسس التي قام عليها بناء الإنسان في القرآن ، الدعوة على إعمال العقل ونبذ التقليد الأعمى ، ذلك أن التقليد يعيق عمل العقل ، فالمقلد حكم على عقله بالإعدام ، وهو المنهج عينه الذي اختاره أهل الشرك والجاهلية في ردهم على دعوة التوحيد بإصرارهم على تقليد الآباء والأجداد ، والانغلاق الفكري دون وعي إنساني قال تعالى :**{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ }** [2] .

فالقرآن من خلال هذه الآية وغيرها من الآيات القرآنية ، يريد ان يسطر لنا الطريق الصحيح الذي يجب ان نسلكه في بناء الإنسان ، وحينما ندعو إلى الالتزام بالعقيدة الصحيحة المستمدة من مصادرها الأصلية ، فإنما نحكم العقل السليم في اختيار المنهج القويم بالاستجابة للوحي الإلهي .

ولذلك يتوجب علينا إعداد الدرس العقدي الذي يكون وفق هذا المسار القرآني النبوي ، وفي عملية بناء الإنسان الحضاري نراعي بعض الجوانب المهمة نذكر منها :

بناء الشخصية المسلمة المعاصرة :

وهذا البناء يشمل مكونات الإنسان كلها بصورة متكاملة ، الجسمية منها والروحية والنفسية والعقلية التي تحدد طابعه التوافقي مع بيئته ، وتحدد سلوكياته المستقيمة السوية و التي يتميز بها عن غيره ، وأهم ما يميزه عن غيره قاعدته التوحيدية الإيمانية ، لأن كلمة التوحيد تكسب الشخصية المسلمة ثقة في النفس وتعطي فضلاً من الله ، ورحمة شاملة ودائمة ، ومستقرة ومتكاملة

(1) سورة المائدة (78-79)

(2) سورة البقرة (170)

، وقد نبهنا القرآن أن الإنسان خلق من نفس واحدة ، قال تعالى{ **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** } [1] .

والإنسان الذي يتمتع بالإيمان هو القادر على تحقيق مقومات الحضارة التي تبنى على أساس العدالة والمساواة وتعاليم الإسلام كلها ، يجب أن يرى الناس نماذج فريدة من البشر يتمثل فيهم المنهج القرآني النبوي ، ويحملون القيم الإنسانية الرفيعة التي تبني الحضارة ، فالإنسان الذي يثق في قرآنه وسنته و عقله ويعتز بشخصيته الداخلية ، ويقينه بالحق ، وعزيمته في الانتماء إليه ، والدفاع عنه ، وإيمانه بحتمية انتصاره ، كل ذلك يعتبر من مكونات الشخصية، وقد حدد القرآن الكريم معالم هذه الشخصية، بقوله تعالى: { **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } [2] ومعنى هذا أن الشخصية المسلمة تبنى على ثلاثة أسس هامة هي :

- **العلم** : أي العلم بكل جوانب الإسلام من عقيدة وعبادة و وشريعة وأخلاق وسياسة وثقافة ..بدراسة هذه الجوانب كما وردت في القرآن والسنة وكما شرحها العلماء.
- **الإيمان** : دراسة الإسلام في مصادره السابقة تؤدي إلى التأكد من أنه دين الحق ، وأنه من عند الله ، ومن ثم تؤدي إلى الإيمان به ، وكلما ازداد المسلم معرفة بالإسلام ازداد إيمانا به .
- **العمل** : وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة باخبات القلب ، أي خضوعه للحق وهو الإسلام ، وهذا الخضوع لا يتحقق إلا بالعمل بتعاليم الإسلام والاهتداء بهديه) [3] وهذه الأسس متداخلة ومتكاملة لا تغني واحدة منها عن الأخرى ، فالمسلم يتعلم ويعلم ويؤمن ويعمل في سلسلة مترابطة من النشاطات النفسية والمادية المتكاملة التي

(1) سورة الأنعام (98)

(2) سورة الحج (54)

(3) أحمد عبد الحميد غراب ، الشخصية الإنسانية ، الهيئة المصرية للكتاب 1985 ، ص : 25

تـؤدي إذا اسـتمرت إلى زيـادة العلـم والإيمـان والعمـل ، فيصـبح العلـم يقينـا ، والإيمـان اطمئنانا ، والعمل صالحا .

بنـاء الوعـي :

يستخدم الوعي مع العلم ، قال تعالى : **{ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ }** [1] والوعي هو أول الخطوات نحو تغيير الذات ، والانطلاق نحو البناء الحضاري والأخذ بالأسباب وتنفيذ بقية الخطوات الأخرى ، قال تعالى : { **إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** } [2] .

فـالوعي هـو الـذي يشـكل الحضـارة ، وينطلـق مـن الفطـرة الداخليـة للإنسـان ليحـاول بواسـطة الحـواس أن ينسـجم مـع العـالم الخـارجي ، وهـذه هـي لحظـة الفاعليـة نحـو التغيـير ، و أخطـر مـا يهـدد الـوعي حالـة "الإمعـة" الـتي حـذرنا منهـا الرسـولﷺ :(**لا تَكونـوا إمَّعـةً، تقولـونَ :إن أحسـنَ النَّـاسُ أحسـنَّا، وإن ظلمـوا ظلَمنـا، ولَكـن وطِّنـوا أنفسَـكم، إن أحسـنَ النَّـاسُ أن تُحسِـنوا، وإن أسـاءوا فـلا تظلِمـوا**) [3] لأن ذلـك يعتـبر تعطيـل لعمـل العقـل الـذي أشـاد بـه القـرآن الكـريم في أكثـر الآيـات ، واعتـبر ذلـك مـن الأسبـاب الـتي حجبـت النـاس عـن الحـق قـال تعـالى : **{ وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمُ اتَّبِعُـوا مَـا أَنْـزَلَ اللهُ قَـالُوا بَـلْ نَتَّبِـعُ مَـا وَجَـدْنَا عَلَيْـهِ آبَاءَنَـا }**[4] ، وهـذا التقليـد الأعمـى هـو أخطـر مـا يهـدد شخصـية المسـلم ويـؤدي إلى التخلـف ويبعـده عـن الـوعي السـليم ، وقـد نبهنـا النـبي ﷺ إلى مخـاطره بقولـه :(**لتتبعن سـنن مـن كـان قـبلكم شـبرا بشـبر وذراعـا بـذراع حتـى لـو دخلـوا جحـر ضـب تبعتمـوهم قلنـا يـا رسـول الله اليهـود والنصـارى قـال فمـن**) [5] ، واتبـاع الآخـر مـن غـير علـم ودرايـة وفهـم يضـعف الشخصـية ويبعـد الإنسـان عـن الحـق قـال تعـالى : (**{ وَمَـا**

(1) سورة الانشقاق (23)

(2) سورة الرعد (11)

(3) رواه الترمذي عن حذيفة بن اليمان .المشكاة ، السابق ، ج : 3 ، رقم الحديث : 5129 ، ص : 1418

(4) سورة لقمان (21)

(5) رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ، التبريزي ، مشكاة المصابيح ، تحقيق الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1985 ، ط : 3 ، ج: 3 ، ص : 1473

لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا } [1] ، والتقليد الأعمى حالة نفسية تسجن العقل في قفص حديدي ، وتجعل الإنسان إمعة يقلد غيره دون أن يتعب عقله في التحليل والتحرير والتفكيك ، ومع مرور الوقت تفقده الوعي بحيث يصبح التقليد عنده عادة لا يمكن التخلي عنها وأن إعمال العقل و الاستفادة من تجارب الآخرين أو الانفتاح على معارفهم وعلومهم مضيعة للوقت ، وقد صور لنا القرآن هذه الحالة وأثرها السلبي على تفكير الإنسان بقوله تعالى **{ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ }**[2] .

فهو يحدثنا عن قصة البعوضة انها صغيرة ومتواضعة ولكنها قد تعلمنا أشياء كثيرة . فاذا استكبرنا وقلنا ما قيمة البعوضة حتى نتعلم منها ، فإننا سوف لا نفهم شيئا إلى الأبد ، وإذا طرحنا المسألة بشكل جدي ، وقلنا نحن جهلاء والعلم ينفعنا وما يضرنا لو أخذنا العلم من هذه البعوضة ، فمادام الله يحترم البعوضة ولا يستحي ان يضرب مثلاً بها ، لأنها تمثل جانباً من الحق ، والله لا يستحي من الحق ، فمادام الله ربنا لا يستحي ، فلماذا نستكبر نحن البشر على الاستفادة من البعوضة فما فوقها ، فالذي لا يستفيد من الآخرين إنما هو يعبد ذاته .

والالتزام بالروح النقدية يعتبر مظهر من مظاهر استيقاظ الوعي ، فالحضارات حين تدخل في مرحلة التراجع والأفول ، يسيطر على مثقفيها الانشغال ببيان الانجازات التي حققها عظماؤها بدل البحث عن وسائل استعادة ما فقدوه ، وتعويض ما فات ، يعني النقد وعي الوعي بذاته ، وقدرته على تجاوز النماذج الشائعة ، والعودة إلى الأصول والأهداف الكبرى في كل المسائل التي تحتاج إلى إعادة نظر[3] .

---

(1) سورة النجم (28)

(2) سورة البقرة (26)

(3) عبد الكريم بكار ، تجديد الوعي ، دار القلم ، دمشق 2010 ، ط : 3 ، ص : 40

وعندما نتأمل الجهد النبوي ، نجده فعلاً انصب حول بناء هذا الإنسان النموذجي بمختلف صوره ، حيث وجدنا الرسول ﷺ وفر الجو الملائم لبناء الإنسان الخليفة ، و المسلم الواعي ، الإنسان المنسجم مع الخطاب الإلهي ، وهو الذي بنى حضارة العلم والإيمان ، وعندما انحرفت مسيرة بناء تلك الشخصية الفذة ، وعجزت الأجيال المتعاقبة تجديد العهد بهذه النماذج الفاعلة الراقية ، انهار البناء ونزل إلى مستوى دون المستوى الأول ، وجاء التولي الحضاري الذي فتح عهد التخلف وضعف الشخصية وقلة الوعي والتبعية للآخر ، وإذا أردنا الانطلاق من جديد ، يجب الامتثال لقول النبيﷺ :(**مَن رأى مِنكُم مُنكرًا فليغيِّرهُ بيدِهِ ، فإن لَم يَستَطِع فبِلسانِهِ ، فإن لم يستَطِعْ فبقَلبِهِ ، وذلِكَ أضعَفُ الإيمانِ**) [1] .لأن هذا التغيير بمفهومه الشامل أحد مقومات البناء الحضاري .

وهكذا نجد وعي الإنسان لذاته يعتبر محور بناء الحضارة ، أو كما يسميها الشيخ الفاضل بن عاشور بالحس الباطني أو داعية النظر ، التي تجعل الإنسان المنطلق الأول نحو تحصيل الإدراك النفسي ثم الإدراك الوجودي ، ودور كلمة الوحي في بلورة الوعي والاتجاه بالإنسان نحو الوجهة الصحيحة كما يقول : (..وسر الحضارة الإسلامية ، يبتدئ تكونه في الفرد بطريقة تربوية، تعتمد على إيقاظ الحس الباطني ، الذي يتوجه به الفرد إلى تحصيل المدركات الأولى، وهي متعلقات الغرائز الجِبلية المركوزة في طبعه ، فلا يدخل عليه شيئا جديدا ، ولكنه يثير فيه شيئا كان كامنا ، ويبرز من ذاته معلوما ، كان راكدا خاملا ، حين يسلك به مسلك توجيه الغرائز ، وتحريك الطبع ، ويعرض عن مسلك التلقين والإلقاء ، فيمكنه من أن يتوجه بداعية من ذاته ، حتى ينتهي بذاته إلى تحصيل المدركات الأولى ، بصورة يطمئن إليها اطمئنانا تاما ، في غير حيرة ولا اضطراب ، حين تصبح وليدا من ذاته ، وقبسا من حسه ، فإذا استقر ذلك في نفسه ، يصبح أساسا تقوم عليه جميع مداركه الأخرى ، ومحورًا تدور جوله ، وعامل تأليف ومزج بين بعضها وبعض ، تلك هي داعية النظر ، التي تثيرها الدعوة الدينية الإسلامية في نفس

(1) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري . المشكاة ، السابق ، ج : 3 ، رقم الحديث : 5137 ،ص : 1421

الفـرد ، فتتوجـه الـدعوة الإسـلامية إلى الفـرد محركـة فيـه تلـك الداعيـة ، الـتي هـي غريزيـة في نفسـه ، حـتى تشـب وتقـوى ، وتقـوم وتسـير ..وتتـولى كلمـة الـوحي الـنفس الإنسـانية بـالعون ، والتثبيـت والهدايـة ، حـتى لا تخـور ، ولا تضـل ، ولا تسـقط ، دون القصـد الـذي توجهـت إليـه ، بداعيـة مـن ذاتهـا .. فيتخـذ الإنسـان نفسـه المنطلـق الأول ، نحـو تحصـيل المـدارك ، إذا يـدرك نفسـه أولا ، يـدرك وجودهـا ، ويـدرك اسـتعدادها للمعرفـة ..وبهـذا الإدراك المـزدوج ، يتوجه إلى تحصيل المعرفة توجها غريزياً) [1].

(1) محمد الفاضل بن عاشور ، روح الحضارة الإسلامية ، المعاهد العالمي ،فرجينيا 1992 ،ط:2، ص : 24 .

خاتمة

قد سلطنا الضوء في هذه الرسالة على العلاقة بين العلوم والمعارف من خلال التكامل المعرفي المستمد من النظرة التكاملية في المنهج القرآني والمنهج الكوني ، ودور الدرس العقدي في عملية التواصل والتكامل بين المعارف ، وأهمية ذلك في التطور ورقي المجتمع والانتقال من التخلف إلى التقدم وبناء الحضارة ، وفق مراد الله تعالى بتحقيق العبادة والخلافة معا ، وهي الغاية القصوى من وجود الإنسان ، ويمكن ان نستخلص في نهاية البحث بعض النتائج والتوصيات يمكن ذكرها في هذه النقاط :

النتائج والتوصيات :

1- أن رسالة الإسلام مبناها كلمتان لا ثالث لهما : الله واحد لا معبود بحق سواه والإنسان مخلوقه الأكرم الذي أستأمنه واستخلفه وملكه الدنيا والآخرة فضلا منه سبحانه فمن تعدى على المخلوق تعدى على الخالق .

2- المتوقع من درس العقيدة الإسلامية أن يسير وفق منهجية علمية واضحة لا غموض فيها ولا تأويل ، وأن يراعى في صياغته المنهج القرآني النبوي وفق الرؤية الكونية والسننية .

3- الدرس العقدي يساهم مساهمة فعّالة في تحرير الإنسان من التقليد الأعمى والخرافة والأسطورة ، ويحرر العقل من القيود التي فرضت عليه ، حتى ممن يسمون بالعقلانيين أو الحداثيين أنفسهم .

4- درس العقيدة الإسلامية لا يجب أن يتحول إلى وعظ وإرشاد واستعمال العبارات المسيلة للدموع ، بالحديث عن عذاب القبر ، وما ينتظر كل عاصي أو كافر دون

أن نقدم شيئا تطمئن له القلوب من روح هذه العقيدة السمحة بأسلوب علمي يقتنع به الآخر ، مع مسايرة ثقافة العصر الذي نعيش فيه.

5- أن يعرض التراث الإسلامي على سلطان الرقابة والتمحيص ، وإزالة كل الشوائب التي علقت به مع مرور الزمن ، والتي حجبت عنها العقيدة الصحيحة أو الإيمان الذي كان عليه الرسول ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم ، معتمدين في ذلك على المصادر الأساسية للعقيدة أو الإيمان وهما القرآن والسنة بالإضافة إلى العقل بدرجة ثانية .

6- ينبغي تصحح المفاهيم بتعريف الطالب بالمنهج السوي في التفكير الإسلامي، المبني على الفهم الصحيح للإسلام ، مع بيان المناهج الأخرى الدخيلة ، وتعليم سلامة المنهج ، لأنه يجنب الأمة الخراب والدمار الفكري ، والفرقة والانقسام.

7- أن الإنسان مفطور على الإيمان وأن العقيدة راسخة في وجدانه ، و العلم مثّبت لها ومبرهن عليها .

8- دروس العقيدة الإسلامية تنمي في طالب العلم الملكة التي يقتدر بها على فهم الأشياء وتحليلها بطريقة علمية مقنعة ، كما أنها تُحدث في كيانه انقلابا جذريا ، وتعيد صياغته على نحو مختلف كليا ، وهذا ما حدث بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم ، كيف كانوا قبل العقيدة الإسلامية ، وكيف أصبحوا بعد ذلك ، من قبائل بدوية منتشرة في الصحراء ، إلى بناة لحضارة إنسانية هي من أعظم الحضارات في تاريخ الإنسان إلى الآن.

9- الحاجة ماسة لتنمية ثقافة عقدية مبناها وحدانية الله وكرامة الإنسان كل الإنسان وإذا ما تم العلم بذلك على وجه الصحة والدقة ثم تعزز ذلك بالخلق الإسلامي فإننا نكون قد وضعنا أنفسنا على درب تغيير ما بأنفسنا أي تغيير الله ما بنا .

10- ربط درس العقيدة الإسلامية بالإعجاز العلمي ، هو محاولة لمسايرة الواقع ، وتفعيل الدرس العقدي في واقع الحياة ، والقرآن الكريم قد تحدث عن الحقائق الكونية وربطها بمسائل العقيدة ، ونحن نعيش تطورات علمية متتالية ومتسارعة ، تحدث عنها القرآن ولم نكن ندركها أو نعرف تفسيرها لو لا الاكتشافات العلمية

واكتشاف الحقائق العلمية في الآفاق والأنفس دليل للإيمان بما أنزل على محمد ﷺ ، ويمكن أن يخاطب به من يدعوهم إلى الله تعالى ممن انبهروا بالاكتشافات العلمية والأمور التجريبية ولم يؤمنوا بنصوص الوحي .

11- العلوم الإيمانية فكرة نحتاج إلى فهمها وبلورة مضمونها ، لما لها من دور فعّال في التصدي للتحديات المعاصرة مثل ظاهرة الاستشراق التي فككت البنية الأساسية للإسلام ، فلم يعد له وجود في واقع الناس ، وانتشار فكرة التشكيك والمغالطات وتحريف الحقائق وإحداث مفاهيم جديدة لأصول الدين وفروعه .

12- فكرة التكامل المعرفي ، فكرة موجودة في كل ذرة من هذا الكون ، الكون والإنسان تسيرهما ثنائية التكامل التي أودعها الله تعالى في هذه الحياة ، ولذا نحتاج إلى منهاج دراسي تتكامل فيه العلوم والمعارف الدينية منها والمدنية .

13- تفعيل مبادئ الإيمان في كافة المعارف والعلوم وترجمة مبادئ التوحيد في المجال المعرفي ، وتحويل التوحيد من مجرد علاقة إدراكية ، لثنائية عالمي الخالق والمخلوق ، إلى محتوى معرفي يصل الإنسان بربه .

14- يمثل الطلاب الجامعيون محرك التغيير المنشود لتحقيق النهضة الشاملة. وتتحمل الجامعات مسؤولية إعداد الطلاب وتوفير الإمكانيات و الظروف لانطلاق بواعث نهضة حقيقية، يكون فيها لثقافتنا الإسلامية حضور واضح في كل جوانب العملية التعليمية والإدارية، وفي الجوانب السلوكية للأساتذة والطلاب، داخل الجامعة وخارجها . ذلك أن مكانة الجامعة تقاس بمدى تفاعلها مع مشاكل المجتمع المحلي واستجابتها لمتطلبات تنميته وتطويره، وبمدى تفاعلها مع قضيا أمتنا الإسلامية .

15- الدرس العقدي يلعب دور فعال في تصنيف العلوم ، فهو القاسم المشترك بين الأقسام الثلاث المذكورة ، فالتوحيد هو المركز الأساسي في العملية .

16- صياغة الخطاب العقدي أمر ضروري لتحقيق الأهداف الكلية التي تنهض بالمجتمع الإسلامي وتتجه به صوب البناء الحضاري .

17- ضرورة التفكير في وضع أليات وأساليب الدرس العقدي الذي ينتقل من التلقين التقليدي إلى التلقين الالكتروني ، باستخدام التكنولوجية الحديثة التي طغت على حياة الناس بصورة مدهشة ، وأصبحت المعارف والعلوم تتحول من الكتاب الورقي إلى الكتاب الالكتروني .

18- مفهوم الحضارة يستمد من مفهوم الإنسان ، باعتبار أن الإنسان هو محور البناء الحضاري ، وإنما تبنى الحضارة لسعادة الإنسان الذي هو مادة وروح ، ويقابل المادة العلم ويقابل الروح الإيمان ، فالحضارة علم وإيمان .

19- للأنبياء والرسل دور فعال في بناء الحضارات القديمة ، وأن التاريخ قد تعرض للتزوير والتحريف من قبل كهنة المعابد ورجال الدين من اليهود والنصارى والمستشرقين ، لذا وجب إعادة فحص وتفكيك التاريخ الإنساني ، ذلك أن التاريخ هو وصف لتطور الحضارة .

20- بناء الإنسان قبل بناء الحضارة ، ومرجعية هذا البناء تعود إلى منهجية القرآن والسنة وسيرة الرسولﷺ .

21- بناء الحضارة يمر على مراحل متتالية ، يبدأ بصياغة الدرس العقدي ، صياغة منهجية تستمد منهجيتها من القرآن والسنة ومراعاة معطيات الواقع التي لا تتصادم مع النصوص الشرعية ، ثم تأتي المرحلة الثانية بناء التكامل المعرفي بين جميع العلوم والمعارف ، ويلعب الدرس العقدي ، دور الوسيط والقاسم المشترك بينها ، ويكون ذلك في جميع مراحل التعليم ، مع تغيير في الخطاب الديني المسجدي الذي ينطلق من فكرة التكامل ، ثم تأتي الوسائل والأسس التي ترتكز عليها تلك الأفكار بتصور البناء في شكله النهائي ، ومن ثم يأتي دور العمل الذي يبدأ على مراحل تقتضيها الظروف والحالات والمناسبات مرتكزا على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المسلم صاحب رسالة عالمية وعقيدة مبنية على الرؤية الواضحة والعلم الصحيح والمنطق السليم والتفكير القويم ، والإنسانية محتاجة إليها لتوضح لها الطريق الصحيح وتنجيها من هول المادية القاتلة في غياب الإيمان .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكل (1)

إنسان من قوم عاد

ص: 165

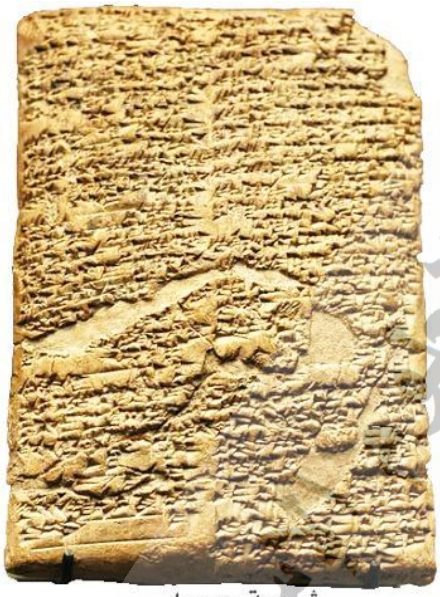

شريعة حمورابي

الشكل (2)

شريعة حمورابي

ص: 185

الشكل (3)

تنقل النبي إبراهيم ﷺ عبر الحضارات

ص: 175

الشكل (4)

الأنبياء والحضارات

ص: 186

الشكل 5
التكامل المعرفي
ص: 69

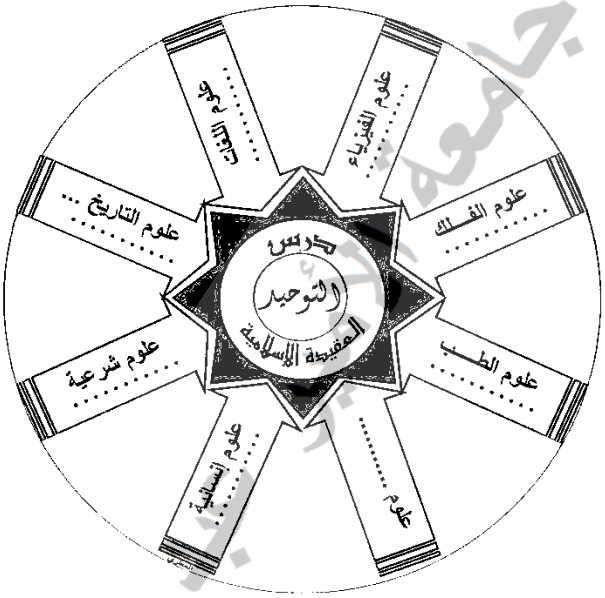

مخطط يوضح مفهوم التكامل المعرفي

EOL500T5T1R9I64

الشكل (6)
تصنيف العلوم
ص: 89

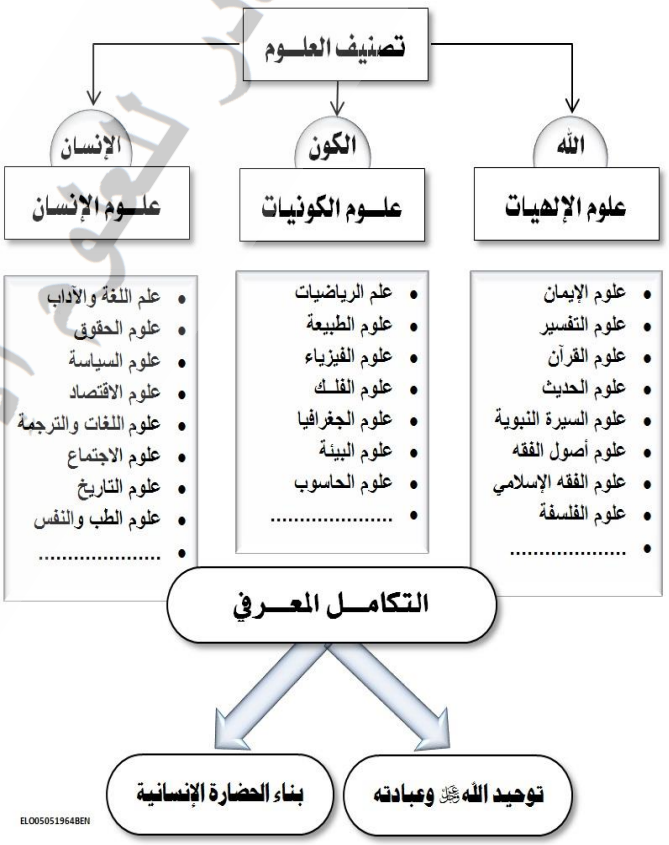

EL00505196 4BEN

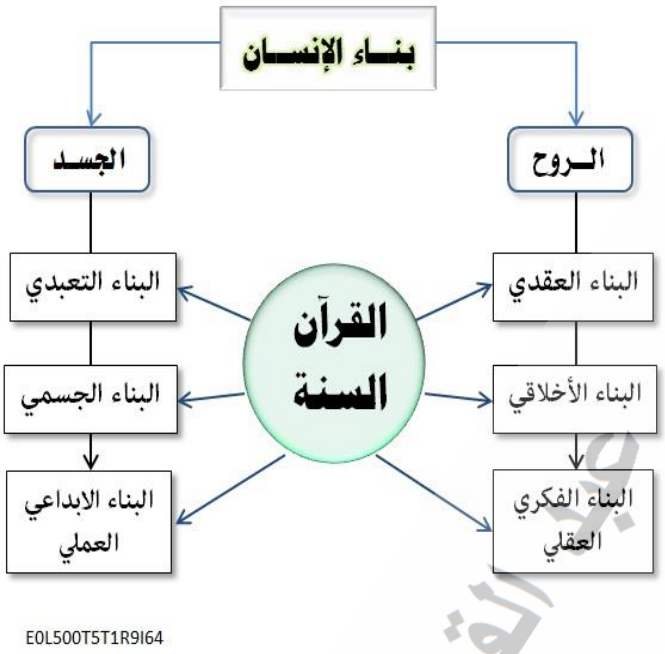

الشكل (7)
بناء الإنسان
ص: 158

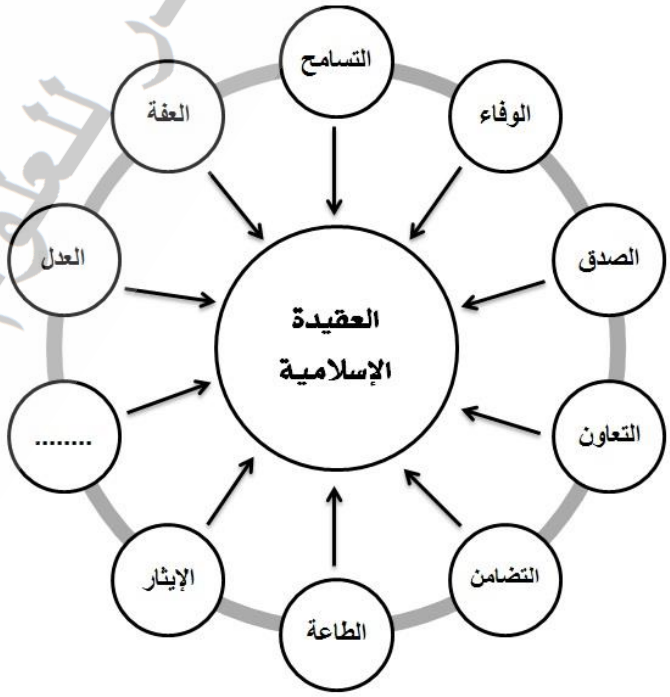

الشكل
(8)
منظومة القيم
ص: 112

الشكل (9)

أسباب سقوط الحضارة

ص: 137

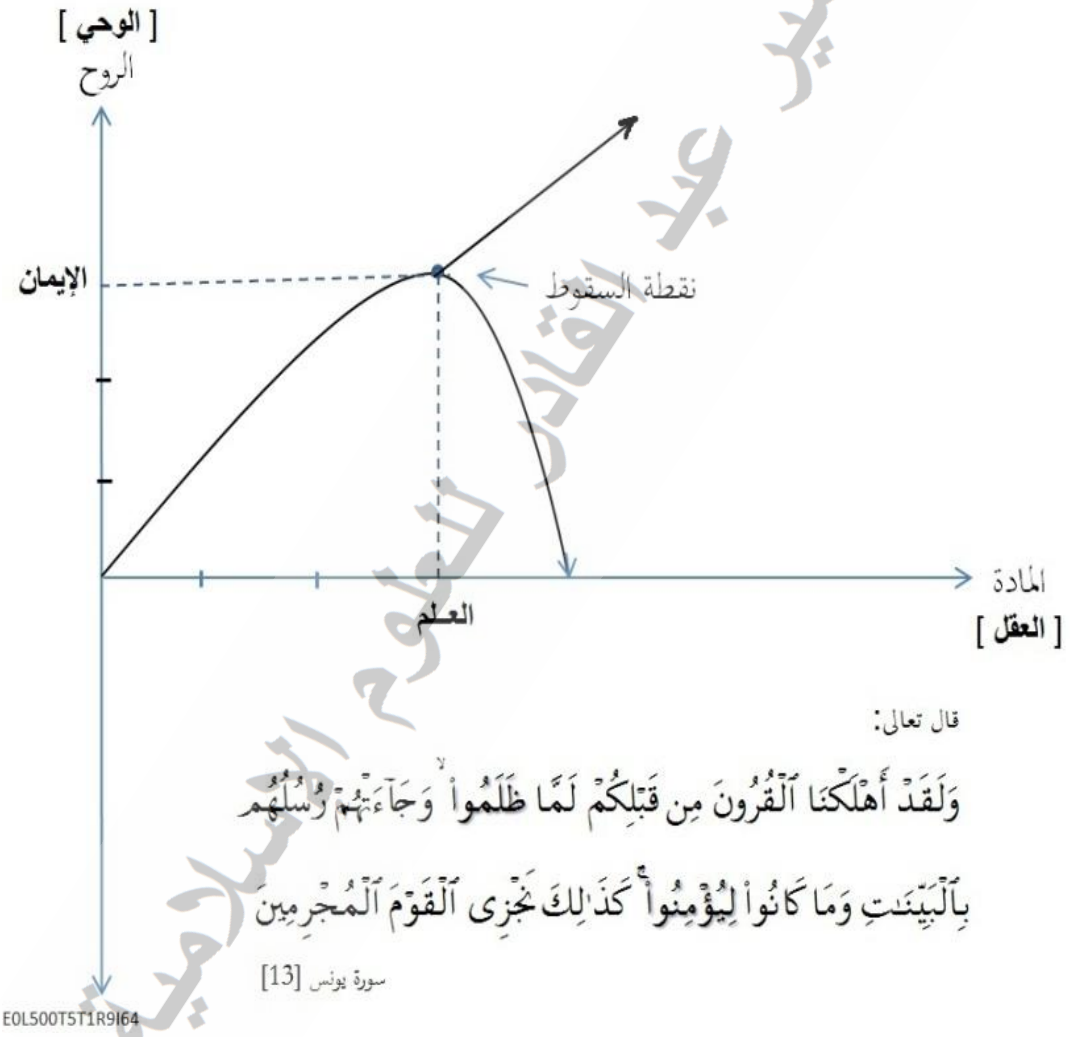

قال تعالى:

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ

سورة يونس [13]

E0L500T5T1R9I64

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

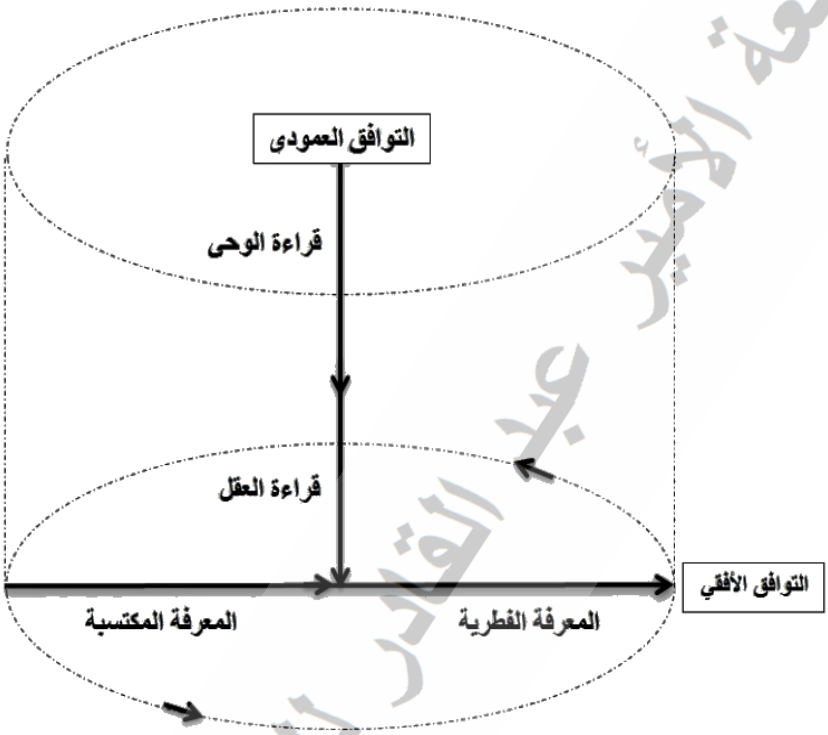

الشكل (10)

المنهج العقدي التكاملي

التربوي

ص: 99

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً } النساء170

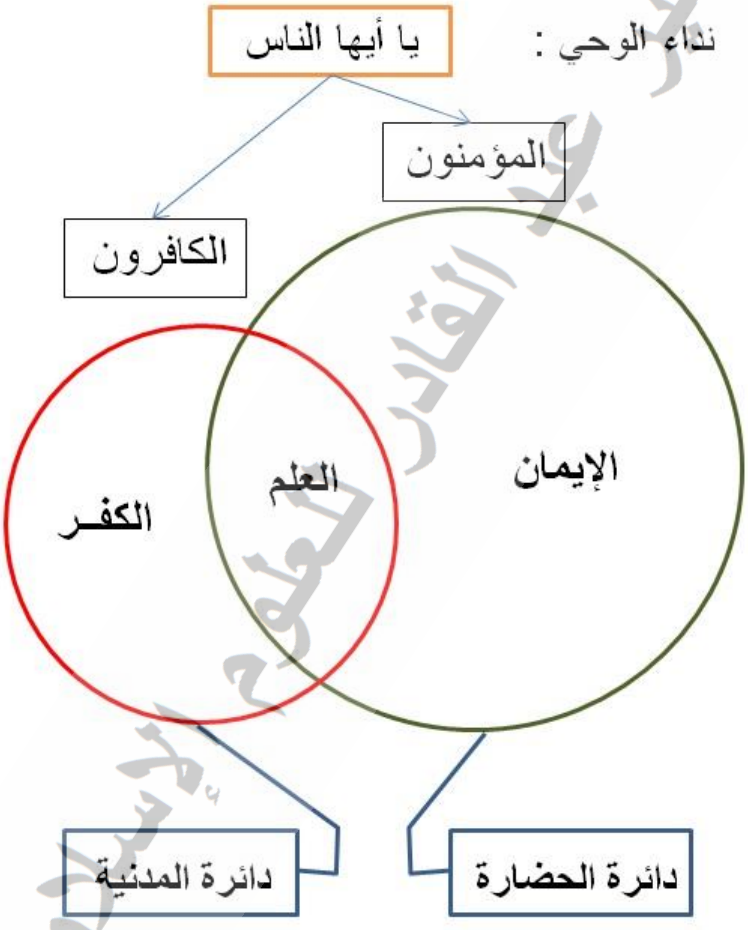

الشكل (11)

الحضارة والمدنية

ص: 148

فهرس
الآيات والأحاديث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرسة الآيات

رقم سورة	السورة	رقم الآية	صفحة البحث	رقم الآية	صفحة البحث	رقم الآية	صفحة البحث
2	البقرة	197	110-84	30	74	146	104
		258	149	30	123	22-21	176
		170	182	256	173	45	
		26	186				
3	ال عمران	18 79	124-21 22	191	27	7	28
		137	103	18	108		
		110	128	191	101		
4	النساء	58	32	55	105	55-54	150
5	المائدة	79-78	182	48	24	83	105
		3	180-20				
6	الأنعام	38	207	115	20	90	51
		162 163	61	20	106	154	156
		98	184	125			
7	الأعراف	85	63	96	172-88	96	122
		137	144	69	147		
8	الأنفال	4-2	172				
9	التوبة	120	125				
10	يونس	13	103	09	19	101	105
		99	173			101	135

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

11	هود	71	152	59	166		
12	يوسف	3	27	111	108-80	22	155
		40-39	155	33	156		
13	الرعد	19	35	11	185		
14	إبراهيم	34	41				
15	الحجر	82	144				
16	النحل	11-10	26	44	31	25	59
		43	109	125 12	87 132	120	150
		36	165	97	183	26	149
17	الإسراء	36	34	20	176	16	119
18	الكهف	66	110	103 105	30 171	29	173
19	مريم	25	76				
20	طه	27	19				
21	الأنبياء	25	51	30		104	58
		7	74	51	150		
22	الحج	73	26	82	144	54	184
23	المؤمنون	115	102	71	107		
24	النور	39	190				
26	الشعراء	129	144				
27	النمل	93	106	34-32	157	37-36	158
		28 23	157 144	40-38 42-40	158 159	44-43 64	159 160
29	العنكبوت	43 46	91 34	35	86		
30	الروم	30	20	21	85	56	122

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		48	125				
31	لقمان	21	185	14	76		
32	السجدة	7	132	9-7	136		
33	الأحزاب	72	136				
34	سبأ	13	144	34	166	6	189
35	فاطر	8	36				
37	الصافات	53	125				
38	ص	26	74				
39	الزمر	27	92	6	76		
40	غافر	83	165	19	96	83	207
41	فصلت	53	135-50	53	42		
42	الشورى	13	162				
45	الجاثية	12	66				
46	الأحقاف	21	147				
47	محمد	19	135	19	124		
48	الفتح	17	76				
49	الحجرات	7	169				
50	ق	16	131				
51	الذاريات	21-20	102-26	47	58	56	123-87
52	الطور	35	26				
53	النجم	04	52	28	186		
56	الواقعة	76-75	35				
58	المجادلة	22	169				
61	الصف	9	147				
65	الطلاق	11	20				

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

66	التحريم	06	6				
67	الملك	15	110				
69	الحاقة	39-38	3576	12			
71	نوح	24-23	145	26	145		
84	الانشقاق	23	185				
88	الغاشية	20-17	33				
89	الفجر	**8–6**	147				
91	الشمس	**10–7**	53				
93	الضحى	**5–4**	136				
96	العلق	**5 – 1**	6	**1**	79		
103	العصر	**3**	34				

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرسة الأحاديث

ر	الراوي	نص الحديث	التخريج	ص
01	جندب بن عبد الله رضي الله عنه	كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزَاوِرَة* فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن ، فازددنا به إيمانا	ابن ماجة	30
02	عائشة رضي الله عنها	ما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يَسْرُدُ كسرْدِكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بيّن فصل ، يحفظه من جلس إليه	الترمذي	31
03	أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه	ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية :(ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون	الترمذي	31
04	أبو هريرة رضي الله عنه	إنَ اللهَ يَبْعَثُ لهَذِهِ الأُمَة عَلى رَأسِ كُلِ مَائَة سَنَة مَنْ يُجَدِدَ لهَا دِينَهَا	أبو داود	54
05	إبراهيم بن عبد الرحمان رضي الله عنه	يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال	البيهقي	54

* وهو الذي قارب البلوغ

		المبطلين وتأويل الجاهلين		
06	أم سلمة	اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً طيباً .	أحمد وابن ماجة	107
07	أبو هريرة رضي الله عنه	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ ، وَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي ، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهَ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لأَجْرًا ؟ قَالَ :" فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ	البخاري	92
08	جابر رضي الله عنه	لاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ	مسلم	115
09	معاذ بن جبل رضي الله عنه	اتقِ الله حَيثمَا كُنتَ ، واتبعْ السَيئةَ الحَسَنة تَمحُها ، وخَالق النَاسَ بخُلقٍ حَسن	أحمد والترمذي	136
10	ثوبان رضي الله عنه	يُوشِكُ الأمم أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ , كَمَا تَدَاعَى اَلْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ: مِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ :بَلْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ, وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ اَلسَّيْلِ ,وَلَيَنْزِعَنَّ اَللَّهُ	أبو داود والبيهقي	137

		مِـــنْ صُـــدُورِ عَـــدُوِّكُمْ اَلْمَهَابَـــةَ مِـــنْكُمْ, وَلَيَقْـذِفَنَّ اَللَّـهُ فِـي قُلُـوبِكُمْ اَلْـوَهْنَ، فَقَـالَ قَائِـلٌ: يَـا رَسُـولَ اَللَّـهِ، وَمَـا اَلْـوَهْنُ؟ قَـالَ: حُبُّ اَلدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ اَلْمَوْتِ		
11	أبو هريرة	مَثَلِـي وَمَثَـلُ الأَنْبِيَـاءِ كَمَثَـلِ قَصْـرٍ أُحْسِـنَ بُنْيَانُـهُ وَتُـرِكَ منـه مَوْضِـعُ لَبِنَـةٍ ، فَطَـافَ بِـهِ النُظَّـارُ ، يتَعَجَّبُـون مِـنْ حُسْـنِ بُنْيَانِـهِ ، إِلا مَوْضِـعَ تِلْـكَ اللَّبِنَـةِ , فَكُنْـتُ أَنَـا سَـدَّدْتُ مَوْضِـعَ تِلْـكَ اللَّبِنَـةِ ، خُـتِمَ بـي الْبُنْيَـانُ وَخُتِمَ بِي الرُّسُلُ	البخاري	180
12	حذيفة ابن اليمان	لا تَكونوا إمَّعةً، تقولونَ :إن أحسنَ النَّاسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلَمنا، ولَكن وطِّنوا أنفسَكم، إن أحسنَ النَّاسُ أن تُحسِنوا، وإن أساءوا فلا تظلِموا	الترمذي	185
13	أبو سعيد الخدري	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن	البخاري	185
14	أبوسعيد الخدري	مَن رأى مِنكُم مُنكرًا فليغيِّرهُ بيدِهِ ، فإن لَم يَستَطِع فبِلسانِهِ ، فإن لم يستَطِعْ فبقَلبِهِ ، وذلِكَ أضعَفُ الإيمانِ	مسلم	187

المصادر والمراجع

ح	رقم	المؤلف	المرجع	تفاصيل	ص
			القرآن الكريم		
	01	الخطيب التبريزي	مشكاة المصابيح	المكتب الإسلامي، بيروت1985، ط:3	31
	02	الألباني	صحيح ابن ماجة	مكتبة المعارف ،الرياض1997،ط:1، ج:1	30
	03	البخاري	الجامع الصحيح	المكتبة السلفية ،القاهرة 1400هـ،ط:1 ج:4	92
أ	04	أبو بكر إبراهيم	التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية	المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا 2007 ، ط: 1	60
	05	أبو سليمان	الرؤية الكونية الحضارية القرآنية	دار السلام ، القاهرة 2009 ، ط:1 ،	3477
	06	عبد الحميد أحمد	قضية المنهجية	المعهد الإسلامي 1995 ، ط : 1	115
	07	أبو اليزيد العجمي	الحضارة الإسلامية	دار السلام ، القاهرة 2006 ، ط:1	11
	08	اسماعيل الفاروقي	أسلمة المعرفة	تر: عبد الوارث سعيد ، دار البحوث العلمية ، الكويت 1983	70
	09	عبد الحميد أحمد	قضية المنهجية	المعهد الإسلامي 1995 ، ط : 1	146

10	ابن منظور	لسان العرب	دار صادر ، بيروت ، 1995 ، ط:2 ، مج : 1	18
11	ابن الأثير	الكامل في التاريخ	تح :عبد الله القاضي، دار الكتب العلمي ،بيروت 1987 ، ط : 1 ، مج : 1	146
12	ابن باديس	مجالس التذكير	دار البعث ، الجزائر 1982 ،	29
13	ابن خلدون	المقدمة	دار الكتاب العربي ، بيروت 2005	44
14	ابن سعد	الطبقات الكبير	مكتبة الخانجي ، القاهرة 2001 ،تح : علي محمد عمر ، ،ط : 1 ، ج : 1	145
15	ابن أبي العز	شرح العقيدة الطحاوية	،المكتب الإسلامي ، بيروت1988، ط:9	32
16	ابن عباس	تنوير المقياس في تفسير ابن عباس	دار الكتب العلمية ،بيروت1992 ، ط:1	27
17	أحمد عبد الحميد غراب	الشخصية الإنسانية	الهيئة المصرية للكتاب 1985	184
18	أحمد عروة	قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية	المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،القاهرة 1996	29 31
19	أسامة سراس	شريعة حمورابي	دار علاء الدين ،دمشق 1993 ، ط:2	163
20	ألكسيس كاريل	الإنسان ذلك المجهول	ت : شفيق أسعد ، مكتبة المعارف ، بيروت 2003 ، ط : 2	44
21	الفيومي	المصباح المنير	المكتبة العصرية ، بيروت1995،ط:1	18
21	الفيروزآبادي	القاموس المحيط	دار الجيل ، ج:2	21
22	القرضاوي	حضارة الغد..	مكتبة وهبة ، القاهرة 1995، ط:1	25
23	الشعراوي	عقيدة المسلم	مكتبة التراث، القاهرة	109
24	الباجي	إحكام الفصول	دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1995 ، ط:2 ، مج:1	28

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	25	الجرجاني	كتاب التعريفات	دار الفكر ، بيروت ، 2005 ، ط:1	60
	26	الطبري	تاريخ الطبري	تح :محمد بن طاهر البرزنجي ، مج : 1 ، دار ابن كثير ، بيروت2007	150
	27		جامع البيان	حق : محمود شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ، ط : 2	149
	28	القرطبي	الجامع لأحكام القرآن	ت: عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 2006 ط :1	161
	29	الرازي	مفاتيح الغيب	دار الفكر ، بيروت ، 1981 ، ج : 1	41
	30	الرازي الحنفي	مختار الصحاح	دار المشاريع ، بيروت 2004 ، ط : 1	60
	31	البيهقي	الجامع لشعب الإيمان	تح : عبد العلي حامد ، مكتبة الرشد ، السعودية 2003 ، ج:1	172
	32	السيوطي	الجامع الصغير	دار الكتاب العلمية ، ط : 4 ، ج : 2 ، ص : 92	153
	33	العقاد	إبراهيم أبو الأنبياء	نهضة مصر – دون اضافات-	151
	34	الطيب برغوث	الفعالية الحضارية والثقافة السننية	دار قرطبة ، الجزائر 2004 ، ط:1	172
	35	المعهد العالمي	الوجيز في إسلامية المعرفة	دار الهدى ، الجزائر – دون اضافات-	63
	36	بن سلمة الضبي	الفاخر في الأمثال	دار الكتب العلمية، بيروت 2011 ، ط:1	92
ب	37	جون كلوقرمونسما	الله يتجلى في عصر العلم	ت : الدمرداش ، دار التربية ، لبنان	
ج	38	جمال عبدالهادي	موسوعة تاريخ العقائد والكون والإنسان	دار السلام ، القاهرة 2010 ط : 1	84
	39	جابر قميحة	المدخل إل القيم الإسلامية	دار الكتب الإسلامية ، القاهرة 1984	135

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و	40	وهبة مراد	يوسف مراد والمذهب التكاملي	الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974	60
	41	وول ديو رانت	قصة الحضارة	تر : زكي نجيب محمود ، دار الجيل ، بيروت 1988 ، ج : 1 ، مج : 1 ،	117
ح	42	حبنكة الميداني	العقيدة الإسلامية وأسسها	دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ط : 2 ، 1979	
	43	حسين الحاج	حضارة العرب	المؤسسة الجامعية ،بيروت 2006، ط: 2	119
ط	44	طه جابر علواني	إسلامية المعرفة	المعهد الإسلامي ، القاهرة 1996 ،ط:1	
ك	45	كريسي موريسون	العلم يدعو للإيمان	دار ابن كثير ، بيروت 2006 ، ط: 1 ،	190
م	46	مجمع اللغة العربية	المعجم الوسيط	مكتبة الشروق الدولية ، مصر 2004 ،ط:1	19
	47	محمد فؤاد عبد الباقي	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن	دار الحديث ، القاهرة – بدون اضافات-	59
	48	محمد أبو زهرة	العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن	مجمع البحوث الإسلامية ، مصر 1969	48
	49	محمد المبارك	نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث	الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض 1995، ط: 2 ،	31
	50	نظام الإسلام، العقيدة والعبادة		دار الفكر ، بيروت 1975	
	51	محمد الغزالي	ركائز الإيمان بين العقل والقلب	دار الشروق ، القاهرة 2002 ، ط: 2	30
	52	عقيدة المسلم		نهضة مصر ، مصر 2004 ، ط : 4	50
	53	محمد قطب	واقعنا المعاصر	دار الشروق ، بيروت ، 1997 ، ط:1	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	54	موريس بوكاي	القرآن والإنجيل والتوراة والعلم	مكتبة مدبولي ،القاهرة 2004 ، ط:2 ،	35
	55	محمد جعفر	دراسات في العقيدة الإسلامية	دار التعارف ، سوريا 1993 ، ط:4	
	56	محمد عبده	رسالة التوحيد	المطبوعات الجامعية ، الجزائر 88	
	57	محمد جميل رمزي العمري	الطب في القرآن	الطب في القرآن ، دار النفائس ، بيروت 2004 ، ط : 2	75
	58	مالك بن نبي	شروط النهضة	ت: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق 1985	118
	59		مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي	تر: بسام بركة ، دار الفكر ، دمشق 1992، ط :1	119
	60	محمد الفاضل ابن عاشور	روح الحضارة الإسلامية	، المعاهد العالمي ،فرجينيا 1992 ،ط:2	188
	61	مناع القطان	معوقات تطبيق الشريعة	مكتبة وهبة ، القاهرة 1991 ،ط:1	112
ن					
	62	نجاح يوسف	مفاهيم النهضة الإسلامية	دار الإسراء ، الأردن 2004 ، ط:1	127
س	63	سيد قطب	في ظلال القرآن	دار الشروق، بيروت 1986 ،ط:12،مج6	44
	64	الإسلام ومشكلات الحضارة		دار الشروق ، بيروت ، 1980 ، ط:6	44
	65	المستقبل لهذا الدين		دار الشروق ، بيروت1993 ، ط : 14	131
	66	معالم في الطريق		الاتحاد الاسلامي العالمي، الكويت، 1982، ط3	118
	67	سيف الدين	دلائل الإعجاز	دار الشرق العربي ،بيروت ، 2006 ،	55

		الكاتب	العلمي	ط:1	56
	68	سيد محمد الزبيدي	تاج العروس	تحقيق العزباوي ، مطبعة حكومة الكويت ، 1972 ج : 11	115
ع	69	ع الرحمان بدوي	مناهج البحث العلمي	وكالة المطبوعات ، الكويت 1977, ط:3	24
	70	عبد المجيد المغربي	علم العقائد	الحديثة للكتاب ، لبنان 2006	48
	71	علي محي الدين	العقيدة الإسلامية	دار التقريب ، بيروت 2004 ، ط " 1	32
	72	عبد الله المصلح	الإعجاز العلمي تاريخه وضوابطه	دار جياد ، السعودية 2011 ، ط: 3	37
	73	عبد الله الفالح	معجم ألفاظ العقيدة	مكتبة العبيكان ، الرياض .	46
	74	عبد المجيد النجار	خلافة الإنسان بين الوحي والعقل	خلافة الإنسان بين الوحي والعقل ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا2005 ، ط:3	52
	75	عبد الكريم بكار	تجديد الوعي	دار القلم ، دمشق 2010 ، ط : 3	54
	76	عبد العزيز الحميدي	تفسير ابن عباس ومروياته	جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ،	22
	77	عمر عبيد حسنة	التفكير المقصدي	المكتب الإسلامي ،بيروت 1999 ،ط :1	73
	78	عمر سليمان الأشقر	معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية	دار النفائس ، الأردن 1992 ، ط : 1	112
	79	عمر فروخ	الحضارة الإسلامية	دار لبنان ، بيروت 1983، ط: 3 ،	126

	80	علي لبن	الغـــزو الفكـــري فـــي المناهج الدراسية	دار الوفاء ، القاهرة 1992	73
ف	81	فتح الله كولن	ونحن نبني حضارتنا	دار النيل ، تركيا 2012 ، ط : 1	129
ر	82	رشيد رضا	تفسير المنار	دار المعرفة ، بيروت ، ج : 1 ، ط:2	92
	83		منجد اللغة والأعلام	دار المشـــرق ، بـــيروت 1994 ، ط : 34	151
	84	مجموعـــــة مؤلفين تر:أســـــامة سراج	شريعة حمورابي	دار عـــلاء الـــدين ،دمشـــق 1993 ، ط:2	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرسة المجلات والصحف

ر	المجلة	الكاتب	عنوان المقال	التفاصيل	ص
85	الفتح	محب الدين الخطيب	تعليمنا ..	صحيفة الفتح ، العدد 849 (سبتمبر 1947 ، ص 857 . 862	71
86	المعرفة	مارتين تساشيل	التعليم الألكتروني تحد جديد للتربويين	مجلة المعرفة ، السعودية ، عد :91 ، ديسمبر 2002 ص : 16	95
87	الشهاب	ابن باديس	أيها المسلم الجزائري	جريدة الشهاب ، العدد : 94 ، 23 /8 / 1926 م	29
88	حراء	محمد جكيب	فعالية القرآن في صناعة الحضارة والإنسان	مجلة حراء ، تركيا ، جانفي 2009 ع : 14 ، ص : 6 .	134
89		عبد الحليم عويس	الروح وميلاد الحضارة	مجلة حراء ، ع : 14 (مارس) 2009- ص : 61	69
90		خالد الصمدي	القيم الإسلامية وحاجة الواقع المعاصر	مجلة حراء ، تركيا ، عد : 13 ، سنة :4 . ديسمبر2008 ، ص : 6-5	97

فهرسة المواقع الإلكترونية

ر	الكاتب / المقال / رابط الموقع	ص
91	موقع د. يوسف القرضاوي ، ثمانية أسس لدراسة العقيدة ،	30
92	http://www.qaradawi.net/new/component/content/article/304-2014--01-26-18-24-13/2014-01-26-18-59-19/4751	25
93	موقع د. يوسف القرضاوي ، العلوم الكونية تدلنا على الله والقرآن أساس منهاجي في العقيدة	71 72
	http://qaradawi.net/2010-02-01-08-43-29/4539.html	
94	موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، تأصيل الإعجاز العلمي	53 54

فهرسة الأعلام

العَلَم	الصفحات
ابن باديس	
ابن منظور	
ابن الأثير	
ابن تيمية	
ابن عباس	
ابن ماجة	
ابن خلدون	
اسماعيل عليه السلام	
ابن سينا	
ابن سعد	
ابراهيم عليه السلام	
ابراهيم بن ع الرحمان	
أبو اليزيد العجمي	
ابو بكر ابراهيم	
ابو سليمان	
أبو هريرة	
أبو داود	
أحمد عبد الحميد	
اسماعيل الفاروقي	
إسماعيل عليه السلام	
أسامة سراج	

العلم	الصفحات
البيهقي	
البخاري	
القرضاوي	
القرطبي	
الفيومي	
البيروني	
الطحاوي	
الطبري	
الطيب برغوث	
الفيومي	
السيوطي	
الشعراوي	
الجرجاني	
الخطيب محب الدين	
الترمذي	
العقاد	
الغزالي	
الرازي	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ألكسيس كاريل

ادوارت ولسن

ج	جابر قميحة	جابر بن عبد الله
	جمال عبد الهادي	
هـ	هارون عليه السلام	هود عليه السلام
و	وهبة مراد	وول ديو رانت
ز	زغلول النجار	زكريا عليه السلام
ح		حسين الحاج حسن
ي	يحي عليه السلام	
ك		كريسي موريسون
م	مالك بن نبي	محمد الغزالي
	محمد المبارك	
	محمد فؤاد ع الباقي	محمـــد الفاضـــل بـــن عاشور
م		
م	محمد جكيب	موريس بوكاي
م	موسى عليه السلام	
ن	نابت	نجاح يوسف
س	سيد قطب	سيبويه
	سليمان عليه السلام	سيف الدين الكاتب
ع	عيسى بن مريم عليه السلام	عبد الحليم عويس
ع	عبد المجيد المغربي	علي لبن
	عبد المجيد النجار	عمر عبيد حسنة
	عبد الكريم بكار	عمر بن الخطاب رضي الله عنه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الرحمان بدوي — عمر فروخ

عبد الله المصلح

ف — فتح الله كولن

ر — رشيد رضا

خ — خالد الصمدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرسة المحتويات

مقدمة : 06

الفصل الأول

صياغة درس العقيدة الإسلامية

تمهيد : 17

المبحث الأول	**وضعية الدرس العقدي**	**18**
المطلب الأول :	مفهوم العقيدة الإسلامية وخصائصها.....	18
المطلب الثانى :	المقصود بدرس العقيدة الإسلامية	20
المطلب الثالث :	مفهوم المنهج وعلاقته بالدرس العقدى	21
المطلب الرابع :	دراسة العقيدة الإسلامية	24
المطلب الخامس :	واقع درس العقيدة الإسلامية	26
المبحث الثاني	**الدرس العقدي والعلوم الحديثة**	**31**
المطلب الأول :	الدرس العقدى ومعارف العقل	31
المطلب الثانى :	علاقة الدرس العقدى بالعلوم الحديثة	32
المطلب الثالث :	درس العقيدة الإسلامية والإعجاز العلمى.....	35
	- مفهوم الإعجاز العلمى	35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- مبررات الإعجاز العلمى 35
- ضوابطه : 36
- دور الإعجاز العلمى فى تفعيل الدرس العقدى..... 38

المبحـــث الثالث العلوم الإيمانية ودورها في صياغة درس العقيدة **40**

المطـــلب الأول : المقصود بالعلوم الإيمانية 40
المطلب الثـــانى : علاقة العلوم الإيمانية بدرس العقيدة الإسلامية 45
المطلب الثـالث : علاقة العلم بالإيمان 44

المبحـــث الرابع أسس إصلاح الدرس العقدي وضوابط تجديده **46**

المطـــلب الأول : دواعى الإصلاح والتجديد 46
المطلب الثـــانى : أسس إصلاح الدرس العقدى 48
المطلب الثالث : تجديد درس العقيدة الإسلامية 50
المطلب الـرابع : ضوابط التجديد فى الدرس العقدى..... 51

الفصل الثاني

الدرس العقدي ودوره في التكامل المعرفي

تمهيد : **54**

المبحـــث الأول التكامل المعرفي ، المفهوم والمضمون **55**

المطـــلب الأول : مفهوم التكامل المعرفى 55
المطلب الثـــانى : ضرورة التكامل المعرفى ومبرراته 59
الضرورة المعرفية 59
الضرورة الحصارية 60
المطلب الثالث : أهداف التكامل المعرفى 62

المبحـــث الثاني	**تطبيق التكامل المعرفي في المناهج الجامعية**	**65**
المطـــلب الأول :	دور الجامعة فى تطبيق التكامل المعرفى	65
المطـــلب الثـــانى :	واقع التعليم الجامعى	66
	- من حيث الأسلوب والمنهجية	69
	- من حيث المضمون المعرفى	70
المطلب الثـالث :	المناهج الجامعية وتصنيف العلوم	74
المطلب الـــرابع :	تصنيف العلوم من منظور التكامل المعرفى.....	74
المبحـــث الثالث	**الدرس العقدي وأثره على المنهج التعليمي التربوي**	**80**
المطـــلب الأول :	الأصول العقدية للمنهج التربوى التعليمى	80
المطـــلب الثـــانى :	دور الخطاب الدينى العقدى فى التربية والتعليم	84
	- معالم الخطاب الدينى العقدى	89
المطلب الثـالث :	الأمثال وصياغة درس العقيدة الإسلامية	86
المطلب الـــرابع :	من وسائل بناء الدرس العقدى	89
المطلب الخامس :	الدرس العقدى وعلاقته بمنظومة القيم	92
المبحـــث الرابع	**منطلقات ومعوقات في طريق التطبيق**	**94**
المطـــلب الأول :	مبادئ ومنطلقات الدرس العقدى	94
	- الصياغة العقدية للأفكار	95
	- البساطة والسهولة فى الطرح	95
	- تفعيل أهداف الدرس العقدى	96
المطلب الثـــانى :	الدرس العقدى ومنطلق البناء المعرفى التكاملى	97
المطلب الثـالث :	منهجية الدرس العقدى فى التعامل مع المعرفة.....	100
المطلب الـــرابع :	معوقات الدرس العقدى.....	103

الفصل الثالث

دور درس العقيدة الإسلامية
في البناء الحضاري

تمهيد : 107

المبحث الأول — **الحضارة : المعنى والمبنى** — 108

المطلب الأول : تعريف الحضارة 108
المطلب الثانى : مناقشة التعريف الاصطلاحى 112
المطلب الثالث : الفرق بين الحضارة والمدنية 118
المطلب الرابع : بناء الإنسان قبل بناء الحضارة 122

المبحث الثاني — **العقيدة والحضارات القديمة** — 130

المطلب الأول : التاريخ وصف لتطور الحضارة 130
المطلب الثانى : القرآن وحضارات الأمم السابقة 132
المطلب الثالث : دور الأنبياء والرسل عليهم السلام فى بناء الحضارات الشرقية 136
- دور نوح وهود عليهما السلام فى بناء حضارة بابل و الأحقاف 136
- إبراهيم عليه السلام ودوره فى الحضارات الشرقية 139
- دور يوسف عليه السلام فى الحضارة المصرية 144
- سليمان عليه السلام وحضارة سبأ 147
المطلب الرابع : دعوة الأنبياء والرسل أساس بناء الحضارات..... 150
- علاقة قوانين حمورابى بصحف إبراهيم عليه السلام 150

المبحث الثالث — **منهج التغيير في البناء الحضاري** — 159

المطلب الأول : حضارة العلم و الإيمان 159
المطلب الثانى : الدرس العقدى وحل المعادلة الحضارية 164
المطلب الثالث : علاقة التكامل المعرفى ببناء الحضارة 169

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع : منهج التغيير و بناء الإنسان الحضارى 171
- بناء الشخصية المسلمة المعاصرة 172
- بناء الوعى 174

خاتمة 178
- **النتائج والتوصيات** 178
ملحق الصور والجداول : 182
فهرس الآيات : 191
فهرس الأحاديث : 196
قائمة المصادر و المراجع : 199
- **الكتب** : 199
- **المجلات والصحف** : 206
- **المواقع الإلكترونية** : 207
فهرس الأعلام : 208
فهرس المحتويات : 211

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص

المترجم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الرسالة

أردت من خلال هذه المذكرة أن نعطي فكرة عن رؤية جديدة تعيد لهذه الأمة منهجها الذي ابتعدت عنه بسبب الرواسب والانخراط في النمطية الغربية ، بالرغم أننا نقرأ هذه الآية ونمر عليها مرارا قوله تعالى{ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** } [1]

ولعلنا بهذه الدراسة نساهم في وضع لبنة تمهد الطريق لغد أفضل ، حيث ترفع راية الحق والإيمان ، ويرفع قدر العلم الحقيقي تمهيدا لبناء الحضارة الإنسانية ، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول ثم خاتمة ، كما يلي :

تناول **الفصل الأول** صياغة درس العقيدة الإسلامية وقد تحدثت فيه عن مفهوم العقيدة الإسلامية في اللغة والاصطلاح ، ومنهجية تدريس العقيدة ، وعلاقتها بمعارف العقل ، وضرورة توظيف الأعجاز العلمي في دروس العقيدة الإسلامية ، وهو الأمر الذي يستدعي استحداث العلوم الإيمانية التي تجمع بين العلم والإيمان ، وكل ذلك يكون في اطار الاصلاح والتجديد .

في **الفصل الثاني** تحدثت فيه عن الدرس العقدي ودوره في التكامل المعرفي ، حيث عرضت مفهوم التكامل المعرفي ، ومبرراته وأهدافه. **و** بيان دور الجامعة في تطبيقه كضرورة لإصلاح المنظومة الجامعية ، ، وتحدثت عن مبادئ الدرس العقدي التكاملي من حيث صياغة الأفكار والأسلوب والأهداف ، وبينت مبدأ الرؤية الكونية القرآنية النبوية ودورها في بناء الإنسان فكريا ومعرفيا وعقديا ، وبيان أهمية الدرس العقدي في صياغة المنهج التربوي التعليمي في جميع مراحله ، ومن بين ما يجب الالتفات إليه دور الأمثال في انجاح الدرس العقدي ، مع ضرورة الاهتمام بوسائل التكنولوجية الحديثة لتغيير منظومة القيم

الفصل الثالث ، تناولت فيه دور درس العقيدة في بناء الحضارة ، من حيث تعريف الحضارة مع مناقشة آراء المفكرين في مصطلحها ، وعرضت تاريخ سيرة الأنبياء والرسل ودورهم في بناء الحضارات القديمة مع تصحيح التزييف و التحريف الذي تعرض له التاريخ الإسلامي .

وفي الأخير جاءت الخاتمة متضمنة نتائج البحث التي توصلت إليها من خلال الفصول الثلاثة من المذكرة ، مع ذكر بعض التوصيات .

---

(1) سورة الأنعام (38)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

résumé

Je voulais à travers cette thèse pour donner une idée sur une nouvelle vision pour cette nation reconsidérer son approche, qui se déplaçait loin à cause des sédiments et engager dans la pensée occidentale, même si nous lisons ce verset et le tigre eux à plusieurs reprises Le verset:" **Nous n'avons rien négligé dans le Livre**. ". *(alanam 38)*

Peut-être que cette étude contribue au développement d'une brique pour ouvrir la voie à un avenir meilleur, où il élève la bannière de la vérité et de la foi, et soulève autant de science réelle en vue de la construction de la civilisation humaine, il a divisé la recherche l'avant, puis trois saisons finale, comme suit :

Le premier chapitre traite de la formulation a étudié la foi islamique a parlé du concept de la foi islamique dans la langue et de la terminologie et de la méthodologie de l'enseignement de la foi, et leur relation à la connaissance de l'esprit, et la nécessité d'employer les miracles scientifiques dans les leçons de la foi islamique, qui appelle au développement de la science de la foi qui combine la science et la foi, tous faire partie de la réforme et le renouvellement.

Dans le deuxième chapitre, je parlais de la leçon grumeleuse et son rôle dans l'intégration des connaissances, où il a présenté le concept d'intégration de la connaissance, et la justification et les objectifs. Et il indique que le rôle de l'université dans son application comme une nécessité de réformer le système universitaire, et a parlé des principes de la leçon grumeleuse complémentaires en termes de la formulation d'idées, le style et les objectifs, et a démontré le principe de la vision cosmique du rôle coranique et prophétique dans la construction de l'humain et intellectuel, cognitif et nodal, et la déclaration de l'importance de la leçon grumeleuse dans la formulation de programmes d'enseignement de l'éducation à tous les stades, et entre ce qui doit prêter attention au rôle des proverbes dans le succès de la leçon grumeleux, avec un besoin d'attention avec la technologie moderne pour changer le système de valeurs

Chapitre III, qui portait sur le rôle qu'il a étudié la croyance dans la construction d'une civilisation, en termes de la définition de la civilisation avec une discussion sur les points de vue des intellectuels Le terme, et a offert à ce jour biographie des prophètes et des apôtres et leur rôle dans la construction les anciennes civilisations avec la contrefaçon et la falsification correcte subi par l'histoire de l'Islam.

Dans la conclusion finale est venu, y compris les résultats de recherche Them à travers les trois chapitres de la note, de mentionner certaines des recommandations.

Abstract

I wanted through this Thesis to give an idea about a new vision for this nation reconsider its approach, which moved away from because of sediment and engage in Western thought, even though we read this verse and tiger them repeatedly The verse ***:"We have neglected Nothing in the Book." (****alanam 38)*

Perhaps this study contribute to the development of a brick to pave the way for a better tomorrow, where he raises the banner of truth and faith, and raises as much real science in preparation for the construction of human civilization, it has divided the search to the front and then three seasons finale, as follows:

The first chapter discusses the formulation studied the Islamic faith has talked about the concept of the Islamic faith in the language and terminology, and methodology of teaching the faith, and their relationship to knowledge of the mind, and the need to employ the scientific miracles in the lessons of the Islamic faith, which calls for the development of faith science that combines science and faith, all be part of the reform and renewal.

In the second chapter I talked about the lesson lumpy and its role in the integration of knowledge, where he presented the concept of integration of knowledge, and the rationale and objectives. And it indicates the role of the university in its application as a necessity to reform the university system, and talked about the principles of the lesson lumpy complementary in terms of the formulation of ideas, style and goals, and demonstrated the principle of the cosmic vision of Quranic and prophetic role in building the human intellectual, cognitive and nodal, and the statement of the importance of the lesson lumpy in formulating educational curriculum of education in all stages, and between what must pay attention to the role of proverbs in the success of the lesson lumpy, with a need for attention with modern technology to change the system of values

Chapter III, which dealt with the role he studied belief in building a civilization, in terms of the definition of civilization with a discussion of the views of intellectuals in The term, and offered to date biography of the prophets and apostles and their role in building the ancient civilizations with the correct counterfeiting and falsification suffered by the Islamic history.

In the final conclusion came, including research findings Them through the three chapters of the note, mentioning some of the recommendations.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Summary

résumé

THE PEOPLE'S DEMOCRATIC REPUBLIC OF ALGERIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH

EMIR ABDELKADER UNIVERSITY
OF ISLAMIC SCIENCES
CONSTANTINE

FACULTY OUSSOUL EDDINE
COLLEGE OF THE DOCTRINE
AND COMPARATIVE RELIGION

Serial Number : ……..…
Registration number : …....

THE COURSE OF THE ISLAMIC DOCTRINE

And its role in the integration of knowledge and Civilization

Thesis presented to get scientific doctorate diploma
Specialty Doctrine

Submitted by :

Mr. Elottri Ben eazouz

Supervised by :

Prof. Kamel djehiche

discussion Committee

Name and Surname	Adjective	Academic Rank	Originally university
Amar tastass	*Chairman*	*Professor*	*emir abdelkader university*
Kamel djehiche	*the Supervis*	*Professor*	*emir abdelkader university*
Abed malk ben abas	*member*	*Professor*	*emir abdelkader university*
Aloumri marzoug	*member*	*Professor*	*Batna haj lakhde university*
Hajeba chaidkh	*member*	*Professor*	*Batna haj lakhde university*
Abedelaziz bouchair	*member*	*Professor*	*Settif 2 university*

1437 - 1438
2016 - 2017

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

THE COURSE
OF THE ISLAMIC DOCTRINE
And its role in the integration of knowledge and Civilization building